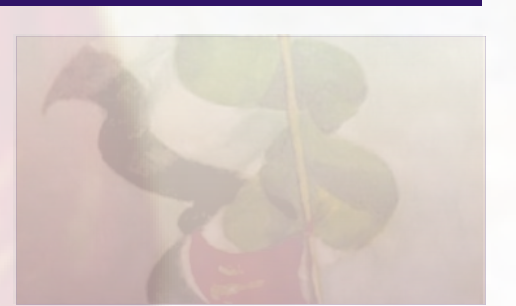


العدد (٢٤)
السنة الخامسة

تصدر عن: بديل/المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين
عضو الائتلاف الفلسطيني لحق العودة

تمـوز
٢٠٠٧

اللجـــوء والعـــودة في الـفــن الفلسطيـنـي





في تموز.. سقطت الريشة وبقي المعنى

٣ تموز- الذكرى الأولى لرحيل الفنان إسماعيل شموط

٨ تموز- الذكرى الخامسة والثلاثين لاستشهاد الكاتب والفنان غسان كنفاني

٢٢ تموز- الذكرى العشـرين لاغتـيال الفنـان نـاجـي العلـي

ساهم في هذا العدد

١. عبد عابدي (حيفا)
٢. ممدوح قشلان (دمشق)
٣. خليل أبو عرفة (القدس)
٤. أمية جحا (غزة)
٥. نصار إبراهيم (بين ساحور)
٦. سامية قزموز بكري (عكا)
٧. شوقي العيسة (بيت لحم)
٨. مليحة مسلماني (القاهرة)
٩. سالم أبو هواش (الخليل)
١٠. د. محمد نعيم فرحات (بيت لحم)
١١. يوسف كتلو (الخليل)
١٢. محمد سباعنة (جنين)
١٣. سعيد مضية (الخليل)
١٤. رنين جريس (حيفا)
١٥. كارين ماك أليستر (بيت لحم)
١٦. إيزابيل همفريز (الناصرة)



الافتتاحيـة

فلسطيـن تتسّـعُ للجميـع

يختلف مفترق الطرق الذي وصلته فلسطين عن مفترقات طرق كثيرة وصلتهم قبل ذلك. وبدون العبث بالماضي على قاعدة تضخيم الحاضر وتبسيط الماضي، فإن فلسطين اليوم لا تقاوم على مسيرتها فحسب، وإنما على صورتها أيضا، على الوجه الوجهة، على الكيان والكينونة. ماذا نريد؟ وما هي أولوياتنا؟ وكيف نصل؟ وما هي مرجعياتنا؟ ما هي هويتنا؟ وما هي صورتنا؟ كيف لا نضيع؟ وعلى ماذا نتفق؟ وعلى ماذا نختلف؟ أسئلة قصيرة تسقط في أرض المعركة الدائرة.. ويسقط معها زاد الدرب وأفقه.

وفي هذه الحالة التي وصلنا إليها، سال الكثير من الدم، وسال الكثير من الحبر.. ولا نقصد هنا التطرق مجددا إلى سلبيات الحالة وشؤمها.. فهذه حالة كلها سلب وكلها شؤم.. ولا نقصد الخوض في البحث عن وصفات سحرية لتصحيح نظر المتصارعين إلى ما يجب أن ينظروا إليه فعلا.. ولكن هذه الحالة تدفعنا الى وجوب تحديد مفردات الصراع والخطاب والرؤية.. فإن كان هذا المطلب مطلبا حقا وملحا في السابق.. فإنه في هذه الحالة التي وصلنا إليها هو مطلب وجودي لشعب بأكمله ولقضية برمتها.

ولسنا هنا بصدد التكهن بالمنتصر والخاسر من بين طرفي فتح وحماس.. لاننا نعتقد أنهما خاسران لا محالة وكلنا خاسرون لا محالة ولا منتصر.. غير الأعداء الذين يتربصون لنا ويتربعون في حلوقنا وهوائنا. ويدور الفلك اليوم حول مبنى الخارطة السياسية الفلسطينية وفرزها.. هل يجب أن تكون أحادية الرأس؟ أم ثنائية قطبية؟ أم أكثر من ذلك؟ وهنا نقع في الخطأ نفسه! كمن يجلس على برميل بارود ويسد أذنيه لكي لا يسمع دوي الانفجار.. لأن تجربة فلسطين الطويلة علمتنا أنه قبل التوصل إلى أي حل يجب أن تتوفر منطلقات ومفاهيم تشوع لتكون قادرة على احتضان حلول محتملة.. وبدونها.. فإن الهدوء يكون فقط بين عاصفتين.. والاتفاق يكون دائما مرحلة الاستعداد للاشتباك القادم..

قبل فرز الخارطة السياسية الى أحزاب وتيارات متنافسة.. يجب أن نؤمن بالتعددية الحقة.. وبأن فلسطين ليست أملاكا خاصة لهذا الحزب أو ذاك.. لهذا التيار أو ذاك.. وقبل الحديث عن الوحدة الوطنية على أهميتها.. يجب أن نؤمن بالشراكة في الوطن.. وقبل الحديث عن الحوار على أهميته.. علينا أن نؤمن بنبذ الإقصاء والإنكار والتفرد.. وبدون العودة الى الأصل، لن نصل الى الحل، ونبقى نبحث عن مسكنات، إدارة للأزمة وليس حل لها. وفي نهاية المطاف، فإن فلسطين، هذا الوطن الكبير يتسع للجميع... فلسطين القضية والوطن والشعب قادرة على احتواء أبناءها جميعا كيفما كانوا وأينما كانوا... وهذا الدور لا يحتاج الى وساطات وحسابات.

في تموز الجاري، تصادف ذكرى غياب ثلاثة من عمالقة الثقافة الفلسطينية؛ غسان كنفاني، ناجي العلي وإسماعيل شموط. ثلاثة عمالقة تشتتوا من فلسطين في العام ١٩٤٨ الى بقاع الأرض.. ثم عادوا ليلتقوا في تموز.. وقد قررت هيئة التحرير في جريدة "حق العودة" إحياء ذكراهم ضمن ملف العدد: "اللجوء والعودة في الفن الفلسطيني" ليس للوفاء لسيرتهم ومسيرتهم فحسب، وإنما لنتعلم منهم كيف يكون الوطن.. وكيف نعمل من اجل الوطن !

ولا شك بأن خسارة ثلاثة من عمالقة فلسطين كبيرة دوما، ولكن خسارتنا تكبر عندما تصل حالتنا الآنية الى ما وصلت إليه، فنحن بحاجة إلى رشدهم. ولكن أملنا الباقي هو بفلسطين.. ملهمتهم الأبدية. وندرك حتى في حالتنا الحاضرة، أن فلسطين لن ينتهي بها الرحال الى هامش التاريخ.. لن تموت قضيتها وعدالتها، لأن المأساة قادرة دائما على الخلق والإبداع.. هكذا كان.. وهكذا سيكون... ووراء النهايات.. هنالك دائما بدايات أخرى..

فلسطين تبقى الديمومة في هذه المعادلة!

"هيئة التحرير"

٤٢،٠٠٠ بيتا على قائمة الهدم

بدو النقب: كفاح متواصل من أجل الهوية وضد التهجير

بقلم: ايزابيـل همفريـز*



أم الحيران، النقب (المصدر: akhbarna.com)

نشرت فصلية "المجدل" التي تصدر عن مركز بديل باللغة الانكليزية في عددها الأخير في آذار الماضي تقريرا موسعا عن هدم بيوت البدو في النقب. ومنذ نشره لم تتخل الحكومة الإسرائيلية عن سياستها التهجيرية؛ ففي الثامن من أيار تم تدمير قرية "طويل أبو جروال" المكونة من حوالي ٣٠ خيمة وكوخا هي بيوت لأكثر من ١٠٠ من مواطني النقب العرب وذلك بأوامر من الحكومة الإسرائيلية. وقد أفاد المجلس الإقليمي للقرى غير المعترف بها في النقب؛ أنه في تمام الساعة التاسعة والنصف صباحا حضرت جرافتان مع عشرات أفراد الشرطة المسلحين وعمال الهدم ودخلوا القرية في وقت يعرفون فيه أن الرجال يكونون في أعمالهم في تلك الساعة.

لقد تم تحطيم كل شيء، حتى الشاحنة القديمة التي كان يستخدمها المسنون لتحميهم من الشمس تم تدميرها. وأولئك الذين رفضوا التحرك تم جرهم بالقوة من بيوتهم، وعندما التقط احد الأبناء جزءا من بيت الشعر وعمود خيمة في محاولة من أجل إقامة ظلالة لوالده المسن، قامت الشرطة باعتقاله مدعية انه كان يوشك على مهاجمتهم.

يناضل سكان قرية طويل أبو جروال، وهي قرية غير معترف بها ملاصقة لبلدة "اللقية" التي أنشأتها الحكومة، منذ زمن سنوات طويلة من أجل الحصول على حقوقهم في المواطنة. ويعيش حوالي ٧٠،٠٠٠ من بدو النقب في قرى لا تعترف بها الحكومة الإسرائيلية؛ وهكذا تمنعهم من إمكانية النجاح في تقديم طلبات للحصول على تراخيص للبناء، وتحرم البدو المقيمين في هذه القرى من الوصول إلى خدمات الدولة الرسمية التي من حقهم الحصول عليها باعتبارهم مواطنين إسرائيليين.

وبلدة "اللقية" هي واحدة من عدة تجمعات حضرية أنشأتها إسرائيل قي محاولة من جانبها لتجميع البدو في مستوطنات محصورة وإنهاء انتشارهم الطبيعي التقليدي في أرضيهم وحرمانهم نمط حياتهم الزراعية التقليدية، كما فشلت الحكومة الإسرائيلية في تقديم بدائل لمصادر دخل مناسب. [الهدف الرئيس لحكومات إسرائيل هي أراضي البدو الفلسطينيين].

"هذه هي المرة الثامنة في السنتين الأخيرتين التي يحضرون فيها من أجل التدمير"، أفاد أحد القرويين، "وهذه هي المرة الرابعة التي تتم تسوية القرية بالأرض وإخلائها تماما". تهجير سكان قرية طويل أبو جروال، شأنها كغيرها من القرى البدوية في النقب؛ ليس ظاهرة جديدة، بل يعود تاريخها إلى بداية الخمسينات من القرن الماضي عندما قامت حكومة إسرائيل العسكرية في الدولة الجديدة بعمليات الترحيل الإجباري للسكان العرب.

وقد عقد عقيل الطلقة، رئيس مجلس قروي طويل أبو جروال، العديد من الجلسات مع فروع مختلفة للسلطات الإسرائيلية ومنها: وزارة الداخلية، "سلطة تطوير وضع البدو"، دائرة أراضي إسرائيل. وجميعها اقترحت عليه أن ينتقل القرويون إلى مواقع مؤقتة، بينما الحكومة تقوم بالتفكير "في ماذا تفعل مع الناس"؟. ولكن الطلقة رفض تلك العروض برغم الحاجة الماسة لحلول مؤقتة. وكما يشير المجلس الإقليمي للقرى غير المعترف بها، فقد تم إبلاغ السكان في سنوات الخمسينات أن الترحيل سيكون مؤقتا، ولكنهم لا زالوا مهجرين بعد أكثر من نصف قرن.

وفي تقريرها عن الهدم؛ سعت صحيفة "هآرتس" الإسرائيلية اليومية للحصول على تفسير من قبل دائرة أراضي إسرائيل، وقد أبلغت الصحيفة أن السلطات قامت بمجرد عملية إخلاء للعزبات البدوية، والتي سمتها "غزوات" وقال ناطق باسم دائرة أراضي إسرائيل أن هذه "الغزوات" البدوية تتم للمرة السابعة في هذه السنة لنفس المكان، "وأن للغزاة بيوتا في اللقية". ووفقا للمجلس الإقليمي للقرى غير المعترف بها، فالبرغم من اللجوء إلى اللقية؛ فإن الأسر البدوية لم تحصل على تراخيص بناء منذ تخصيص قطع أراضي بصورة مبدئية منذ العام ١٩٧٨.

وبعد أسبوعين، أعلنت الحكومة الإسرائيلية في ٢١ أيار أنها ستمضي قدما في عملية تدمير الممتلكات البدوية الأربعة في قرية "عتير" الواقعة إلى الشمال من حورة، والتي تقع في منطقة مجدولة لتكون مستعمرة يهودية خالصة جديدة في النقب. وقد جعلت السلطات الإسرائيلية أربعين طفلا مع آبائهم بدون بيوت، وذلك عندما حضرت الجرافات مع مئات من أفراد الشرطة وحتى بتغطية جوية من قبل الطائرات العمودية. أفراد من عائلة القيان وقعوا في أفخاخ الحواجز ثم أجبروا ليشهدوا على تدمير بيوتهم، لا حول لهم ولا قوة لفعل أي شيء.

وفي وقت سابق من هذا العام، قامت مؤسسة "عدالة"، المركز القانوني للدفاع عن حقوق الأقلية العربية في إسرائيل، – قامت بمطالبة رئيس الوزراء إيهود اولمرت ونائبه شمعون بيرس بإلغاء خطة النقب ٢٠١٥، وهي الخطة الإسرائيلية الإستراتيجية لـ "تطوير" النقب؛ وقد أوضحت عدالة حجم التمييز الذي تقوم به الحكومة ضد المواطنين العرب بدو النقب وبأن خطط الحكومة تجاه النقب مستندة إلى سياسات حكومية غير قانونية. فيما تدعي الحكومة أن خططها تهدف إلى تعزيز التنمية والنمو السكاني والعمالة والتعليم لمواطني النقب. وقد وضعت موازنة مكونة من ٨٠ مليون دولار أمريكي عام ٢٠٠٧ لهذا الغرض. ولكن الواقع يبين أن المهمشين هم السكان البدو، وأنهم سيزدادوا تهميشا من التنمية الحكومية الإسرائيلية، فحوالي ٧٥،٠٠٠ وحدة سكنية مخصصة للمدن والتجمعات اليهودية في النقب.

من جهته، يدرك المجلس الإقليمي للقرى غير المعترف بها، بأن أمامهم كفاح طويل، وقد أعلن المجلس الإقليمي لوسائل الإعلام أنه يخطط لإقامة مخيم للاجئين البدو أمام الكنيست باعتباره رمزا لاحتجاج البدو ورفضهم للخطط الإسرائيلية التي تقضي بهدم ٤٢،٠٠٠ بيتا تعود ملكيتها لبدو النقب وموجودة على أراضيهم. وقد وجه حسين الرفايعة، رئيس المجلس، نداء إلى جميع المواطنين ومؤسسات المجتمع المدني للمشاركة في هذا النشاط.

---

* ايزابيل همفريز هي باحثة في شؤون المهجرين الفلسطينيين داخل إسرائيل، ومرشحة لنيل شهادة الدكتوراة من جامعة سوري في لندن.

الشـارع الفلسطينـي: الحـوار والوحـدة مطلبـان أساسيـان للخـروج مـن الأزمـة

تقريـر: فايـز أبوعـون

تقرير خاص بـ "حق العودة":

منذ يوم الخميس، الرابع عشر من حزيران/ يونيو الماضي، والذي أطلق عليه الرئيس محمود عباس، وحكومة الطوارئ، وحركة "فتح"، بيوم الانقلاب العسكري على الشرعية الفلسطينية، وأطلقت عليه حكومة إسماعيل هنيه المُقالة، وحركة "حماس" بيوم الحسم العسكري، أو بيوم تطهير غزة من أجهزة الانفلات الأمني، لم يعد أحد على الأقل في هذه المرحلة بالتحديد، يطرح مصطلحات طالما تعوّد الشعب الفلسطيني بكافة شرائحه المجتمعية على سماعها، وترديدها، مثل شراكة سياسية، أو وحدة وطنية، أو وفاق وطني.

وربما في ظل حالة عدم وضوح الرؤية، وفي ظل حالة عدم التوازن الحاصلة نتيجة ما جرى في غزة، والذي لم يكن متوقعاً من أحد باستثناء الذين نفذوه، إن صح التعبير، تخرج من هنا وهناك أصواتاً خافتة تنادي بالعودة إلى طاولة الحوار، سرعان ما تصطدم بتصريحات الرئيس عباس الذي أكد أكثر من مرة، وفي أكثر من مكان، أنه لا تفاوض مع الانقلابيين، قاصداً بذلك حركة "حماس"، وتصطدم أيضاً بتصريحات هنيه أن أي حوارات يجب أن تتم دون شروط مسبقة، الأمر الذي يخفت من تلك الأصوات أكثر فأكثر، بحيث تكاد تصبح غير مسموعة حتى لمطلقيها أنفسهم.

وفي هذا السياق يقول ناشط حقوق الإنسان مصطفى إبراهيم أنه في هذه المرحلة الخطيرة على المشروع الوطني وحدة الخلافات بعد موجة الاقتتال العنيفة وسيطرة حركة حماس بقوة السلاح على قطاع غزة نحن بحاجة إلى الحوار الوطني الجاد وليس حوار المحاصصة والطبطبة كما كان في السابق لأن الحوار هو سبيل وحدتنا والحفاظ على مشروعنا الوطني وقضيتنا الفلسطينية التي أصبحت في مهب الرياح ومهددة الآن أكثر من أي وقت مضى.

وأضاف إبراهيم لجريدة "حق العودة" أنه بالرغم من موجة الاقتتال العنيفة وحجم الضحايا الذين سقطوا إلا أنه لا سبيل أمام طرفي النزاع فتح وحماس إلا الحوار لأنه ومهما طال الزمن يجب أن يجلسوا على طاولة الحوار ويرسموا مستقبل هذا الوطن للخروج به إلى بر الأمان. وأكد على أن الحوار هذه المرة يجب أن يكون مبني على أسس وطنية سليمة تضمن إعادة صياغة النظام السياسي الفلسطيني من خلال الشراكة السياسية الحقيقية وإعادة بناء منظمة التحرير وتفعيلها لتصبح الممثل الشرعي والوحيد لكافة فئات الشعب الفلسطيني دون استثناء بعد نفض الغبار عنها وعدم استخدامها كغطاء لأجندات حزبية ضيقة.

ومن جهتها اعتبرت المواطنة ليندا عبد الخالق "أم محمد" ٤٧ عاماً من سكان مدينة غزة أن الوحدة ممكنة وذلك من منطلق أن الشعب الفلسطيني بكافة فئاته وأطيافه السياسية شعب واحد وبالتالي يجب على الجميع العودة إلى الحوار والوحدة ولكن بعد أن تقدم حماس اعتذارها للشعب الفلسطيني عما قامت به خلال سيطرتها بقوة السلاح على قطاع غزة من قتل للمواطنين وتدمير للمنازل والاستيلاء على المقار الأمنية مشيرةً إلى أنه ليس بالضرورة أن يكون الاعتذار بشكل صاخب وإنما يظهر من خلال التراجع عما قاموا به من أفعال حتى يشعر المواطنون أنهم قاموا بشيء غير منطقي وغير معقول. وذكرت عبد الخالق أن الحوار ضروري جداً ولكن ليس في هذه المرحلة بالذات لأن النفوس مازالت مشحونة نتيجة ما حدث ومازال يحدث ويجب على طرفي النزاع فتح وحماس التنازل من أجل مصلحة الكل الفلسطيني الذي عانى الكثير من الويلات والحروب والنكبات على مدار سنوات طويلة من عمره.

من جهته قال مراسل صحيفة الخليج الإماراتية الصحافي رائد لافي أن ما نمر به الآن هو مجرد مرحلة انتقالية سيعاني منها السكان المدنيين على وجه التحديد لفترة غير مسبوقة في الزمن إلى حين العودة من جديد إلى طاولة الحوار لإنجاح جهود الوساطة التي تباشرها حالياً أكثر من طرف خارجي. وأشار لافي إلى أنه ورغم حالة التجاذبات السياسية بين الحزبين الكبيرين، "فتح" و"حماس"، طرفي النزاع في الساحة الفلسطينية، والظهور العلني لكل طرف منهما على حدة وكأنه متمسك بموقفه، إلا أنهما يدركان تماماً أنه لا خروج من الأزمة الراهنة، إلا عبر الحوار على قاعدة الشراكة السياسية الحقيقية المبنية على أسس وطنية.

وأضاف أن على الطرفين أن يدركا أن استمرار خلافهما و



أمام بلدية خان يونس (المصدر: وكالة وفا)

تجاذباتهما السياسية يعرضان مشروع التحرر الفلسطيني للخطر أكثر من أي وقت مضى، خصوصاً أن إسرائيل تستغل التناقضات الداخلية لتصدير أزماتها الداخلية إلى الساحة الفلسطينية، والتهرب من الاستحقاقات السياسية، حيث من المطلوب أولاً للوصول للوحدة الحقيقية، اتخاذ خطوات ذاتية إلى الأمام لكسر فجوة الخلافات بينهما، ومن ثم الوصول إلى طاولة الحوار التي يجب أن تتجاوز الطريقة السابقة في الاتفاقات، التي كانت تترك دوماً ذيولاً للمشكلة، ولا تقضي على جذورها وبذلك يكون المطلوب التأسيس لعلاقة وطنية جديدة لمواجهة استحقاقات المرحلة السابقة.

وفي السياق ذاته قالت موظفة البروتوكول في المجلس التشريعي هلا نصار ٢٥ عاماً، أنه عند الحديث عن إمكانية العودة للحوار والوحدة الوطنية، يجب أن لا ننسى أن ما حدث من عملية حسم عسكري راح ضحيته المئات من المواطنين، ما بين قتيل وجريح، جعل مستقبل الشعب الفلسطيني أسود وغامض، ولا يُبشر بإمكانية العودة عما قريب إلى وحدة حقيقية مبنية على أسس سليمة وصحيحة خالية من الأحقاد والضغائن والمؤامرات التي تحاك في ليل، وتُنفذ في نهار.

وأوضحت نصار أنه من الممكن العودة لطاولة الحوار، ويجب العودة إلى ذلك، لأنه لابد من وحدة الشعب وفصائله، حتى يستتب الأمن، ويستقر حال الفلسطينيين الذين ما إن يخرجوا من مأساة، حتى يُزجوا في غيرها، دون أن يكون لهم فيها ناقة أو جمل، ولكن ليس في الوقت الحالي، خاصةً وأن الأجواء مازالت مشحونة، والنفوس تحمل في داخلها الكثير من الآلام والمآسي، وبالتالي يجب على حماس أن تعمل على تليين موقفها، والاعتراف بخطأ ما أقدمت عليه، من أجل جسر الهوة التي أحدثتها بخطوتها العسكرية هذه، حتى يتقدم الجميع خطوات نحو هذه الوحدة.

وأشارت إلى أن الفلسطينيين يعولون على نجاح حوار وتفاهم وتقريب وجهات النظر، من أجل إخراجهم من أزمتهم الاقتصادية والسياسية والحد من عزلتهم على الساحة الدولية، والدخول في مرحلة جديدة من مراحل الكفاح الوطني لاستعادة أرضنا المحتلة ولإقامة دولتنا الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف".

وذكرت نصار أن العنوان الكبير لهذه المرحلة، هو وحدتنا الوطنية الراسخة، وقرارنا الوطني المستقل الذي انتزعناه بدماء قوافل الشهداء على مدى عشرات السنين بقيادة رمزنا وقائدنا الخالد الشهيد ياسر عرفات وكل رفاقه الأبطال، موضحة أن للشعب الفلسطيني ممثل شرعي ووحيد، هو منظمة التحرير الفلسطينية، وأن قضيته العادلة هي قضية تحرر وطني واستقلال ومساواة أسوة بسائر شعوب ودول المنطقة، يجب العمل من خلالها وعلى أساسها.

الفلسطينيـون: بنيـة النكبـات المتراصـة!

بقلم: محمـد نعيـم فرحـات*

يشبه الوضع الفلسطيني إلى حد بعيد وضع فريق كرة قدم يخرج من ركام الفقر والبؤس والاضطهاد ويشق طريقه وسط الصعوبات ويصل إلى تصفيات الدوري، وهناك وبعناء شديد يقوم فريق الدفاع بواجبه على نحو جيد وسط تشجيع الجمهور، ويجاهد خط الوسط ويُوصل الكره إلى خط الهجوم، وفي اللحظة الحرجة يقوم قلب الهجوم بإنجاز ضربة عكسية فتحقق الهدف في شباك الفلسطينيين ؟!

إن هذه الصورة المُحبطة تجد لها نماذج تحليلية كثيرة في التاريخ الفلسطيني المعاصر المليء بالعذابات والمعضلات والأوضاع القلقة والشاقة، وفي كل مرة تصل محاولة الإنجاز والبلورة التي تجري في ظروف معقدة للغاية إلى إخفاق جديد بأثمان باهظة ومروعة لا يجدي معها ذهول الجمهور وإحباط اللاعبين الذي يتحول إلى سأم ولامبالاة واستقالة من حسن المسألة والمراجعة والمحاسبة والاقتصاص وتجنب جماعي عنيد لاستخلاص العبر والدروس ومعاداة ثقافة التعديل والتغيير والتبديل. لقد كانت هذه اللعبة هي الأكثر تكراراً في تاريخ الفلسطينيين المعاصر الذي تحكمه مفارقة مروعة هي كمون الإخفاق في صلب الفاعلية وقيامه في أفق المقاومات الشاقة التي يبلورنها.

وفي مجابهتهم لنكبة قيام إسرائيل على حساب تحويلهم إلى عهن منفوش، كشف الفلسطينيون عن طاقات عالية في المقاومات الوجودية بل لقد حولوا الجلد والمعاودة لمقاومة بحد ذاتها تتفوق على أي شكل أخر من مقاوماتهم، فيما كشفت أبنيتهم السياسية ونخبهم عن قدرة فائقة في تحويل الرهان إلى خيبة، وتحويل العجز إلى قدر تاريخي، وهو ما يشير لوجود عطب وشوائب في بنية الوعي والثقافة الفلسطينية تلعب دور الحليف الموضوعي لما يقوم في واقع حياتهم من صعوبات ومشكلات ونفي يقف ورائها حلف من الخصوم المقتدرين العتاة.

وإذا كانت التحديات الوجودية هي التي تستطيع الكشف عن جوهر الأفراد والجماعات وطاقاتهم ومقاوماتهم، فإنها بذات القدر تكشف عن نقاط ضعفهم وقصورهم وعجزهم، وبفهم النكبة المتواصلة في حياة الفلسطينيين من هذا المنظور، فإن النكبة الأم التي ألمت بالفلسطينيين منذ خمسة عقود وأكثر، تكشف بدورها عن عناصر نكبة كاملة موجودة في طبيعة النخب السياسية التي قادتهم وتداولت عليهم قبل قيام إسرائيل وحتى اللحظة. وبإستثناء حالات من البطولة الفردية أو في مستوى زمرة أودعنا أصحابها في المقابر أو النسيان أو الهوامش أوالظلال، فليس بمقدور أي بنية قيادية فلسطينية معاصرة أن تزعم بأنها قد كانت صاحبة تطلع ورؤية وممارسة وتراث يوازي المتطلبات التاريخية للمشكلات الفلسطينية على نحو نسبي ومعقول ومقبول .

وفي حصيلة تاريخ درامي فإن ما يستقر في وادي الفلسطينيين جراء نكبة قيام إسرائيل وجراء نكبتهم بطبيعة قياداتهم المتعاقبة، هو الخيبات والعجز والإطاحة بالرهانات وإنتاج المأزق وعدم القدرة على بلورة الدروب والحلول أو المسارات التي من شأنها أن تفضي ذات يوم لما هو خلاف ذلك. وعندما تكون النخب القيادية في جماعة ما على ما هي عليه النخب الفلسطينية من قدرات مثيرة في إنتاج المأزق والمشكلات، فإن واقع الحال يشير لنكبة ذات منشأ داخلي أيضا تلاقي وتتحالف مع النكبات الموضوعية التي يواجهها شعب ترعرع في صلب الازمات.

وفي هذه المهلكة فقد كان دور ما يعرف "بالمحترمين" في بنية القيادة الفلسطينية حسب أوصاف التداول والجدل الفلسطيني العام هي كسر القاعدة، وهي وظيفة غير هامة مقارنة مع وظيفة موضوعية أخرى، هي تدعيم الفساد والتردي والانحطاط والخيبة، لأن محترميةً لا تتحول إلى خيار أو قوة تعديل أو ضغط، ولا تعبر عن نفسها في حقل الواقع والتاريخ بصورة مجدية ومنظمة تنتهي موضوعياً كأداة أو كديكور عند بنية الفساد والعجز سواء شاءت ذلك أم أبت.

أما البعد الثالث للنكبة الفلسطينية والذي تكشف عنه النكبة الام وتحدياتها فيتمثل فيما تنطوي عليه بنية الوعي والثقافة الجماعية الفلسطينية من وجود نسق منظم من الشوائب الفعالة والقدرة على التعايش مع العجز والرداءة ومناهضة الضروري في العمق(وتمجيده في الخطاب) وإقصاء القيم الايجابية والروح البناءة ودحرها. لقد تغلب النسق السلبي في الوعي الفلسطيني على النزعة الايجابية فيه وهناك فرق دال وحساس ومهم بين النسق والنزوع، ورغم ما كان لاشتغال النسق السلبي والخبرات السيئة التي يحملها الفلسطينيون بسببه ومساهمات المهلكة في إنتاج المأزق المختلفة، إلا انه ظل حيويا ومقتدرا بصورة تشير لمدى قوته وصلابة تكوينه في بنية الوعي والثقافة الفلسطينية في ظروف تفترض تقدم النزعات الايجابية في الوعي الجماعي الفلسطيني وتحولها إلى نسق. وكأننا هنا إزاء حالة تمأسس قوية للنسق السلبي في الوعي مقابل إنباتات في نزوعاته الايجابية والبناءة!!!!!.

.. وفي هذا السياق يمكن فهم وقوف الوعي والواقع الفلسطيني معاً إزاء مفاعيل ثلاث نكبات تتحالف وتتراكب بالقوة، مقابل نزوع مقاوم وبناء يعاني من الانقاطات والانبتات، تعود على انيترك وسط المشقة والكبد. وفي هذا المستوى بالذات نستطيع التوقف عند بنية النكبة إذا جاز القول كمحدد وكمفسر أساسي للحدث الفلسطيني وما ينطوي عليه من مفارقات ومشقات منذ قرن مضى على الأقل وحتى أخر خبر عاجل يرد ألان من المسرح الفلسطيني.

* * *

يقول جيل دولوز "تولد الجماعات في العذابات التي لا تطاق" وبالقياس إلى حجم العذابات التي أحاطت بالفلسطينيين وما ولدته نكباتهم المتعددة يبدو التساؤل ملحاً: هل تولد وعي فلسطيني حقيقي وجدّي وأصيل ومختلف وغير قابل للانتكاس بما يوازي العذابات التي لا تطاق؟ وعي يقطع مع شوائبه وسلبياته وخبراته المريرة والكارثية، أم أن الولادة المطلوبة كما تقول معطيات الواقع لم تحصل بعد. ويلد التساؤل المُقض من فوره سؤالاً أخر: إذا لم يتولد الوعي الفلسطيني الجديد المبني على الفاعلية والايجابية والروح البناءة وتعدد الأبعاد واستخلاص العبر وثقافة المكابدة والتراكم والإنجاز في خضم قرن وأكثر من العذاب، فمتى سيتولد أو كم يحتاج من العذاب حتى يولد؟



*محمد نعيم فرحات هو كاتب وأستاذ علم الإجتماع في جامعتي بيت لحم والقدس المفتوحة.

مخيـم نهـر البـارد: حـرب بالوكالـة.. ولكن لصالـح من؟ وضـد مـن؟

بقلم: كاريـن مـاك أليستـر*

اللاجئون الفلسطينيون في لبنان لا يؤيدون جماعة "فتح الإسلام"، كما أنهم لا يشاركون في القتال الدائر بين هذه الجماعة والجيش اللبناني، بيد أنهم يتحملون العبء الأكبر من جراء اندلاع القتال في مخيم نهر البارد. فقد سقط ما بين ١٢٠ - ٢٠٠ من المدنيين ضحايا لهذا القتال، وحوالي ٦،٢٦٥ أسرة لاجئة فلسطينية (أكثر من ٣٠،٠٠٠ شخصا) تم تهجيرهم داخليا كما ورد في معطيات الرابع من تموز الجاري. ومع نهاية حزيران كان أكثر من ألف شخص عالقون داخل المخيم، معظمهم من الفئات الأكثر ضعفا، وغير القادرين على المغادرة، مع إمكانية محدودة لديهم للوصول للمساعدات الإنسانية. وقد حدثت للمخيم أضرار واسعة النطاق؛ حيث هدمت آلاف المساكن التي تشكل المأوى الوحيد لآلاف اللاجئين الفلسطينيين في مخيم نهر البارد، كما تم تدمير شبكات المياه والصرف الصحي. وتخطط وكالات المعونات الإنسانية لعودة اللاجئين للمخيم؛ ولكن العودة سوف تستغرق وقتا بسبب وجود الذخائر غير المنفجرة، وعلى الأقل، لمدة شهر واحد أو بحسب التقدم الذي تنجزه فرق إزالة الألغام والمواد المتفجرة.

تشير معطيات وكالة الغوث الدولية- الأونروا الى أن نحو ٢٥ ٪ من ساكني مخيم نهر البارد (٨،٦٢٧ من مجموع ٣١،٠٢٣) مسجلون كـ "حالات عسر شديد" لدى وكالة الغوث، وهو ما يجعل هذا المخيم من بين مخيمات اللاجئين الأكثر فقرا.[١] وقد وعدت الحكومة اللبنانية بالمساعدة في إعادة بناء المخيم، بينما قامت المملكة العربية السعودية بتقديم شيكات معونة مالية بقيمة ١،٣٣٠ دولار أمريكي لحوالي ١٠،٠٠٠ أسرة.[٢] وقد وجهت وكالة الغوث الدولية-الأونروا نداء عاجلا للحصول على ١٢,٧ مليون دولار من أجل مواجهة الاحتياجات الملحة لآلاف اللاجئين الفلسطينيين المشردين من مخيم نهر البارد بسبب استمرار القتال. كما يخشى اللاجئون الفلسطينيون من مغادرة مخيم البداوي الذي لجأوا إليه، أو الأماكن الأخرى التي لجأوا إليها؛ حيث أشارت تقارير موثقة لمنظمات محلية ودولية إلى اعتقالات تعسفية وممارسة التعذيب ضد اللاجئين الفلسطينيين من الرجال.

حول منطلقات الصراع الدائر في مخيم نهر البارد هنالك الكثير من الجدل. وربما جاءت أحداث مخيم نهر البارد كمفاجأة للبعض؛ ولكنها ليست كذلك بالنسبة للبعض الآخر، فمن وجهة نظر هؤلاء؛ كان لا بد من حدوث ذلك. فقد حلل الصحافي سيمور هيرش في مقالته "إعادة التوجيه" (Redirection) في شهر آذار الماضي ٢٠٠٧، في صحيفة "ذي نيويوركر" الأمريكية،[٣] هذا السيناريو كجزء من إستراتيجية جديدة يتبعها البيت الأبيض تتمحور في "إعادة التوجيه"، بهدف إضعاف إيران وحزب الله أو ما يسمى بـ "الهلال الشيعي"، وتوسيع دائرة الصراع المذهبي بين السنة والشيعة. ويحدد هيرش في مقالته عناصر أربعة تركب هذه الخطة الإستراتيجية، وتتمحور في ضمان أمن إسرائيل، ولا سيما عبر شطب التهديد الإيراني؛ واستغلال حلفائها العرب، وخصوصا السعودية من أجل "لجم" حماس عن مهاجمة إسرائيل، إضافة الى التصدي الى "الهيمنة الشيعية" في المنطقة وتتمثل بالنظامين الإيراني والسوري وحزب الله في لبنان وذلك عن طريق تعميق الخلاف المذهبي مع السنة وتشكيل جماعات سنية مناهضة لهذه الهيمنة.[٤]

أما في لبنان؛ يقول هيرش أن هذه الإستراتيجية الأمريكية قد تمت ترجمتها على شكل دعم وتمويل لجماعات سنية عن طريق حلفاء عرب وذلك بهدف زعزعة حزب الله. وبالرغم من صغر حجم هذه الجماعات؛ إلا أنها تعتبر معيقة لحزب الله ومناهضة لوجوده وهيمنته؛ "فتح الإسلام وعصبة الأنصار في مخيم عين الحلوة للاجئين هي من الجماعات التي يقال أنها مدعومة وممولة، ومعظم هذه الجماعات ظهرت في عام ٢٠٠٦، وينتمي معظم أفرادها الى جنسيات مختلفة.

صحفيون آخرون من أمثال فرانكلين لامب في مقال بعنوان "من يقف خلف المواجهة في شمال لبنان"، وبيل نوكسيد في "حروب بالوكالة"، والبرتو كروز في "الحرب السرية ضد حزب الله"؛ كلهم أشاروا إلى خطط مشابهة.[٥] وكتب لامب: "تقضي الخطة أنه نتيجة لأفعال هذه الخلايا، والتي إحداها فتح الإسلام، سيتم توجيه اللوم للقاعدة أو سوريا؛ أو أي أحد، فيما يقوم النادي ["نادي ولش"، الذي تأسس استنادا على ولش، مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية رايس مع عدد من الفرقاء اللبنانيين]".[٦] وحسب "لامب" فإن "هذه الخلايا منتشرة في جميع أنحاء لبنان، ولديها تنظيم واسع وليس فقط في المخيمات الفلسطينية، حيث تمت مقاومتها من قبل حماس وفتح والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مثلما حصل في مخيمي شاتيلا وبرج البراجنة".[٧]

ليس فقط زعزعة حزب الله الشيعي كما ذهب اليه هيرش، بل أن صحفيين مثل ألبرتو كروز وفرانكلين لامب ذهبوا الى أبعد من ذلك. حيث أشار الإثنان الى وجود خطط لحلف الناتو لبناء قاعدة عسكرية في القليعات المتاخمة لطرابلس وعلى الحدود مع سوريا، الأمر الذي يمكنه تفسير السبب وراء سعي الولايات المتحدة لتوفير تمويل للجماعات السنية في لبنان والذين هم أيضا مناهضون لقوة لأمريكا، وبالتالي فإن هذه الجماعات تشرعن الوجود الأمريكي في لبنان.[٨] والقاعدة المقترحة للناتو/الولايات المتحدة، "للجيش اللبناني وتضم مركزا للتدريب الأمني"، ويمكنها أن "تخدم كمقر لقيادة قوات الانتشار السريع لحلف الناتو، ولأسراب من الطائرات العامودية ووحدات من القوات الخاصة"، كما ويمكنها أن "تقدم التدريب للجيش اللبناني ولقوات الأمن التي تجابه السلفيين والأصوليين الإسلاميين ولاحتياجات أخرى".[٩]

الأحداث في نهر البارد لا تزال غامضة، كما هي المنطلقات التي قادت الى اندلاع الاشباك نفسه مع الجيش اللبناني. وتختلف هذه المنطلقات عموما بحسب الجهة التي تقف وراء الأقلام. فبعض التقارير كانت قد أشارت الى أن الصراع قد بدأ في ٢٠ أيار ٢٠٠٧ من قبل مقاتلي فتح الإسلام الذين لم يتسلموا رواتبهم من الجهات التي تمولهم، حيث هاجم أفراد المجموعة البنك الذي يقوم في العادة بإصدار الشيكات لأفراد المجموعة. وأضاف تقرير آخر أن عملية سطو على البنك تمت يوم ١٩ أيار، ثم اندلع القتال صباح اليوم التالي بعد قيام أجهزة الأمن باقتحام منزل آمن في طرابلس، اشتبه أنه يعود لعناصر فتح الإسلام. تقرير آخر أضاف إلى أن جماعة فتح الإسلام كانت تنوي وقف تأسيس القاعدة العسكرية لحلف شمال الأطلسي/الولايات المتحدة بالقرب من طرابلس، الأمر الذي يمكنه تفسير لماذا وضعت جماعة فتح الإسلام مقرها في المدينة.[١٠] بل ان التحاليل قد ذهبت بعيدا من أن بعض عناصر فتح الإسلام زعموا أيضا أنهم يريدون "تحرير المسجد الأقصى وحماية المسلمين السنة".[١١] تقارير أخرى أشارت الى أن الحكومة السورية قد أرسلت مقاتلين من أجل زعزعة حكومة السنيورة وتصفية شخصيات موالية لتيار ١٤ آذار في لبنان.

ومن جانبها تعتبر الحكومة اللبنانية فتح الإسلام مجموعة إرهابية، وفي الأسابيع القليلة الماضية؛ تم توجيه اتهامات لعناصر من فتح الإسلام بالقيام بـ"أعمال إرهابية".[١٢] وقال قائد الشرطة اللبنانية الميجر جنرال أشرف الريفي أن فتح الإسلام كانت مجموعة تابعة لسوريا.[١٣] ففي تقرير نشرته جريدة "المستقبل" في ٢٩ تشرين ثاني من العام ٢٠٠٦، أشير الى أنه: "في تطور بالغ الخطورة، بيّنت التحقيقات التي بدأتها الأجهزة الأمنية اللبنانية أن الحملة الاعلامية التي تمّ تنظيمها في مخيم اللاجئين الفلسطينيين في البداوي لما سمي "حركة فتح الاسلام" تهدف الى توفير غطاء على مخطط تخريبي أعده نظام الرئيس السوري بشار الأسد، وكان يهدف بين ما يهدف الى اغتيال ٣٦ شخصية لبنانية". من جانبها تنفي السلطات السورية وجود أية علاقة لسوريا بفتح الإسلام، جملة وتفصيلا.

لا زالت الأحداث المحيطة بالقتال غير واضحة. ففي العشرين من أيار تلقى الجيش اللبناني تفويضا من الحكومة اللبنانية بتصفية معاقل فتح الإسلام وإزالتها من المخيم، في نفس الوقت، قامت عناصر من فتح الإسلام بالسيطرة على بعض نقاط الجيش اللبناني عند مدخل المخيم، ثم تحصنوا داخل المخيم. ومنذ تلك اللحظة قام الجيش اللبناني بفرض حصار على المخيم وقصفه بأسلحة مختلفة، مطالبا جماعة فتح الإسلام بالاستسلام. ومع بداية تموز؛ كان معظم عناصر فتح الإسلام قد قتلوا أو تم اعتقالهم، وكان القتال منتهي تقريبا. في ذات الوقت، ومن أجل أن تقوم الولايات المتحدة بإظهار الدعم لحكومة فؤاد السنيورة ولحلفائها في الشرق الأوسط؛ قامت الإدارة الأمريكية بإرسال الطائرات المحملة بالعتاد الحربي للبنان، وزادت مساعداتها العسكرية للبنان سبع مرات منذ عام ٢٠٠٦".[١٤]

رغم ان التحليلات التي تصب جميعا في خانة "حرب بالوكالة" ولكن بتوجهات متناقضة تماما تبقى القضية الأساس وهي في أن اللاجئين الفلسطينيين، ورغم كونهم لا يدعمون تنظيم فتح الإسلام، يعانون مرة أخرى من التدخلات الخارجية، وبالأخص من نتائج السياسة الأمريكية المتخبطة في الشرق الأوسط، عن طريق تصدير "الفوضى الخلاقة".

---

*كارين ماك أليستر هي خبيرة قانونية ومنسقة برنامج الدعم القانوني في بديل/المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، ومحررة فصلية "المجدل" التي يصدرها المركز باللغة الانكليزية.

هوامش

١. انظر "الأنروا"، طوارىء ٢٠٠٧ لبنان، ملف المخيم: نهر البارد، متوفر على الصفحة الإلكترونية للوكالة.
٢. لبنان: اللاجئون يحصلون على تمويل سعودي، ويطلبون ملجأ قريبا من المخيم" IRIN News، ١٠ July ٢٠٠٧.
٣. هيومان رايتس واتش (منظمة مراقبة حقوق الإنسان): "لبنان: لتنتهي الانتهاكات ضد المشردين من المخيم"، بيروت، أخبار حقوق الإنسان، ١٣ حزيران ٢٠٠٧. أنظر أيضا "لبنان: مجموعة حقوقية تدعو للتحقيق الجدي في دعاوي الانتهاكات المقدمة من الفلسطينيين. أخبار IRIN، ٢٠ حزيران، ٢٠٠٧.

Seymour M. Hersh. “The Redirection”، The New Yorker، 5 March 2007.

٤. Popular Aid Relief and Development (PARD)
٥. عملية الإغاثة الطارئة – مخيم البداوي"، تحديث المعطيات حول الوضع ونشاطات البرنامج، ٢٥ أيار، ٢٠٠٦ – ٦ حزيران ٢٠٠٧.
٦. أنظر: بل نوكسيد، "حروب بالوكالة، ٢٨ أيار ٢٠٠٧،
٧. فرانكلين لامب: "من يقف وراء القتال في شمال لبنان؟"، كاونتربانش، ٢٤ ايار ٢٠٠٧.
٨. فرانكلين لامب: "إنفجار الوضع مجددا في لبنان، فشل الحل عبر جيش سني"، أصوات متضاربة، ٢٠ حزيران، ٢٠٠٧.
٩. إلبرتو كروز: "الحرب السرية ضد حزب الله"، أي.سي. اتش، ١٢ حزيران ٢٠٠٧، وفرانكلين لامب "لبنان وخطة القاعدة العسكرية الأمريكية في القليعات" كاونتر بانش، ٣٠ أيار ٢٠٠٧.
١٠. برنامج التنمية والمساعدة الشعبية، مرجع سابق.
١١. فرانكلين لامب، مرجع سابق.
١٢. الجزيرة:"الجيش اللبناني يسحق المخيم المحاصر"، الجزيرة، ٧ حزيران ٢٠٠٧.
١٣. أسوشيتد برس: "فتح الإسلام: مجموعة مجهولة ظهرت كتهديد جديد للأمن اللبناني"، انترناشينال هيرالد تريبيون، ٢٠ أيار ٢٠٠٧.
١٤. "تقود الولايات المتحدة جهودا دولية تهدف لتحديث وعصرنة الجيش اللبناني، وقد خصصت واشنطن في السنة الماضية ٤٠ مليون دولار كمساعدة عسكرية، وفي هذه السنة وصل الرقم إلى ٢٨٠ مليون دولار"، نيكولاس بلانفورد. "في المواجهة ضد المليشيات، لبنان مدعوم من قبل الولايات المتحدة ودول الخليج"، مخيم نهر البارد؛ كريستيان سينس مونتور، ٤ حزيران ٢٠٠٧.



لاجئون من مخيم نهر البارد (المصدر: أ.ف.ب)

الأطفال النازحون من مخيم نهر البارد يبحثون عن حقوقهم المفقودة

تقريـر خـاص مـن المنظمـة الفلسطينيـة لحق العـودة (ثابـت)، بيـروت

المدنيون هم دائما ضحية النزاعات بين الأفرقاء، ويدفع الأطفال الثمن الباهض من هذه الإشكالات. لا لشيء سوى أن قدرهم أوجدهم في تلك المناطق غير الآمنة. والأطفال اللاجئون من مخيم نهر البارد أحد تلك الأثمان التي تدفع نتيجة الصراع المسلح بين الجيش اللبناني من جهة وتنظيم فتح الإسلام من جهة أخرى. فهذه الطفولة لم تقترف ذنبا إلا أنها تعيش في مخيم نهر البارد. أطفال مخيم نهر البارد اليوم، يبحثون عن حقوقهم المفقودة والمسلوبة، هم يريدون العودة إلى بيوتهم، فقد باتوا يخافون أن يُسلب منهم مخيمهم المتواضع بعد أن سُلب منهم وطنهم فلسطين.

عراقيل أمام العودة إلى المخيم

بعد مرور ٣٤ يوما على أحداث مخيم البارد، أعلن الجيش اللبناني وقف العمليات العسكرية وأعلن تنظيم فتح الإسلام وقفا لإطلاق النار من جهة واحدة. ويبقى اللاجئون المدنيون في حال انتظار ساعة الصفر للعودة السريعة الى المخيم، فهم في حالة ترقب وانتظار، تارة أمام التلفاز وأخرى أمام المذياع وأخرى اتصالات لوكالات الاعلام للسؤال والاستفسار عن أي جديد يتعلق بالعودة الى المخيم، خاصة بعد أن سرت إشاعات تتحدث عن عودة قريبة الى المخيم لا تتجاوز الأسبوع، وقد بدأت العائلات تحزم أمتعتها المتواضعة وتستعد للعودة عند أول إشارة. وهذا ما حصل بالفعل الى السيد خالد عبد العال من قرية الغابسية الذي سارع صبيحة يوم الجمعة (٢٢ حزيران) الى جمع أغراضه والمساعدات من الفرش والأغطية وبعض المواد الغذائية واستقل سيارته مع أبنائه التسعة وتوجه الى المخيم عائدا، إلا أن أول حاجز للجيش اللبناني في منطقة المنية منعه من إكمال طريقه لأن قرار العودة للنازحين لم يتخذ بعد وهو بحاجة الى بضعة أيام.

ومع الإعلان عن استمرار محاصرة المخيم وعدم السماح للمدنيين بالعودة إليه من جديد حتى استسلام قيادات فتح الإسلام من جهة وعودة الاشتباكات المسلحة من جديد، أدى الى انتكاسة جديدة لدى اللاجئين النازحين، وتحول التفاؤل الى نقمة وغضب، بانتظار بارقة الأمل. أما حال مخيم نهر البارد الحالي فهو كما وصفه لنا بعض من خرج بعد أكثر من ٢٨ يوما من الحصار، بأن المخيم قد تغيرت معالمه بشكل غريب، وسيفاجأ الأهالي وزواره من هول ما سيشاهدونه من دمار، فالأبنية والمدارس والمساجد والروضات والمحلات والمؤسسات فمعظمها قد دمر وحارات بأكملها قد سويت بالأرض.

أطفال البارد في مخيم البداوي

كلما طالت فترة النزوح كلما اشتدت وطأة الأزمة الإنسانية وتداعياتها النفسية والاجتماعية على النازحين ومن يأوي النازحين من أبناء مخيم البداوي الذين فتحوا منازلهم لإيواء إخوانهم من نهر البارد، على أمل ألا تطول الأزمة وتتحقق العودة الى المخيم بأسرع وقت ممكن.

تجولنا بين النازحين نستطلع أحوالهم، نكون قريبين منهم، نعايش حياتهم اليومية ونتقاسم وإياهم الهموم والحكايا وأحلام الغد، فهذا الذي يفترش الأرض وذاك الذي يلعب الورق مع زملائه، وذاك الذي يبحث عن مكان يحتمي فيه من حرارة شمس الصيف، وتلك تغسل الثياب وأخرى تحمل الماء وتلك السيدة تواجه صعوبة في إشعال "بابور الكاز" ربما لاستعماله لتسخين ماء الاستحمام أو لإعداد الطعام أو الغسيل أو ربما لشرب كوب من الشاي بعد عناء يوم طويل. ولكن ما استوقفنا أكثر كان حال الأطفال النازحين الذين كثرت الجمعيات والمؤسسات الأهلية المتخصصة لتضع كل إمكاناتها وقدراتها البشرية للتخفيف من معاناتهم. أولائك الأطفال الذين فقدوا الأمان والاستقرار وروتين الحياة اليومي، هذا عدا عن فقدان البعض منهم للعزيز من الأب أو الأخ أو الأم أو الجار أو ابن القرية في فلسطين أو ابن الحيّ، فوفروا لهم أدوات التعبير من الرسم واللعب والمحادثة وغيرها، ولكن الحاجة دائما كبيرة والإمكانيات قليلة، نحن نتحدث عن ٢٤٨٨ طفل وطفلة.

نجول بين الأطفال، نحاول فهم ما يقولون، نفسّر إيماءاتهم وبكائهم وطريقة لعبهم التي تحمل كل سؤال وكل استفسار والغاز لا يفهمها سوى العارفون بالطفولة وحقوق الأطفال، فالعنف والخوف والصراخ واختراع الأشخاص الوهمية ومخاطبتها تارة بلغة اللهفة والشوق وطورا بلغة العنف والتأنيب واستخدام للألفاظ البذيئة. هنا وهناك وهنالك، مجموعات من الأطفال، البعض منها ثنائي والبعض أكثر وآخرون لا يريدون مشاركة أحد يلعبون لعبة "بيت بيوت" الشهيرة وهي التي تحاكي حياة الطفل اليومية، تنقسم المجموعات الى طرفي قتال وأخرى تحضر الإسعاف والضمادات وأخرى تشكل قوة شرطة للفصل بين المتخاصمين. حياة يومية يجسدها الأطفال مرغمين ببراءتهم وعدم خلوها من الضحك والجدية ولعب الأدوار. علامات الاستفهام ترتسم على وجوهنا، لا نعرف لماذا يبكي هذا الطفل وهو يقف أمام الناس بكثرتهم وتنوعهم، ربما يريد إن يلفت النظر إليه، ربما يتذكر من فقد أو من فارق، ربما هو جائع ربما يتألم وربما وربما.. فقد اعتاد أطفال المخيم قبل الحرب، بالرغم من معاناتهم الإنسانية، اعتادوا في نهاية كل اليوم أن ينام بين أهله وإخوانه وعائلته وفي (سريره) الذي كان يأوي إليه بعد يوم مليء بالضحك الذي لا يعرف إلا طريق الصدق والنقاء والبراءة، واليوم هم في حيرة مع ذويهم، يراقبون بحذر ما الذي ستؤول إليه الأمور في المستقبل.

الكثير من النازحين من مخيم نهر البارد اليوم يعانون من أزمات نفسية وصدمات وضغط نفسي واكتئاب نتيجة ما شاهدوه وعايشوه من التدمير عدا عن مشاهداتهم للجرحى والقتلى وحالة النزوح الجماعي والصدمة الإنسانية التي تلقوها في فترة زمنية قياسية (ليلة وضحاها). وبالتأكيد، لم يسلم الأطفال من التعرض لمثل هذه الحالات وتداعياتها. ولمعرفة تأثير أحداث مخيم نهر البارد على الأطفال، زارت منظمة ثابت بعض رياض الأطفال في مخيم البداوي والتقت بأطفال استطاعت المآسي وتجربة النزوح أن تعلمهم الكثير رغم صغر سنهم. وقابلت شخصيات متخصصة وأعدت التقرير التالي:



لاجئون من مخيم نهر البارد في مخيم البداوي (المصدر: أ.ف.ب)

روضة أطفال فلسطين

في هذه الروضة يقول الطفل حمزة عماد عبد المعطي: "عمري سبع سنوات، أحب المسرحيات وأطمح أن أصير طبيبا عندما أكبر. وقد كنت أدرس في مدرسة المنارة، أما الآن فلا أذهب إلى المدرسة ولكن لا أزال أتذكر درس الرياضيات الذي كان آخر ما تعلمت قبل أن أخرج من المخيم". ويضيف أنه كان نائما عندما بدأت الاشتباكات في المخيم. ويعتبر حمزة أن مخيم نهر البارد أجمل مكان بالنسبة إليه وأفضل من مكان سكنه الحالي. ويقول: "أتمنى أن أرى أصدقائي وأقاربي مجددا، فأنا منذ أتيت إلى هنا لم أجد أحدا سوى عائلتي المكونة من خمسة أفراد".

أما خالد نائل أبو صيام ذلك الطفل الذي لم يتجاوز الثلاث سنوات، فتظهر على ملامحه سمات الحزن والتعب رغم عمره الصغير جدا. يقول خالد: "لقد هدموا بيتنا وكسروا الشبابيك." ويضيف بأنه صار يبكي حينها ولكنه رغم ما حدث قال لجدته: "لا تخافي يا جدتي، أنا معك". ويقول أنّ حائط منزلهم قد سقط عليهم ولكنهم لم يصابوا بأذى، وكانوا لا يستطيعون التنفس جيدا وكادوا أن يختنقوا. يتمنى خالد أن يعود إلى منزله في نهر البارد وأن يضع حجارة بيته في النهر كي يمر عليها الناس.

آية عمر عبد المعطي، تلميذة في روضة الأقصى وتقيم حاليا في روضة أطفال فلسطين، تقول: "عمري ست سنوات، أنهيت الروضة وتسجلت في مدرسة بتير، وكنت متشوقة للذهاب إليها ولكنني لم أذهب". تدمع عيناها وتبدو علامات الحزن والظلم على محياها وتضيف: "عندما أكبر أريد أن أصبح معلمة، و لكن ليس في مخيم نهر البارد فأنا أخاف أن أعود إليه مرة أخرى.

وقد كان لنا وقفة مع شابتين من المخيم كانتا قد خرجتا منه بعد أكثر من عشرين يوما تحت القصف والاشتباكات. تقول أمل حسام الحاج أحمد (١٧ عاما): "لقد وصلنا بعد عشرين يوم من القصف، لقد كنا خائفين من الإشاعات التي سمعناها أن من يخرج من المخيم لن يعود مرة أخرى". وتضيف أن الجيش قد أخذ أخاها الكبير ولم يستطيعوا معرفة مصيره حتى الآن. وتقول أنها تلميذة ثانوية في مدرسة عمقا، ولا تعرف ما سيحل بالسنة الدراسية التي شارفت على نهايتها. وأما عن الوضع داخل مخيم البارد فقد وصفت لنا أمل أن الطعام كان شحيحا والماء كذلك، وفي حال أرادوا الحصول على الماء كانوا يخاطرون بحياتهم لتحقيق ذلك. و تقول أن خالها أصيب بجراح جراء القصف عندما كان يقف على باب المخيم ليساعد الناس، وقد شهد وفاة شخصين أثناءها، وتوجه أمل رسالة الى العالم بأنها في المخيم "لاجئة ومقيمة إقامة مؤقتة وتريد العودة الى قريتها الدامون قضاء عكا في فلسطين، واليوم بعد الأحداث نريد العودة الى المخيم أولا ومن ثم العودة الى فلسطين وليس الى أي مكان آخر".

أما عبير شقيقة أمل فأفادت بأن الملجئ الذي كانوا فيه قديم وإذا سقطت عليه قذيفة فحتما كان سينهار فوق رؤوسنا، إضافة إلى أن الملجئ غير صحي و كان فيه براميل مازوت التي فيما لو اشتعلت فإنها حتما كانت ستقضي علينا، و بالتالي كانت أرواحنا على أكفّتنا. وتقول أخيرا أن لا شيء يعوض ما ذهب" وعن سؤالنا لعبير بان هناك من يقول بأن ما يجري في مخيم نهر البارد هو مقدمة للتوطين تقول "نحن نرفض التوطين والتهجير والتجنيس، وليس لدينا بديل عن العودة الى فلسطين حيث القرية وليقولوا ما يقولون، طالما أنا متمسكة بحقوقي فلن يستطيع احد ان ينتزعها مني".

وفي حديث لنا مع الطبيب الجراح الذي عالج معظم الحالات المصابة من النازحين د.حسين حوراني. أشار إلى أن الشعب الفلسطيني هو من كان الضحية ويدفع الثمن من معاناة وتشريد ولجوء جديد قسري و أضاف: "هناك مستوصفا واحدا الآن في مخيم نهر البارد هو مستوصف الشفاء. ويضيف بأن ٧٠٪ من الجرحى تعرضوا لشظايا و ٣٠٪ تعرضوا لإطلاق نار.

وفي مقابلة أخرى مع عاصم عبد الباسط المجذوب أحد أفراد عائلة مكونة من اثني عشرة فردا فقد أخبرنا بأنهم كانوا يسكنون في حي السوق. وقد خرجت هذه العائلة منذ يومين فقط من مخيم نهر البارد، حيث بدا على وجوه أفراد الأسرة التعب والإنهاك واللون الشاحب لما شهدوا في المخيم. يقول عاصم: "خرجنا من المخيم لنرى الحرائق والدمار. لم نصدق ما رأينا وكأننا في مكان لا نعرفه ولم نسكن فيه قط. أما القتلى والجرحى فقد أخذهم الجيش ولم نعرف عنهم شيئا وهناك شهيدان ماتا على أثر النزف وهما محمد وهبة ومحمود الدلو. يضيف: "بقينا حوالي الأسبوع لا نأكل و لا نشرب إلا القليل، ورغم ذلك لم نُرد أن نخرج من المخيم لما تناقل على الألسن أن من يخرج لن يعود مرة ثانية". وقد أفاد بأنهم كانوا سبعين شخصا في الملجئ المؤلف من غرفتين فقط. وأما من يخرج من المخيم فكان الجيش يوقفه، وأما أخوه البالغ من العمر خمسة عشر عاما فتم إيقافه ولا تعلم عائلته عنه شيء منذ أربعة أيام. ويقول: "لقد مشى الشباب حوالي ٤٠٠ متر سيرا على الأقدام أما النساء والفتيات والأطفال والعجائز، فقام بإخراجهم الصليب الأحمر اللبناني. أما الشباب فأخذهم الجيش للتحقيق معهم.

الحالات الصحية

وقد أُفدنا بأن هناك حالة واحدة من السل يعاني منها طفل واحد في مخيم البداوي، و قد عُزل كي لا يؤدي اختلاطه مع غيره لأي عدوى أخرى. أما حالات الجرب والتقمل والإسهال فكثيرة وتنتشر يوما بعد يوم. أما الأسباب فتكمن في صعوبة الإستحمام خاصة لدى الفتيات، إضافة إلى أن طبيعة العيش في المدارس أمر غير صحي أو إنساني ومكان غير مجهز بالشروط الطبيعية للعيش. أما الإسهال فتكمن أسبابه في تلوث الأطعمة على الأغلب حيث لا برادات تبرد الطعام أو أماكن مغلقة لحفظه. و لحسن الحظ أن وكالة الغوث الدولية- الأونروا استطاعت أن تؤمن مؤخرا حمامات خاصة للاستحمام، مما من شأنه أن يخفف من وطأة الأمراض التي يتعرض لها المدنيون والأطفال.

وعود على أمل التحقق

أكدت الحكومة اللبنانية عودة النازحين إلى منازلهم وأعربت عن التزامها بالعمل على تحقيق تلك العودة ومعالجة كافة الأضرار التي لحقت بالمدنيين الفلسطينيين وممتلكاتهم عبر إطلاقها شعار "خروجكم مؤقت، رجوعكم مؤكد، إعمار المخيم محتم". وتبقى علامات الاستفهام حول المدة الزمنية التي يتطلبها إعادة إعمار المخيم من جديد ومسح الأضرار التي لحقت به والتي جعلت منه مكانا غير ملائم للسكن ليس على صعيد الأبنية فحسب بل على الصعيد البيئي والصحي. ويبقى الأطفال مع أحلامهم وحقوقهم على موعد للعودة من جديد، الى المخيم ومنه الى ديارهم الأصلية في فلسطين.

قـراءة في وثـائـق التصـور المستقبلـي للفلسطينييـن داخـل إسرائيـل

بقلم: شوقـي العيسـة *

خلفيـة

هذه المجموعة من الفلسطينيين الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية هم أناس يعيشون في وطنهم ، كانوا وما يزالوا. قامت حركة أجنبية (الحركة الصهيونية) بنقل مجموعات (إثنية دينية) من أتباعهم إلى فلسطين بالقوة وبمساعدة الحكومة الأجنبية (البريطانية) التي تسيطر على البلاد، دون أن يكون هناك أية أرضية قانونية تسمح لهم بذلك. وبدون تواطؤ الحكومة البريطانية التي عملت بناء على وعد بلفور البريطاني ما كان لهم القدرة على تحقيق ذلك. من ناحية أخرى استغلت الحركة الصهيونية مجازر النازية ضد اليهود والنزعة اللاسامية في أوروبا في ذلك الوقت لتضليل اليهود وجلبهم إلى فلسطين، ثم قامت الأمم المتحدة التي أسست حديثا وقتذاك، على أنقاض الحرب العالمية الثانية لتحافظ على ميزان القوى العالمي بين المنتصرين في الحرب. قامت هذه المنظمة الدولية باتخاذ قرار حمل الرقم (١٨١) على أساس موازين القوى وليس على أساس قانوني عادل ودون اخذ موقف شعب فلسطين بالاعتبار، بتقسيم فلسطين إلى دولتين، وكانت النتيجة الطبيعية لهذا القرار والعمل على تنفيذه اندلاع صراع مسلح. وبما أن الشعب الفلسطيني كان ضعيفا ويعيش تحت الاحتلال البريطاني وقبله التركي، وحلفاؤه من الدول العربية المجاورة كانوا أيضا في حالة ضعف والذي استقل منهم لم يتخلص بعد من الهيمنة الاستعمارية، فقد دار الصراع المسلح بين حوالي ٤٥ ألف عربي بما في ذلك الفلسطينيين وجميع هؤلاء بدون تنظيم جيد وبدون تسليح كافي وبدون تنسيق بل وحتى بخلافات حادة وصلت إلى الخلاف حول إهدافهم، وبين حوالي ٩٥ ألف جندي صهيوني مسلحين بشكل أكثر من جيد ومدربين جيدا ولهم قيادة مركزية مؤهلة ودعم واسع من الدول العظمى وخاصة بريطانيا. ونتيجة ذلك كانت بالضرورة انتصار الحركة الصهيونية وقيامها بتهجير مبرمج لغالبية الشعب الفلسطيني، استخدمت لتحقيقه العديد من الأساليب بما في ذلك المجازر البشعة، وأقاموا دولة اختاروا لها اسم "إسرائيل". ولكن ليس على أساس قرار الأمم المتحدة (١٨١)، بل أقاموها على كل الأراضي التي سيطروا عليها نتيجة النزاع المسلح والتي تمثل حوالي ٧٨ ٪ من مساحة فلسطين التاريخية، وأقاموا داخل هذه الدولة نظام عنصري يضع كل السكان الأصليين الفلسطينيين الذين بقوا في ما أصبح اسمه "دولة إسرائيل" تحت حكم عسكري لمدة تقارب ١٨ سنة، وبعد ذلك أصبحوا يخضعون لأحكام عنصرية ممنهجة قانونية وعملية وفي كل مناحي الحياة.

إذا، لا بد من التحديد أن المسؤول عن هذا الظلم الواقع على هؤلاء الفلسطينيين هو أولا الحركة الصهيونية التي أصبحت لاحقا دولة إسرائيل، ثم المملكة البريطانية التي كانت تسيطر على فلسطين كانتداب وعملت ضد مصالح شعب فلسطين بدل الحفاظ على هذه المصالح، وكذلك الأمم المتحدة وباقي الدول العظمى وخاصة الولايات المتحدة. كل يتحمل مسؤولية ما قام به و/أو لا يزال يقوم به، أو ما لم يقم به وكان يجب عليه القيام به، حيث تقوم الولايات المتحدة وحلفاؤها بتقديم الدعم والحماية لإسرائيل الخارجة عن القانون والتي ترفض تطبيق قرارات مجلس الأمن والجمعية العمومية للأمم المتحدة والقوانين الدولية وترفض احترام وضمان حقوق الإنسان والمساواة بين مواطنيها، وكذلك مستمرة في احتلال أراضي الغير من الدول المجاورة بالقوة العسكرية.

العمـل السياسـي الفلسطينـي داخـل إسرائيـل

منذ قيام إسرائيل وبعد أن استقرت الأوضاع، بدأ الفلسطينيون في داخلها بالتحرك للحفاظ على أنفسهم وضمان مقومات بقائهم والحفاظ على هويتهم العربية الفلسطينية، وكان دور فعال وهام للشيوعيين في هذه المقاومة، في ظل غياب للتيارين الديني والقومي أو على الأقل لم يكن دور يذكر كما هو الحال مع دور الشيوعيين، وتركز العمل بالأساس على صراع البقاء وتنمية الشعور القومي وترسيخ الهوية الثقافية وتحقيق مكاسب حياتية، في ظل العزل الكامل الذي فرضته إسرائيل عليهم عن امتدادهم الفلسطيني والعربي الطبيعيين، وذلك من خلال البلديات والمجالس المحلية والنقابات وغيرها من الهيئات الرسمية بما يسمح به النظام الديمقراطي الشكلي، وبما في ذلك البرلمان (الكنيست)، إضافة إلى العمل التطوعي لمناهضة الحصار الذي فرضته الدولة على الهيئات التي يقودها المناوئون لسياسة الدولة العنصرية. ومع الوقت وبعد انتهاء الأحكام العسكرية زادت فاعلية هذه النشاطات وتوسعت إلى أن تحولت إلى عمل كلاسيكي روتيني. لا بد من الإشارة أيضا إلى بعض المجموعات القومية التي عملت بشكل سري وعلني ورفضت الانخراط في العمل الرسمي من خلال الكنيست وغيرها ولكن تأثير هؤلاء بقي محدودا وليس واسع الانتشار. الدولة العنصرية بدورها حاربت كل هذه النشاطات بمختلف تفرعاتها ولاحقت قياداتها بالاعتقال والتعذيب والإقامات الجبرية وغير ذلك.

مـا بعـد ١٩٦٧

لقد شكل احتلال عام ١٩٦٧ محطة هامة في حياة ونشاطات الفلسطينيين في داخل إسرائيل، حيث أصبح بإمكانهم التواصل مع الفلسطينيين في الأراضي التي احتلت عام ٦٧، وهذا أضاف على مسؤولياتهم مهمة دعم ومساندة الفلسطينيين تحت الاحتلال، ولاحقا علاقات محدودة مع منظمة التحرير اتسمت بالتنسيق وليس بالانخراط التنظيمي. من جهة أخرى كثفت المخابرات الإسرائيلية من عملها ضدهم وفرضت في كثير من الأحيان على قادتهم منع الدخول إلى الأراضي المحتلة كما منعت توزيع منشوراتهم في هذه الأراضي، وركزت كذلك على اختراق صفوف هؤلاء الفلسطينيين من خلال التفرقة في التعامل والى حد ما الحقوق والواجبات بين الديانات والطوائف المختلفة. وبدأت تظهر إفرازات اجتماعية واقتصادية، وتبلورت امتدادات لأحزاب صهيونية بينهم وان بشكل صغير في البداية لتنافس الوطنيين على قيادة هذه الشريحة من الشعب الفلسطيني. ولكن ورغم كل شيء ظهر جليا التفاعل الكبير بينهم وبين فلسطينيي المناطق المحتلة. وعلى الصعيد السياسي ظهر بشكل واضح موقف عام داعم لبرنامج منظمة التحرير الفلسطينية الداعي إلى قيام دولة فلسطينية في الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ إلى جانب إسرائيل. واستقرت إلى حد كبير نشاطاتهم السياسية والحياتية بأشكالها المذكورة، وأضيف عليها شكل التظاهرات الجماهيرية الكبيرة التي سقط خلالها العديد من الشهداء في مواجهات مع القوى العسكرية الاسرائيلية مثل ما حدث في ما اصبح يعرف بـ "يوم الأرض" عام ١٩٧٦، ولكن بشكل عام بقي النشاط دون تغيير أو تطوير ودون الخروج على ما يمكن تسميته (الخطوط الحمراء) التي أصبح متعارفا عليها، إلى أن اندلعت الانتفاضة الأولى في الأراضي المحتلة في كانون أول ١٩٨٧ .

خلال الانتفاضة، وجد الفلسطينيون في داخل إسرائيل أنفسهم أمام مهام ومسؤوليات كبيرة وهامة تمثلت في القيام بنشاطات دعم ومساندة سياسية ومالية وقانونية وغير ذلك للفلسطينيين المنتفضين ضد الاحتلال. وقاموا بها بشكل مشرف فاق بعض التوقعات، وأظهر فشل الأمن الإسرائيلي في تدجينهم وتطويعهم رغم كل ما قام به على مدى أربعين عاما. التأثير والتأثر المتبادل الذي حصل أثناء الانتفاضة كان ظاهرا بجلاء وأدى إلى خروج العديد من السياسيين هناك من الأحزاب الصهيونية وتشكيل أحزاب فلسطينية في محاولة لتنظيف أنفسهم، وكذلك بسبب الدفعة التي أحدثتها الانتفاضة للفلسطينيين في كل مكان وليس فقط في داخل إسرائيل، إضافة إلى بدء ظهور تيار الدين السياسي، وقد كبرت هذه الهويات السياسية الجديدة وبدأت بالانتشار مع التطورات التي حدثت في المنطقة (اتفاقية اوسلو وظهور حماس كقوة ومعاهدة السلام مع الأردن وإمكانية قيام علاقة علنية مع منظمة التحرير بما في ذلك الجانب المالي إضافة إلى رضى إسرائيل عن قيام البعض بدور الوسيط أو حلقة الوصل مع منظمة التحرير أو مع غيرها من أطراف الصراع العربي الإسرائيلي بشكل عام) وهذا أدى إلى ظهور خارطة سياسية جديدة بين الفلسطينيين في إسرائيل، أنهت إحتكار (إذا جاز التعبير) الشيوعيين على قيادة الجماهير، وأبرزت قوة التيار الديني، وأظهرت دور فاعل لمنظمات المجتمع المدني، ووجود لتعبيرات سياسية للبرجوازية المحلية، وكذلك للقوميين اليساريين، وظهور مفكرين وأكاديميين يطرحون ما يريدون بدون التزام بسقف برامج الأحزاب والتنظيمات السياسية، وأصبح هناك انفتاح على العالم العربي من خلال الأردن ومصر وبعض دول الخليج، كما لوحظ الشعور المتزايد بالقوة، والبحث عن دور مشارك في الدفاع عن المقدسات الدينية في القدس، وجاءت إحدى التعبيرات عن هذا الشعور بالقوة والانتماء للشعب الفلسطيني خلال الانتفاضة الثانية، في المظاهرات القوية التي قمعت بدموية وأدت الى سقوط العديد من الشهداء، وأصبحت قضية حقوق الفلسطينيين في إسرائيل بندا حاضرا على أجندات المؤتمرات الاقليمية والدولية.

في الجانب الآخر، أدى كل ذلك إلى حالة استنفار لدى المؤسسة الرسمية الصهيونية الإسرائيلية وبين الأحزاب الصهيونية بكل أنواعها، وأصبح الحديث عن هذا (الخطر) حاضرا في كل المحافل وعقدت المؤتمرات وأجريت الأبحاث والدراسات لمواجهته، وبالتأكيد وضعت الخطط والاستراتيجيات السرية والعلنية لمواجهته، والتي ظهر منها إقرار بعض القوانين العنصرية الجديدة ومواصلة العمل بما كان موجودا منها، والبدء بالقمع السياسي والتجهيز لـ "خطوط حمراء" جديدة ، خاصة وان الايدولوجيا الحاكمة في إسرائيل لا تريد الوصول إلى حل للقضية الفلسطينية في هذه المرحلة أو في المستقبل القريب، اعتمادا على أن موازين القوى الإقليمية والدولية تميل لصالحها أمام ضعف وانقسامات فلسطينية وعربية.

التصـور المستقبلـي: منطقـه ووثائقـه

امام هذه المعطيات والواقع الناشئ أصبح واجبا على الفلسطينيين في إسرائيل تحديد وحسم تصورهم للمرحلة وماذا يريدون وكيف يحققون ما يريدون، وهذا وضعهم أمام مفترق طرق (إذا جاز التعبير) وأمام خيارات إستراتيجية يمكن إجمالها في التالي: أولا: إعداد تصور على أساس الحل الشامل المبني على العدالة النسبية والذي يحل قضية الصراع الفلسطيني الإسرائيلي برمته من خلال قيام دولة واحدة ديمقراطية (علمانية او ثنائية القومية) على كل فلسطين من البحر الى النهر. ثانيا: تصور على أساس حل يطبق قراري الأمم المتحدة رقم (١٨١) (١٩٤). وثالثا: تصور على أساس الحل المطروح على نطاق واسع وهو قيام دولتين في حدود ١٩٦٧.

وقد قامت الهيئات الممثلة للفلسطينيين في إسرائيل بما في ذلك التنظيمات السياسية وبعض مؤسسات المجتمع المدني والأكاديميين والمثقفين والنشطاء



مدينة الناصرة (المصدر: palestineremembered.com)

في مختلف الميادين بالتداعي للبحث والنقاش واستمر هذا العمل المكثف إلى أن تمت صياغة وثيقة التصور المستقبلي للعرب الفلسطينيين في إسرائيل والتي أدارت العمل عليها اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية العربية في إسرائيل وهي الأوسع تمثيلا ويرأسها رئيس لجنة المتابعة العليا التي تضم إضافة إلى اللجنة القطرية أحزاب ومؤسسات، وصدر في أوقات متقاربة مقترح دستور ديمقراطي لإسرائيل عن مركز عدالة، ووثيقة حيفا عن مجموعة من قادة الرأي والباحثين والناشطين ومبادرة من مركز مدى الكرمل.

تأرجحت التصورات في الوثائق بين الحديث عن حقوق مواطنين فردية وجماعية إلى حقوق بإدارة ذاتية لأقلية إلى (حكم ذاتي) بشكل أو بآخر لأقلية قومية في داخل دولة إسرائيل وذلك من خلال ديمقراطية توافقية.

جميع الوثائق انطلقت من الخيار الثالث أعلاه وهو دولة إسرائيل في حدود عام ١٩٦٧، إلى جانبها دولة فلسطينية إضافة إلى حل لقضية اللاجئين على أساس قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤، وبذلك أزاحت عن كاهلها الخوض في الخيارين الأول والثاني أعلاه، كونهم لا يدعون تمثيل الشعب الفلسطيني، وكون هذا الخيار هو البرنامج الرسمي لمنظمة التحرير الممثل الرسمي المعترف به للفلسطينيين، وكذلك خيار حركة حماس إلى حد كبير، وخيارهم هذا يعني أيضا أنهم أرادوا أن يكونوا عمليين يتعاملون مع الواقع القائم وموازين القوى الإقليمية والدولية الحالية، وأضيف هنا إن الخيارين الأوليين لا يوجد بين الفلسطينيين في مختلف أماكن تواجدهم قوة فاعلة على الأرض (حزب أو تنظيم أو جماعة مقاومة فاعلة) تتبنى هكذا برنامج ويقتصر الحديث في هكذا خيارات على مفكرين وأكاديميين ونشطاء (وأنا منهم إلى حد ما) دون امتداد جماهيري ولذلك لن يكون هذا الطرح عاملا يؤخذ في الحسبان ويحسب له حساب إلى حين قيام هؤلاء بالتعبير عن أنفسهم وبرنامجهم من خلال إطار سياسي جماهيري وعدم الاكتفاء ببذخ نقاشات الصالونات السياسية.

"وثيقة التصور المستقبلي"

في اعتقادي أنها أهم الوثائق من حيث المشاركين في إعدادها واقصد تنوعهم الفكري والسياسي والاجتماعي وكون الإشراف عليها كان من جهات تمثيلية منتخبة، كما أنها جاءت موسعة ومفصلة وفي مختلف ميادين الحياة بتفاصيل وليس فقط تحديد مواقف، وكأنها برنامج حكومة تقدمه في بداية عملها. وحدد القائمون على التصور أنهم يضعون بين أيدينا خطط إستراتيجية قابلة للتطبيق خلال عشرين سنة، في ثمانية مواضيع في ميادين الحياة المختلفة: وهي أولا: العلاقة مع الدولة، وثانيا: المكانة القانونية للفلسطينيين في اسرائيل؛ وثالثا: الأرض والمسكن؛ ورابعا: التنمية الاقتصادية؛ وخامسا: التنمية الاجتماعية؛ وسادسا: التربية والتعليم؛ وسابعا: المبنى الثقافي؛ وأخيرا: عمل المؤسسات والعمل السياسي المحلي والقطري. وقد خلص أصحاب التصور إلى اعتباره يقدم الإمكانية لاستعمالات مستقبلية عديدة ذكروا منها:

- منتديات وقنوات فكرية للتطوير الاستراتيجي.
- رافعة حوارية جماهيرية تتحدى المجتمع الاسرائيلي بصدق موقفها.
- حملة إعلامية في وسائل الإعلام المحلي والإسرائيلي والعالمي.
- وسيلة ضغط أمام وزارات الدولة ومؤسساتها.
- وبالأساس محرك أولي لتطوير مراحل تطبيقية مستقبلية لتغيير واقع العرب الفلسطينيين في إسرائيل.

وبعد ان انهوا صياغة التصور في المجالات المختلفة قاموا بالاتفاق على نص المنطلق والذي جاء يؤكد : إن تعريف الدولة باليهودية يقصيهم ويضعهم في تصادم مع طبيعة وماهية الدولة، وبعد أن حددوا أنهم الباقون في وطنهم من أبناء الشعب الفلسطيني بعد النكبة أرغموا على حمل الجنسية الاسرائيلية وتحولوا الى اقلية في وطنهم التاريخي ، فإنهم وبعد كل ما حصل لخصوا مطالبهم بالمطالبة بنظام ديمقراطي توافقي يمكنهم من المشاركة الحقيقية في اتخاذ القرار والسلطة لضمان الحقوق القومية والتاريخية والمدنية والجماعية، ويمكن القول أن ملخص المطالب هذا أوردته لاحقا بنفس المحتوى تقريبا الوثائق الأخرى. وأوضحوا في المنطلق ان عملهم على هذا التصور المستقبلي الاستراتيجي يهدف الى الاجابة على السؤال المصيري " من نحن وما الذي نريده " .

الورقة الاولى في وثيقة التصور: العرب الفلسطينيون في اسرائيل وعلاقتهم بالدولة. بعد اللمحة التاريخية التي أدت إلى الوضع القائم تم التأكيد هنا أن الدولة أثنية عنصرية دون استخدام مصطلح عنصرية إلا أن الوصف يؤدي إلى هذا الفهم وذلك من خلال ذكر المبادئ التي توجه النظام الاثنوقراطي، ثم تم تحديد ما الذي يتطلع العرب الفلسطينيون اليه كجزء من الدولة والمواطنة الاسرائيلية وهو تحقيق المواطنة الكاملة في الدولة ومؤسساتها وتحقيق ادارة ذاتيه مؤسساتية تضمن لهم حق ادارة شؤونهم الخاصة كمواطنين في مجالات التعليم والثقافة والدين (تم الابتعاد عن تسميتها حكم ذاتي) وان هذا النظام مبني على اساس الديمقراطية التوافقية ويجسد وجود مجموعتين قوميتين اليهود والفلسطينيين، وينتهي بتحديد سبعة أهداف، تؤدي اذا طبقت الى اعتراف اسرائيل بالمسؤولية عن (جرائمها) ابتداء بالنكبة وحتى الان وإصلاح ما حدث ، وفي المحصلة قيام دولة ثنائية القومية بكل ما تعنيه دون تسميتها بهذا الاسم.

الورقة الثانية: المكانة الحقوقية للعرب الفلسطينيين في إسرائيل. تنطلق من حقيقتين الأولى أنهم أهل البلاد الأصليين والثانية أنهم جزأ لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني، وتؤكد على وجود بعدين أساسيين في تعامل الدولة معهم، البعد الرسمي - القانوني (تمييز مقونن) والبعد الاقتصادي - الاجتماعي. وتتحدث هذه الورقة عن البعد الأول - الحقوقي ، الوضع القائم تمييز رسمي على أساس قومي. وتطالب بالمساواة الجماعية - التحولية وتحقيق مساواة وشراكة فعليتين على المستوى القومي - الجماعي، وللوصول إلى ذلك وضعت عشرة مطالب ركزت على أن تتبنى الدولة قوانين مناهضة للتمييز في كافة مناحي الحياة وان تشمل مفوضية أو مفوضيات مستقلة للمساواة وحقوق الإنسان وان تتبنى المواثيق الدولية الخاصة بحماية حقوق الإنسان والالتزام بها وذلك في كل المجالات، وكذلك ضمان أن يكون التمثيل والمشاركة على أساس قومي يتضمن حق الفيتو للفلسطينيين في القضايا المتعلقة بهم وإدارة ذاتية في مجالات مختلفة لحياتهم وحق تقرير المصير فيما يتعلق بشؤون حياتهم.

الورقة الثالثة: الأراضي والبناء. تفصل هذه الورقة أشكال التمييز المفرط ضد الفلسطينيين في ملكية الأراضي وفي البناء وتوضح أهداف الدولة العنصرية التي تؤدي الى ذلك. وتوصي من اجل جسر الفجوة في مجالات الأرض والتخطيط والبناء، بتبني مبدأ العدل التوزيعي ضمن ديمقراطية توافقية وإلغاء كل القوانين التي تميز ضدهم، وإلغاء دور الوكالة اليهودية والصندوق القومي اليهودي واليهود غير الإسرائيليين بشكل عام. ويلاحظ هنا ان هذه الورقة خطت إلى الإمام في الحديث عن الآليات وأشكال النضال اكثر من غيرها وحددت بوضوح ان الآليات والأشكال النضالية السياسية والقضائية المستخدمة حاليا يمكن ان تحقق بعض الأهداف الآنية، ولكن التغيير الشامل البنيوي والوصول الى الأهداف الإستراتيجية مقرون بتغيير أهداف الدولة وتعريفها وهذا يتطلب تبني وسائل نضال مختلفة وعلى رأسها تصعيد النشاط الجماهيري وغير ذلك من اشكال النضال.

أما باقي الأوراق فتؤكد على نفس المعطيات وتصف الواقع القائم كل في مجاله وتقترح بالأساس تشكيل هيئات ولجان متخصصة على أساس قومي للقيام بالأعمال المقترحة، وصولا إلى الورقة السياسية والتي تقدم وصفا للعمل السياسي القائم وتقترح تشكيل هيئات ولجان تنسيقية وتمثيلية وتطوير برامج العمل السياسي لتصل الى مقترح يكرس الحقيقة وهي وجود اقلية قومية ويطالب بتشكيل هيئة تمثيلية وطنية منتخبة للفلسطينيين في اسرائيل.

"الدستور الديمقراطي"

على أهميته إلا انه صدر عن مؤسسة واحدة هي مركز عدالة/ المركز القانوني لحقوق الأقلية العربية في إسرائيل، وبالتالي فإن هذه الوثيقة تعبر بالدرجة الأولى عن وجهة نظر القائمين عليها ومن يتفق معهم. وقد احتوى "الدستور الديمقراطي" على صياغات قانونية تعبر عن جزء مما ورد في الوثائق الاخرى، وجاء على شكل دستور مقترح لدولة (اسرائيل) بحلة جديدة وعلى أسس جديدة تتناقض عمليا مع ما هو قائم الآن. وفي اعتقادي، فإن مقدمته كان يجب أن تبقى مقدمة ولا تحمل ترقيم الباب الأول لأنها تتحدث من ضمن ما احتوته عن سبب قيام عدالة بإعداد هذا الدستور وتتحدث عن تجربة جنوب أفريقيا، وعن الانسحاب من المناطق المحتلة عام ٦٧. ثم أبقاء الباب الأول محتويا على المواد والمبادئ والمواقف الأخرى التي تعدد المواثيق الدولية التي تضمن حقوق الإنسان والمساواة والمبادئ التي يقوم الدستور عليها الحرية والمساواة والعدالة، وخصوصية هذه الدولة وضرورة اعترافها بالمسؤولية عن جرائمها وعن النكبة والاحتلال والاعتراف بقرار ١٩٤. كذلك يثبت هذا الباب المكانة القانونية لفلسطينيي إسرائيل ويصفهم بالعرب الفلسطينيين مواطني دولة اسرائيل ويطلق عليهم مصطلح (أقلية وطن) (دون أن يوضح المقصود بهذا المصطلح بشكل جلي سواء في المتن أو الحواشي) ويطالب بالاعتراف بحقوقهم على هذا الأساس ويفسر بعد ذلك أنها تشمل إعادة أراضيهم وأملاكهم ومشاركتهم في اتخاذ القرارات وإحقاق حقهم في الحكم الذاتي الثقافي (حصرا) والاعتراف بلغتهم كلغة رسمية، وفي المادة الأخيرة من هذا الباب يعرف الدولة أنها ديمقراطية ثنائية اللغة ومتعددة الثقافات. رغم عدم اطلاعي على النقاشات التي أدت إلى صياغة هذه المواد فإنني اعتقد أنهم صاغوه بهذه الصياغة للابتعاد عن القول أن يهود إسرائيل يشكلون قومية وان الفلسطينيين في إسرائيل يشكلون الإقلية القومية، رغم أنه نص أن الفلسطينيين جزء من الشعب الفلسطيني وامتداد للأمة العربية والحضارة الإسلامية ويتشبثون بهويتهم القومية إلا انه حين يأتي لتعريف الدولة ينص أنها ثنائية اللغة، أعتقد أن ما اتفق عليه في صياغة هذا الباب بحاجة الى مزيد من الدراسة والوضوح.

وفي الباب الثاني في المادة السادسة يطالب بضمان تمثيل لائق للمجموعات القومية مع انه لم يسبق هذه المادة أي ذكر وتحديد للقوميات التي تتكون منها هذه الدولة، خصوصا وانه في شرحه للمادة ٢٠ في الحواشي (٦) يفرق بين أقلية وطن وأقلية قومية وأقلية لغوية. واضح أن جهودا كبيره بذلت في العمل على هذا المقترح ودراسات لدساتير دول كثيرة فيها أوضاع مشابهة إلى حد ما، ويجب الإشارة إلى انه ركز على ضمان الحريات الفردية بكل تشعباتها معتمدا على عالمية حقوق الانسان ومتجاوزا القيود الدينية وبعض القيود الثقافية، وظهر واضحا التركيز على خصوصية الدولة (تاريخ مليء بالغبن والظلم) وضرورة تصحيحه بإعادة أملاك وحقوق لمن حرم منها. في كل الأحوال ورغم أهمية العمل إلا أن الدستور بهذا الشكل هو الخطوة الأخيرة التي لا تزال بعيدة ولا يمكن بدء الحوار فيها قبل تحقيق الاتفاق أو فرضه على الأسس والمطالب الواردة في وثائق التصور الأخرى ونزع السمة العنصرية عن الدولة.



مسيرة إلى قرية اللجون المهجرة (المصدر: جمعية المهجرين)

"وثيقة حيفا"

صيغت "وثيقة حيفا" من قبل مجموعة عمل أعضاؤهما يمكن القول أن مشاربهم الفكرية والاجتماعية والسياسية متقاربة وذلك مما ظهر من عدم احتياجهم إلى التلاعب باللغة والمصطلحات أو البحث عن نقطة التقاء وسطية، ويمكن الملاحظة بوضوح أن الوثيقة سمت الأمور بمسمياتها حسب قناعاتهم ، مثل:

" تؤسس لحوار صريح مع الذات ومع الآخر "

" نقدم تصورنا لمصالحة تاريخية (ليس مرحلية) "

" علاقة بين الشعب الفلسطيني والشعب اليهودي الإسرائيلي" (أي عدم اعتراف ان اليهود غير الإسرائيليين جزء من الشعب اليهودي الإسرائيلي واعتراف بان يهود إسرائيل يشكلون شعب)

" الاعتراف بحق الشعب اليهودي الإسرائيلي بتقرير مصيره" (في إسرائيل) وعي بالتاريخ المأساوي لليهود في أوروبا والذي ذروته المحرقة ، رؤيا بان تسخير الكارثة ونتائجها لشرعنة حق اليهود في إقامة دولتهم على حساب الشعب الفلسطيني يختزل قيمة العبر الكونية الإنسانية والأخلاقية من الحدث.

" مجتمعنا يخضع لبنى اجتماعية عائلية وطائفية ومحلية تحد من حريات الأفراد " .

" نحترم العائلية، الحق في العبادة، شريطة الا تستغل للمس بحرية الفرد وحقوقه " .

" نرفض التعصب بكل أشكاله، الذي يعيق التكافل الاجتماعي وبناء الهوية الوطنية " .

" التعصب يخدم الحكومات الإسرائيلية ، ينتج مجتمع تابع وغير مكترث بالصالح العام " .

هذه الأمثلة وغيرها تدلل على فهم ومنحى اجتماعي تقدمي وإيديولوجيا غير دينية وقناعات سياسية راسخة لا تحتاج إلى محاولة عدم قولها بوضوح وصراحة، لدى معدي هذه الوثيقة. كذلك حددوا أن الحركة الصهيونية تحمل مشروع كولونيالي - استيطاني وهي تتساوق مع الاستعمار العالمي وان الرجعية العربية تواطأت معها، وأنها ارتكبت مجازر بحق الشعب الفلسطيني، وان إسرائيل دولة عنصرية.

اما ما تضمنته الوثيقة من مطالب وما حددته من حقوق وأسس للمصالحة ومن آليات ومفاهيم ومصطلحات فهي نفسها التي وردت بصيغ قانونية في مشروع عدالة للدستور الديمقراطي (أقلية وطن ، لغتين بالتساوي، إدارة ثقافية ، حق الفيتو (حاول الدستور تضمينه في المادة ٢٠) ، استعادة حقوق ... الخ). وتضيف الوثيقة أن استيفاء كل شروطها للمصالحة التاريخية في إسرائيل سوف يخلق ظروفا سياسية تمكن من بناء الثقة والتعاون والاحترام بين دولة إسرائيل ودولة فلسطين (في حدود ٦٧)، ويفتح آفاق نحو بناء معاهدات اقتصادية وعلمية وثقافية بينهما وحرية حركة وسكن وعمل بين الدولتين.

خاتمة

في اعتقادي، فإن هناك تشابها كبيرا بين كل الوثائق من حيث وصف الواقع والتأكيد على الثوابت والحقائق وتتشابه في المطالب إلى حد كبير ولكن وثيقة التصور المستقبلي مفصلة أكثر وتقترح خطوات محددة مرحلية وإستراتيجية وتتميز بالمطالبة بتغيير وتطوير أشكال النضال لتحقيق الأهداف الإستراتيجية.

وبالمجمل، فإن كل المطالب والتصورات المطروحة على الصعيد الاستراتيجي غير قابلة للتحقيق ضمن موازين القوى الحالية، لأنها تتطلب تغييرا جوهريا في طبيعة دولة إسرائيل يبعدها عن الايدولوجيا الصهيونية العنصرية والتوسعية. لان المطروح باختصار يؤدي إلى قيام دولة ديمقراطية غير يهودية ، ثنائية القومية (جزء من الشعب الفلسطيني ويهود إسرائيل) مع حق الفيتو، وهذا يتطلب تغييرا في أساليب وأشكال النضال لتحقيقه، والاهم تغييرا في موازين القوى الإقليمية والعربية، وهذا سيحدث بحكم الحتمية التاريخية ولكن لا ادري لماذا اختار أصحاب التصور المستقبلي فترة العقدين من الزمان وليس أقل أو أكثر.

---

* شوقي العيسة هو محام وخبير قانوني ومدير مركز إنسان لحقوق الانسان.

هل تستطيع إسرائيل وقف كرة الثلج المتدحرجة؟

إتساع رقعة حملة مقاطعة إسرائيل في بريطانيا بشكل ملحوظ وسط إرتباك إسرائيلي

تقرير خاص بـ "حق العودة"

تشهد بريطانيا في الفترة الأخيرة اتساعا ملحوظا في حلقة حملة مقاطعة إسرائيل وسحب الاستثمارات منها وفرض العقوبات عليها لحين تنصاع للقانون الدولي ومواثيق حقوق الانسان الدولية. وبانضمام أطر ونقابات عملاقة فاعلة في المملكة المتحدة الى ركب مقاطعة إسرائيل، فقد إزداد القلق الإسرائيلي من أن تتحول حملة المقاطعة المنتشرة حاليا في مختلف انحاء العالم الى كرة ثلج لن يكون لاستطاعة إسرائيل إيقافها لاحقا كما حصل في حالة نظام الفصل العنصري– الأبارتهايد في جنوب أفريقيا.

المقاطعة الاكاديمية

وكانت الحملة قد بدأت بدعوة نشرتها صحيفة (الجارديان) البريطانية على صفحة بريد القراء وجهها علماء أوروبيون لشن ما أصبح يطلق عليه الانتفاضة الأكاديمية العالمية ضد إسرائيل احتجاجاً على الممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني. وفي نفس الفترة أصدرت مجموعة من العلماء المرموقين - بينهم عالم الجينات ريتشارد داوكنز الأستاذ في جامعة أكسفورد وسيف وهيلاري روز الأستاذان في الجامعة المفتوحة في بريطانيا - نداء في صحيفة (الجارديان) استنكروا فيه معاملة إسرائيل كدولة أوروبية من قبل المؤسسات الأوروبية. ودعا العلماء الدول الأوروبية إلى مقاطعة إسرائيل على المستوى الوطني ومستوى الاتحاد الأوروبي حتى تنصاع للقرارات الدولية وتنسحب من الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتبدأ مفاوضات سلام جادة مع الفلسطينيين. وطالب العلماء في نداء وقعه أكثر من ١٠٠٠ أستاذ جامعي في أوروبا ومن بينهم ١٠ إسرائيليين ويهود بوقف المساعدات التي يقدمها الاتحاد الأوروبي ومؤسساته العلمية لإسرائيل.

وهدفت الحملة منذ البداية إلى فصم العلاقة الأكاديمية الوطيدة بين أوروبا وإسرائيل، وكذلك فضح الانتهاكات الإسرائيلية لحقوق الإنسان والقانون الدولي، خصوصاً السياسات الممنهجة القائمة على التدمير المتواصل للمؤسسات الأكاديمية والمجتمع الفلسطيني، كما أن هذه الحملة كشفت للرأي العام العالمي مدى تورط المؤسسة الأكاديمية في إطالة أمد الاحتلال.

وتسارعت وتيرة حملة المقاطعة الأكاديمية بعد سحب معهد العلوم والتكنولوجيا في جامعة مانشستر البريطانية عضوية اثنين من الباحثين الإسرائيليين في هيئة تحرير مجلتين علميتين تصدرهما منى بيكر، أستاذة علم اللغة والترجمة في المعهد. وأثار هذا القرار ضجة كبيرة.

وبعد أسبوعين من نداء المقاطعة إنضمت منظمات أكاديمية للحملة. حيث أعلن الاتحاد البريطاني للمحاضرين في الجامعات والمعاهد العليا عن قراره بمقاطعة إسرائيل، وطالب مؤسسات التعليم العالي بوقف جميع علاقاتها الأكاديمية مع إسرائيل.

يذكر أن قرارات المقاطعة التي فرضت على نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا والتي نشطت فيها الاتحادات والنقابات المهنية البريطانية كان لها عظيم الأثر في انهيار نظام الفصل العنصري هناك، ومن هنا يمكن تفسير التسارع الكبير في انتشار حملة المقاطعة لإسرائيل في بريطانيا كون المؤسسات المهنية البريطانية على ما يبدو باتت تمتلك الخبرة الواسعة والباع الطويل في النضال ضد الأنظمة العنصرية في العالم.

وفي خطوة شكلت انتصاراً هاماً لحملة المقاطعة الأكاديمية ضد إسرائيل اقر اتحاد المحاضرين في الجامعات والمعاهد البريطانية (والذي يضم في عضويته ١٢٠ ألف أكاديمي) في مؤتمره الأخير هذا العام وبأغلبية ١٥٨ مقابل ٩٩ وامتناع ١٧ عضو عن التصويت قراراً يقضي بمقاطعة إسرائيل المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية، حيث يأتي هذا القرار تتويجاً للجهود والقرارات الصادرة عن مؤتمرات النقابة في الأعوام السابقة. وبموجب هذا القرار تم مطالبة الاتحاد الأوروبي للعمل على مقاطعة المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية ووقف الدعم المالي لها. ويضاف هذا القرار إلى قرارين سابقين لمنظمات أكاديمية بريطانية في السنتين الأخيرتين يدعوان إلى مقاطعة المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية.



مسيرة مطالبة بمقاطعة إسرائل وإنهاء الاحتلال، سويسرا (المصدر: حملة كفاية)

وأوضح الاتحاد في بيان له أن قرار المقاطعة يأتي في أعقاب امتناع المؤسسات الأكاديمية الإسرائيلية عن رفض الاحتلال واستنكاره بل وإيجاد التبريرات في كثير من الأحيان لما يرتكبه من ممارسات وإجراءات ضد الشعب الفلسطيني ومؤسساته المختلفة وعلى رأسها المؤسسات التعليمية الفلسطينية، وإعاقة وصول الطلبة إلى مدارسهم وجامعاتهم نتيجة الحواجز العسكرية وجدار الفصل العنصري الذي تواصل إسرائيل بناءه على حساب الأراضي الفلسطينية على الرغم من فتوى محكمة العدل الدولية في العام ٢٠٠٥ التي أوصت بوقف بناء الجدار وهدم ما بني منه وتعويض الفلسطينيين عن خسائرهم جراء عملية البناء.

وكان اتحاد المحاضرين الأكاديميين البريطانيين في مؤتمره السنوي هذا العام قد عرف إسرائيل للسنة الثانية على أنها دولة ابرتهايد ودولة تنفذ جرائم ضد البشرية في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

من جانبهم رحب الفلسطينيين بقرار المحاضرين البريطانيين واعتبرته الحملة الفلسطينية للمقاطعة الأكاديمية والثقافية لإسرائيل والتي بدأت عملها في العام ٢٠٠٤ وتضم عدد من مؤسسات أهلية وأكاديمية فلسطينية أن هذا القرار بمثابة رد على تواطؤ الأكاديميين الإسرائيليين، ودفاعهم عن الاحتلال الإسرائيلي غير الشرعي للأراضي الفلسطينية.

يذكر أن الاستجابة لنداء المقاطعة الذي وجهته الحملة الفلسطينية لمقاطعة إسرائيل اشتملت على اتحاد المهندسين المهنيين، واتحاد الكنائس العالمي، واتحاد عمال الخدمات في كندا، إضافة إلى احد البنوك الكبرى في بلجيكا.

الأوساط الشعبية والنقابية والاتحادات العامة

وفي نيسان الماضي صوتت نقابة الصحافيين في بريطانيا على قرار يقضي بمقاطعة البضائع الإسرائيلية، وطالبت النقابة بفرض عقوبات على إسرائيل من قبل الأمم المتحدة والحكومة البريطانية، ويأتي هذا القرار احتجاجاً على حرب إسرائيل على لبنان وممارساتها ضد الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة.

اتحاد عمال الخدمات العامة البريطاني (اليونيسون) يعتبر الرابطة المهنية الكبرى في بريطانيا، والتي تمثل ١,٦ مليون من عمال الخدمات العامة، إتخذت قراراً وبأكثرية كبيرة يدعو من جملة ما يدعو إليه مقاطعة إسرائيل، ويعتبر هذا القرار ضربة موجعة بالنسبة لإسرائيل وأصعب بكثير من قرارات المقاطعة السابقة، فقد دعا القرار الحكومة البريطانية إلى وقف تجارة السلاح مع إسرائيل كما يدعو الاتحاد الأوروبي إلى تعليق المكانة الخاصة لإسرائيل في الاتحاد الأوروبي ويدعو الأمم المتحدة إلى فرض حظراً على إسرائيل يشبه ما فرض على نظام الفصل العنصري السابق في جنوب إفريقيا. في المقابل دعا المؤتمر إلى توثيق الصلات بالروابط المهنية الفلسطينية.

كما دعا قرار اليونيسون والذي اتخذ خلال مؤتمره السنوي الذي عقد من تاريخ ١٩-٢٢ حزيران من هذا العام إسرائيل إلى العودة الى خطوط الرابع من حزيران ١٩٦٧ وان تمكن جميع اللاجئين الفلسطينيين منذ العام ٤٨ من العودة إلى بيوتهم وان تخلي جميع المستوطنات من الأراضي الفلسطينية المحتلة والجولان السوري، وان تهدم جدار الفصل العنصري. ودعا القرار أيضاً إسرائيل إلى احترام حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، وفي إقامة دولته المستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة وعاصمتها القدس، كذلك ورد في القرار انه من اجل استعمال الضغط على إسرائيل يجب فرض مقاطعة اقتصادية ، وثقافية، وأكاديمية، ورياضية عليها.

وقد شكل قرار الرابطة المهنية الكبرى في بريطانيا والتي يأتي بعد قرار مؤتمر اتحاد الجامعات والمعاهد في بريطانيا في نهاية أيار من هذا العام إشارة واضحة بان هنالك قطاعات واسعة مهنية وأكاديمية ترفض الظلم الواقع على الشعب الفلسطيني، وتتعاطف معه على عكس الصورة السائدة عن وقوف الغرب التقليدي إلى جانب إسرائيل، فقد تبين أن الشعوب الغربية لا تتوافق مع مواقف حكوماتها المساندة لإسرائيل.

نقابة عمال النقل والأشغال العامة تنضم

إنضمت هذا الشهر نقابة عمال النقل والأشغال العامة الى حملة مقاطعة إسرائيل حيث طالبت نقابة عمال النقل والأشغال العامة البريطانية والتي تضم في عضويتها ٨٠٠،٠٠٠ عضو أعضائها بمقاطعة المنتجات والسلع الإسرائيلية وذلك بسبب الجرائم التي ترتكبها إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وتم التوصل إلى قرار المقاطعة والإعلان عنه خلال مؤتمر النقابة في مدينة برايتون البريطانية.

يذكر أن نقابة عمال النقل والأشغال العامة البريطانية هي ثاني نقابة تدعو لمقاطعة إسرائيل هذا العام، بعد (اليونيسون) وتدعو إلى مقاطعة إسرائيل هذا العام بسبب جرائم إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة ومسؤوليتها عن الحرب الثانية في لبنان.

وفي إطار الرد على خطوة نقابة النقل والأشغال العامة البريطانية وحملات المقاطعة التي تتسع ضد إسرائيل صرحت مديرة الأنشطة الدولية في الاتحاد العمالي الإسرائيلي "الهستدروت" افيتال شابيرا أن الهستدروت ينظر باستهجان شديد لخطوة نقابة النقل والأشغال العامة الداعية لمقاطعة إسرائيل. ووفقاً لشابيرا فان الهستدروت قرر عدم التعاون مع تلك الاتحادات والنقابات، مدعية "أن هذه الاتحادات والنقابات بحاجة لتعاون الهستدروت معها في كل شيء يتعلق بالأنشطة المشتركة مع الاتحادات الفلسطينية". إلا انه ورداً على حملات وخطوات المقاطعة من قبل الاتحادات والنقابات البريطانية ضد إسرائيل فقد قرر الهستدروت تنفيذ تلك الأنشطة بدون إشراك تلك النقابات والاتحادات.

إسرائيل ترتبك

إسرائيل بدورها حاولت أن تمتص الصدمة في البداية عبر التقليل من أهمية حملات المقاطعة المتسارعة ضدها حيث قللت وعلى لسان وزراء في الحكومة الإسرائيلية من شأن تلك الخطوات واعتبرت أن من يقفون خلفها أناس هامشيين وليس لهم تأثير أو نفوذ يذكر، لكن مع اتساع دائرة المقاطعة وفاعليتها لم تعد إسرائيل قادرة على خداع نفسها والآخرين، فأقامت الدنيا ولم تقعدها خاصة بعد أن قرر اتحاد المحاضرين البريطانيين مقاطعة جامعتي بار ايلان وحيفا الإسرائيليتين بسبب تواطؤ هاتين الجامعتين مع الاحتلال ومساندتهما المعلنة للاستيطان في الضفة الغربية.

وتركزت الحملة التي تشنها إسرائيل ضد وسائل الإعلام الأوروبية لانتقادها ممارسات إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني على الآلية المعهودة نفسها، فقد وجه مدير مكتب الصحافة الحكومية في إسرائيل دان سيمان انتقاداً شديداً للصحافة الأوروبية متهماً إياها بتشجيع "اللاسامية" عبر تغطيتها لأحداث الصراع بين الشعب الفلسطيني وإسرائيل.

وأصدر مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي أيهود اولمرت بيانا قال فيه "أن الأفكار المسبقة والخبث وسوء النية" هي التي تحرك تلك الحملات ضد إسرائيل، من جانبه، إدعي وزير الشؤون الاجتماعية في الحكومة الإسرائيلية بان أقلية مسلمة تنشط مع ناشطين يساريين من اجل تحريك المقاطعة ضد إسرائيل وتفعيلها وهذا يندرج حسب ادعاء الوزير في إطار سلسلة أحداث "معاداة السامية".

أما اسحق هرتسوغ المكلف إسرائيلياً بمكافحة "معاداة السامية" فبدوره قام باستدعاء السفير البريطاني في تل أبيب توم فيليس وعبر له عن عمق استيائه من مبادرة مقاطعة إسرائيل وبان هذه المبادرة تشكل صدمة وتحيزاً ضد إسرائيل وتتجاهل تاريخ الشعب اليهودي. أما تسيفي لفني وزيرة الخارجية وبالرغم من محاولتها التقليل من قيمة الحملة المتسعة في بريطانيا ضد حكومتها فقد دعت إلى اجتماع وزاري لمناقشة كيفية الرد الإسرائيلي قائلة أن على إسرائيل أن ترد بحزم ولو أن المسالة تتعلق بأشخاص هامشيين في الوسط الأكاديمي وبمواقف سمعناها من قبل".

من جانبها أصدرت السفارة البريطانية في إسرائيل بهذا الخصوص قالت فيه أنها تعارض مقاطعة إسرائيل. وقال البيان أن المقاطعة التي أعلنتها نقابة عمال النقل والأشغال العامة مؤخرا لن تضر بنمو العلاقات بين البلدين.



ملف العدد:

اللجوء والعودة في الفن الفلسطيني

الإبعاد عن الوطن والإبداع فيه

بقلم: نهاد بقاعي

لا نعلم إن كانت حيوات طفولتهم متشابهة أو مختلفة، خصوصا في ظل اختلاف رقعة الجغرافيا الممتدة على خارطة فلسطين، لكننا نعلم قطعا أن إنكسار حيوات الطفولة فيهم هي ذاتها. في ثلاثينيات القرن الماضي، كان لناجي من قرية الشجرة، وغسان من عكا، وإسماعيل من اللد طفولة عادية بكل ما تحمله من أحلام ولهو وشغب. إلى أن جاء وقت سقطت فيه الطفولة كما سقط أي شيء آخر. ١٩٤٨ هو العام الذي أجبر فيه هؤلاء الأطفال الثلاثة على أن يكونوا رجالا. لأنه لا طفولة في المنفى، ولا لهو بغياب الوطن. كبر الأطفال قبل وقتهم، كتبوا ورسموا وناضلوا كل من منفاه القسري وبطريقته، ولكنهم حلموا جميعا باسترداد الطفولة الضائعة، ليست خاصتهم الفردية هذه المرة، بل خاصة وطنهم فلسطين الذي ضاعت طفولته أيضا وفي الزمن نفسه وعلى يد المجرم نفسه.

* * *

ناجي العلي من قرية الشجرة، وغسان كنفاني من عكا، وإسماعيل شموط من اللد هم رواد الثقافة الفلسطينية ومؤسسي فنونها وآدابها المعاصرة. كتبوا مع مبدعين فلسطينيين آخرين روايتنا الجماعية المعاصرة، وشكلوا نماذج حية للأجيال التي تليهم كيف تكون الأوطان وكيف يكون الوطنيون. في تموز هذا، يلتقي هؤلاء المبدعين في ذكرى الرحيل. ونحن نلتقي في ذكرى العهد على مواصلة دربهم نحو فلسطين.

* * *

من الصعب التحدث عن أي شيء يتعلق بفلسطين، بدون الرجوع الى المربع الأول: ١٩٤٨. وفي حال الفن الفلسطيني، فإن المعادلة تتأكد أكثر. فجبروت المشهد الذي حصل في هذا العام تأكل الأفراد وتطغى على حيواتهم. حتى الضحايا الذين إختاروا تناسي ما حدث وسلكوا دروبا غير فلسطين كانوا في المحصلة النهائية إحدى نتائج المشهد وتوابعه. ولا شك أن الفلسطينيين بعد العام ١٩٤٨ لجئوا الى الثقافة ومنها الفن، خصوصا في ظل غياب الوطن والمرجعية السياسية. غاب الوطن، فاجتهد المبدعون بتعويضه "بالألوان"، ليقدموه الى جميع اللاجئين المبعثرين في أصقاع الأرض والباحثين عنه. في مقدمة كتاب إسماعيل شموط الشهير "السيرة والمسيرة"، كتبت الأميرة وجدان علي: ""على الرغم من أن معظم الفنانين التشكيليين الفلسطينيين استقروا في بلدانٍ عربيةٍ وأجنبية مثل لبنان وسوريا ومصر والأردن واليًابان والولايات المتحدة وفرنسا، يكتسبون فيها ما يتاح لهم من خبرةٍ نظريةٍ وعملية، بما فيها إرسالهم في بعثات أو تدريبهم في الكليات الفنية المحلية، وإعطائهم وظائف ملائمة، إضافة إلى المشاركة في مسيرة تلك البلدان الفنية، إلاّ أنّ أغلب هؤلاء الفنانين حافظوا على هويةٍ فنيةٍ فلسطينية تجلّت في أعمالهم من خلال اختيارهم للموضوعات التي عكست قضيتهم الوطنية بنكبتها ونكستها، وأبعادها النفسية والاجتماعية والسياسية".

هكذا ظل الفن الفلسطيني وفيا وملتزما بقضيته الكبرى– فلسطين. ليس لأن مشهد التهجير والاقتلاع وغياب الوطن كان طاغيا فحسب، بل لأن الفلسطينيين عانوا ولا زالوا يعانون من الإنكار والطمس والإحلال. وظل نضال الفلسطينيين، ومنهم المثقفين والفنانين حتى هذه اللحظة، "على أن تكون شرعيا"، وعلى أن "تكون أحلامك مشروعة". "..أحلم"، يقول الشاعر محمود درويش، "بأن نكف عن أن نكون أبطالا أو ضحايا. نريد ان نكون بشرا عاديين، وعندما يتحول الإنسان الى كائن عادي يمارس نشاطاته العادية من حقه ساعتها أن يحب بلاده أو لا يحبها، أن يهاجر أو لا يهاجر. لكن لكي تتم هذه الأمور، لا بد من تحقيق شروط موضوعية غير موجودة. ما دام الفلسطيني محروما من الوطن عليه أن يكون عبدا للوطن".

* * *

من أجل هذه "العقدة"، إن شئتم، طغت بعد العام ١٩٤٨ الواقعية والتعبيرية في الفن التشكيلي المتشكل حديثا لأن المعنى والمضمون ظل هاجس المبدعين الأول، شأنه شأن الحقول الأخرى. بل أن الفن أيضا قد سار على نهج ما أعلنه درويش نفسه شعرا: "نحن لا نكتب أشعارا، ولكنا نقاتل". وأعلنه الكاتب الأمريكي كليفورد أوديتس كتابة في سياق آخر: "نحن في عصر أصبح من واجب الأعمال الفنية فيه أن تطلق الرصاص". كان هذا العنوان الحصري لثقافة كاملة في المنفى أو تحت الحصار والاحتلال. غسان كنفاني، كاتبا وشاعرا وفنانا وناشطا هو تجسيد مثقف فلسطيني جند كل طاقاته، وهي متفاوتة طبعا، لتقريبه ولو شبر إضافي آخر من فلسطين.

أما حجم التمرد عند ناجي العلي، رسام الكاريكاتير الملهم، فقد كانت كبيرة الى درجة إلتهام كل شيء، بما فيها أصول الكاريكاتير نفسه. لم يتقيد العلي بضوابط بدت حينئذ متراصة في هذا الفن، فأسهب في تجنيد اللغة، فأطلق العنان للكلمة في رسوماته على قاعدة أن الغاية تبرر الوسيلة، وفلسطين تبرر انتهاك الفنون، ولم ينظر العلي الى الكاريكاتير على أنه للنقد بل للتحريض، ولم يرسم رسوماته الى صناع القرار بل الى "من هم تحت" على حد قوله. لم ينظر الى ناجي العلي في حينه بعين الرضى من نخب فنية ليست بالقليلة تمتهن الفن. ذهبت هذه النخب ادراج الرياح، وبقي ناجي العلي. وسقط النقد الذي فيهم، وظل التحريض الذي فيه. وبدون قصد، أسس ناجي العلي مدرسة "جديدة" في هذا الفن، أضحت عنوان من لحقوه من رسامين فلسطينيين، أو بالحد الأدنى لا يمكن تخطيها وعدم الوقوف عندها.

* * *

ما هو دور المثقف؟ هو سؤال يتكرر للمرة الألف، ولكن لا مناص من طرحه في هذا السياق أيضا. ما هي الحدود الفاصلة بين المثقف وشبه المثقف، أو بين "المثقف المبدع والمثقف الموظف" على حد تعبير العلي؟ خصوصا في مرحلة وصلناها أصبحت الثقافة فيها سلعة استهلاكية مستوردة، وجل ما يطمح له العديد من المثقفين هو لعب دور "الكونبارس" في هذا الفيلم الأمريكي الطويل.

لا شك أن رواد الثقافة الفلسطينية قد خطّوا على لحمهم دور أناطوه هم بأنفسهم، وهو "تغيير الواقع". والمثقف، بحسب إدوارد سعيد، "هو الذي لا يرضى بحالة حتّى يُغَيِّرها، فإذا غيَّرها بدأ يحلم بمواصلة التغيير". أو كما أعلن كارل ماركس من قبل: "الفلاسفة أضاعوا وقتهم في تفسير العالم مع أن مهمتهم هي تغييره". التغيير إذن هو الدور الرئيس المنوط بالمثقف وليس التفسير. وفي قاموس التغيير هذا، لا توجد عبارات "الحياد" و "التنظير" وإنما "الإنحياز المطلق".

ولسنا هنا بصدد عنونة الثمن الباهض الذي دفعه المثقفون، ومنهم الفنانين والأدباء والشعراء. فالقائمة تطول. ولكن يمكن الإدعاء بان إنخراط المثقف في قضايا شعبه واستعداده الدائم الى دفع الثمن كباقي أبناء شعبه، كما جاء في قول عبد الرحيم محمود "سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى" كانت هي السمة الأبرز للمثقف والمعيار الأساس لمدى حفر إسمه وتراثه في ذاكرة شعبه. على المثقف ألا ينتظر مقابلا، لأنه إن فعل ذلك دخل في خانة التوظيف وليس التغيير. يقول الكاتب إبراهيم علوش: "أنحاز دوما للمثقف الذي يلتحم بالواقع، ويستعد لدفع الثمن، وهو ما يميز كتابة عن كتابة وإبداعا عن إبداع".

* * *

إن حقيقة كون تراث ناجي العلي وغسان كنفاني وإسماعيل شموط هو تراث جماعي للشعب الفلسطيني هو حقيقة دامغة لا غبار عليها ولا لبس فيها. فـ "حنظلة"، ورواية "أم سعد"، و "عائد الى حيفا"، ولوحات "سنعود" و "إلى أين" وكتاب "السيرة والمسيرة" هي رموز وطنية عملاقة أضافت الكثير الى المخزون الثقافي الفلسطيني. ولكن دعونا نتفق أننا مقصرون في حفظ تراث هؤلاء الذين ضحوا من أجل فلسطين بدون إنتظار المقابل، هذا التراث الذي هو تراثنا. دعونا نتفق على أن هؤلاء، ومثلهم الكثير، هم فوق الأحزاب والسياسات الضيقة. هم شقوا لنا الطريق.. فلماذا لا نصونهم؟ ولماذا لا نصونه؟

نهاد بقاعي هو منسق وحدة الأبحاث والمعلومات في بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، وهو محرر مشارك في جريدة "حق العودة". بقاعي هو أيضا رسام الكاريكاتير في جريدة "الفجر الجديد" الصادرة في حيفا.

النّكبـة في الخطاب الثقافي الفلسطيني:

الفـن التشكيـلي نموذجـاً

بقلـم: مليحـة مسلمـاني *

تهدف هذه الدراسة إلى قراء التحولات التي مر بها الخطابي الثقافي الفلسطيني في معالجته موضوع النكبة من خلال التركيز على الفن التشكيلي الفلسطيني كمادة بحث باعتباره أحد أدوات الخطاب الثقافي الفلسطيني وأحد عناصر الهوية الثقافية. تستخدم هذه الدراسة مدخل التحليل الثقافي الذي يقوم على دراسة المحيط الثقافي للظواهر الاجتماعية والسياسية، وتقوم بقراءة التحولات التي طرأت على المعالجة التشكيلية لموضوع النكبة من خلال استقراء تمثيلات النكبة في أعمال رواد الفن التشكيلي الفلسطيني أولا، ومن ثم الانتقال إلى قراءة تلك التمثيلات في أعمال الجيل الشاب من التشكيليين الفلسطينيين. وتجيب الدراسة على أسئلة: كيف يعرف الفن التشكيلي مفهوم النكبة؟ وما هي الرموز التي استخدمها هذا الفن في تمثيله قضية النكبة؟ ثم ما الذي طوره هذا الفن في السنوات الأخيرة في معالجته موضوع النكبة؟

أولا: مقدمة نظريّـة

تمحور الخطاب الثقافي الفلسطيني منذ عام ١٩٤٨ حول مركزية القضية الفلسطينية والمأساة الإنسانية المتمثلة باحتلال الأرض وتهجير الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨. ووجد هذا الخطاب نفسه، ومعناه في نفس الوقت، في معركة المواجهة ضد سرقة الأرض والتراث والهوية الفلسطينية، وأخذ على عاتقه مسؤولية توثيق المأساة الفلسطينية المتمثلة في النكبة وما لحقها من أحداث أخرى لا يزال يمر بها الشعب الفلسطيني. وبعد ما يقارب الستين عاما من هذا التحول في كل من مضمون ووظيفة الخطاب الثقافي الفلسطيني، استطاع هذا الخطاب صياغة هوية ثقافية.سياسية . إنسانية، فلسطينية، سواء بأدواته الفكرية، والمتمثلة بأدبيات مفكرين فلسطينيين مثل إدوارد سعيد وغيره، أو الأدبية، خاصة تلك التي تمثلت بأدب المقاومة، أو بأدواته الفنية من مسرح وسينما وموسيقى وفن تشكيلي وغيرها من أشكال الإبداع الفلسطيني.

تأخذ هذه الدراسة من الفن التشكيلي الفلسطيني، كأحد عناصر الهوية الثقافية وأحد أدوات الخطاب الثقافي الفلسطيني، مادة بحث في السياق السياسي الفلسطيني، من خلال التركيز على تمثيلات النكبة في التشكيل الفلسطيني، والتي عكست مفهوم النكبة في الوعي الثقافي الفلسطيني، الفردي والجماعي. وشكلت النكبة موضوعا رئيسا في الفن التشكيلي الفلسطيني على مدى مراحله المختلفة، وأنتج كل الفنانين الفلسطينيين بلا استثناء، سواء في الداخل أو في الشتات، أعمالا تشكل النكبة موضوعا رئيسا أحيانا، أو خلفية ينطلق منها الفنان الفلسطيني بمختلف المواضيع التي يطرحها أحيانا أخرى.

تعتبر الفنون، والفن التشكيلي على وجه الخصوص، مادة بحث غير مألوفة في السياقين الاجتماعي والسياسي. لكننا نشهد اليوم توجهات غير تقليدية، يُعبّر عنها بالدراسات الثقافية، وتلك التي تتخذ من التحليل الثقافي منهجيةً علميةً تعتمد على دراسة المحيط الثقافي للظواهر السياسية والاجتماعية. تتأكد تلك الحاجة لهذا النوع من التحليل في الحالة التشكيلية الفلسطينية بشكل خاص، والحالة الإبداعية الفلسطينية بشكل عام. فالفن التشكيلي الفلسطيني، ورغم وضوح ارتباطه بالقضية الفلسطينية، لم ينل، كما نال أدب المقاومة على سبيل المثال، نصيبا كافيا من البحث والدراسة في السياقين السياسي والاجتماعي الفلسطينيين. فقد تمحورت أعمال الفنانين الفلسطينيين حول القضية الفلسطينية بأبعادها وعناصرها المختلفة، ووجد هذا الفن نفسه ممثلا شرعيّا للتراث والثقافة والمأساة الفلسطينية في معركة المواجهة ضد سرقة الأرض والهوية. وبذلك تحولت الحركة التشكيلية الفلسطينية، كما مجمل الحركة الثقافية الفلسطينية، إلى حركة نضالية يُستهدف منتجوها كما يُستهدف المقاومون، يتم ذلك عن طريق مضايقة الفنانين والأدباء ونفيهم واعتقالهم بل واغتيالهم. بل إن الفن الفلسطيني ألغى تلك المسافة المعروفة تاريخيا بين الفن والشعوب، من خلال إنتاجه لوحات شكلت رمزا فلسطينيا محليا وعالميا، كلوحة "جمل المحامل" للفنان سليمان منصور على سبيل المثال لا الحصر.

تنقسم تلك الدراسة، بما فيها تلك المقدمة النظرية، إلى ثلاثة أجزاء، بحيث نقوم في تلك المقدمة بتعريف أهداف الدراسة وفرضياتها ومفاهيمها. يبحث الجزء الثاني في تمثيلات النكبة في الفن التشكيلي الفلسطيني في المراحل السابقة والتي تمتد منذ النكبة حتى بداية التسعينات، بحيث يتم بحث تمثيلات النكبة في بعض أعمال تعود إلى روّاد الفن التشكيلي الفلسطيني. أما الجزء الثالث فيتضمن تحليل نماذج من أعمال فنية تعود إلى الجيل الشاب من التشكيليين الفلسطينيين تعالج موضوع النكبة. ومن ثم نخرج في ختام تلك الدراسة بخلاصة عن تمثيلات النكبة في الفن التشكيلي الفلسطيني والتحوّلات التي مر بها هذا الفن في خطابة المحلي والعالمي في معالجته لموضوع النكبة.

نفترض أن الخطاب التشكيلي الفلسطيني ما زال يتمحور حول القضية الفلسطينية والتي تشكل النكبة بدورها أحد دعاماتها الأساسية، كما أن هذا الخطاب في تحوّلاته يعكس مجمل الخطاب الثقافي الفلسطيني والذي بدوره يتواصل ويتحاور ويستند إلى الخطاب السياسي الفلسطيني، مع الأخذ بعين الاعتبار الخصوصية التي تفرضها طبيعة الإبداع نفسه، ما بين مسرح وسينما وأدب وموسيقى، مما يحتاج إلى دراسة مقارِنة ومفصَّلة في مختلف عناصر الخطاب الثقافي الفلسطيني والتحولات التي طرأت عليها. وكلا من الخطاب الثقافي والسياسي الفلسطيني، لا يعرف حدودا فاصلة وواضحة المعالم بينه وبين الآخر، ذلك أن الهوية الثقافية الفلسطينية تستمد معنى وجودها من القضية السياسية، ومن ناحية ثانية تجد الهوية السياسة ارتكازا لها في الهوية الثقافية.

تعتبر الثقافة مفهوما مركبا، شاملا ومعقدا. وتركز بعض التعريفات على الثقافة كسلوك بينما يركز بعضها الآخر على الثقافة كمُثُل وقيم مجرّدة.[١] نرى أن كلا من الاتجاهين يحمل نظرة منقوصة تجاه الثقافة، فالثقافة هي أيضا سيرورة، لما يحويه هذا المفهوم من جدلية بين الثابت والمتغير، عدا عن أن ثقافة مجتمع ما تتأثر بتغيرات داخلية وخارجية يواجهها هذا المجتمع. ومن تعريفات مفهوم الثقافة أنها "ذلك الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والاعتقاد والفن والحقوق الأخلاق والعادات وكل قدرات وأعراف أخرى اكتسبها الإنسان كفرد في مجتمع".[٢] تتبنى تلك الدراسة تعريف اليونسكو لمفهوم الثقافة، وينصّ هذا التعريف على أن الثقافة هي "جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية التي تميز مجتمع بعينه أو فئة اجتماعية بعينها وهي تشمل الفنون والآداب وطرق الحياة كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان والقيم والتقاليد والمعتقدات".[٣]

ويشير مفهوم الفن التشكيلي الفلسطيني في تلك الدراسة بطبيعة الحال إلى الأعمال الفنية التي تشمل النحت والرسم والتصوير وفنون الفيديو والإنشاء والأداء، والتي ينتجها فنانون فلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس وداخل الخط الأخضر وفي الشتات. والفن التشكيلي في فلسطين هو حديث العهد نسبيا كما هو الحال في معظم الدول العربية، حيث كان الفن يقتصر حتى أوائل القرن العشرين على الزخرفة والمصنوعات اليدوية وهو ما يسمى اليوم بالفن الحرفي أو الفن التطبيقي.[٤] نهدف من تلك الدراسة بحث الخصوصية التي طورها الفن التشكيلي الفلسطيني لنفسه، من خلال معالجته موضوع النكبة، كقضية تاريخية ومعاصرة، سياسية وثقافية.

ثانيا: النّكبـة في مسيـرة الفـن التشكيـلي الفلسطينـي

مرّ الفن التشكيلي الفلسطيني منذ عام ١٩١٧ بمراحل ثلاثة. سيطر شكل الفن الشعبي على أولى تلك المراحل، وهي المرحلة التي تمتد منذ عام ١٩١٧ وحتى عام ١٩٤٨، والذي وإن كان فنا تطبيقيا إلى أنه أنتج أيضا أعمال ذات مضامين ورسائل سياسية. شكل عام ١٩٤٨ نقطة تحول جذري على صعيد الدور والمضمون للفن التشكيلي الفلسطيني، ليشهد بذلك مرحلة أسست لحركة تشكيلية فلسطينية فيما بعد، سيطرت على تلك المرحلة مضامين الحنين إلى الوطن والذكريات عنه وأخذ الفن على عاتقه، كما الأدب الفلسطيني، مسؤولية توثيق واقع اللجوء الفلسطيني. ثم أتت مرحلة فنّ الثورة والتي قد تعتبر أهم مرحلة في مسيرة الحركة التشكيلية الفلسطينية على صعيد الوظيفة على الأقل. ويميز الفنان عبد الرحمن المزيّن ثلاث نقلات في تلك المرحلة، الأولى (١٩٦٥ - ١٩٧١) حيث غلبت على تلك الأعمال رموز "الكوفية" و"الرشاش" و"الشمس" كرمز للأمل و"الحصان" كرمز للانطلاقة، ترافق وجود تلك الرموز في العمل التشكيلي الفلسطيني في تلك الفترة مع انطلاق حركات التحرر الوطني الفلسطينية والتي ركزت على النضال والمقاومة والكفاح المسلح بهدف تحرير الأرض. النقلة الثانية (١٩٧١- ١٩٨٢) وهي النقلة الأهم في مرحلة فن الثورة حيث تم الاعتراف بالثورة الفلسطينية وبمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، وتمتاز تلك الأعمال بتوظيف عناصر التراث الفلسطيني في الفن. النقلة الثالثة يسميها المزيّن مرحلة الملحمة التي بدأت منذ عام ١٩٨٢ حيث تطور شكل العمل من اللوحة إلى الجدارية تماشيا وتعبيرا عن الواقع الذي تمثل في اجتياح لبنان وارتكاب المجازر بحق الفلسطينيين في مخيمات اللجوء ومن ثم اندلاع الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧ [٥].

وفي مختلف تلك المراحل، شكلت النكبة، بأبعادها وانعكاساتها على الإنسان الفلسطيني، الهاجس الأول للفنان الفلسطيني، خاصة الفنانين الذين تم تهجيرهم من مدنهم وقراهم والذين جاءت أعمالهم توثيقاً لمأساة التشريد ولواقع المخيمات وتطلعا نحو العودة في لوحات يكلّلها حلم العودة إلى فلسطين الربيع والوطن. وبرز فنانون في تلك المراحل اعتبرت لوحاتهم، فلسطينياً وعربياً وعالمياً، ناطقا رسميا باسم الشعب الفلسطيني وحقه في العودة. من بين هؤلاء كان الفنان الشهيد ناجي العلي وإسماعيل شموط وسليمان منصور ومصطفى الحلاج وعبد عابدي وغيرهم الكثيرين. نهدف من هذا الجزء من الدراسة استكشاف تمثيلات النكبة في أعمال بعض روّاد ورائدت الفن التشكيلي الفلسطيني.

يعتبر الفنان إسماعيل شموط (مواليد اللد ١٩٣٠) رائد تمثيل مأساة اللجوء الفلسطيني، وعبّرت أعماله التي يبقى محورها الإنسان، عن عمق الألم الذي ألمّ بالإنسان الفلسطيني، من خلال رسمه شخوصا تكتسي وجوهها ملامح من حزن وأسى عميقين لكنها أيضا شخوص يشعّ من داخلها الكبرياء والتحدي والأمل في استرجاع حقها والعودة



لوحة "سنعود" للفنان إسماعيل شموط

إلى الوطن الأم. تظهر المرأة كشخصية مركزية في أعمال شموط، بزيها الفلسطيني دائما، وبعلاقتها مع الطفل أحيانا في مقاربة بين علاقة الأمومة بمريم العذراء والمسيح، كإعادة إنتاج لتاريخ اللجوء الذي يكرر نفسه على أرض فلسطين، وكتعبير عن علاقة أمومة خاصة عامة، تشبه علاقة الطفل بالأم بعلاقة الإنسان الفلسطيني بالأرض. ومن والجدير ذكره أنه تم اتخاذ المرأة الفلسطينية في أعمال معظم رواد الفن التشكيلي الفلسطيني كاستعارة للأرض والهوية الوطنية والثقافية والتراثية، كما في أعمال ناجي العلي وسليمان منصور ونبيل العناني وعبد عابدي وعبد الرحمن المزين وكامل المغني وغيرهم الكثيرين.

رسم إسماعيل شموط في فترة الخمسينات لوحات تصور واقع حياة اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات. من بين أهم تلك اللوحات لوحاته "سنعود" و"هل سيعود" و"اللاجئة الصغيرة" و"هنا كان أبي" و"إلى أين" و"فلسطين على الصليب". وكما يظهر من عناوين تلك اللوحات هو تمحورها حول قضية التهجير من ناحية باعتباره جاء اغتصاب حق مشروع في بقاء الإنسان في وطنه، وحول قضية العودة من ناحية ثانية باعتبارها تحقيقا لمبدأ استرجاع الحق المغتصب. عن لوحته "فلسطين على الصليب" يقول إسماعيل شموط بأنه أراد بها الجمع بين ثلاثة أصعدة زمنية هي التشتت وفقدان الأرض والحياة القاسية في المخيمات وأخيرا المستقبل الذي يجب النضال من أجله ومن أجل سلام وسعادة الأطفال [٦]. بعد هزيمة ١٩٦٧ كررت لوحات شموط التعبير عن التهجير المتكرر للشعب الفلسطيني، وإلى جانب اشتداد ألم الشخوص في لوحاته كما في لوحته "إلى أين ... مرة أخرى" والتي رسمها عام ١٩٦٧، بدأت تدخل في أعماله رموز المقاومة والنضال المسلح، والتي صاحبت انطلاق حركات التحرر الوطني الفلسطيني في عقد الستينات.

من رائدات التشكيل الفلسطيني تعتبر جوليانا ساروفيم (مواليد يافا ١٩٣٤) فنانة متميزة على صعيد الأسلوب الذي استخدمته في أعمالها وعلى صعيد عمق المضمون من حيث البحث في جوّانية الذات الإنسانية. إن النظرة الأولى لأعمال ساروفيم توحي بأنها فنانة خارج سياق أبناء جيلها من الفنانين الفلسطينيين من تلك المرحلة والذين جاءت أعمالهم مباشِرة في التعبير عن احتلال الأرض وتهجير إنسانها الفلسطيني منها. غير أن قراءة عميقة لأعمال الفنانة، والتي هُجرت من يافا وتعلمت الفن في بيروت، تكشف عن أسلوب خاص انتهجته، وسيلته وغايته البحث داخل الذات المغرقة بالذكريات عن الوطن. تقول ساروفيم " أنا لا أميز بين الفن والحياة. في الفن ألقى الحب. وفي الحب ألقى الحرية". كانت ساورفيم ترسم في سعي لاكتشاف الذات، تلك التي تلوح في فلكها ذاكرة الوطن الأول، فتتلمس طريقها بلغة تشكيلية تعبيرية تحمل في طياتها الحنين إلى يافا الشاطئ والبرتقال، يافا، شاطئا وبرتقالا، تظهر في أعمالها التي تميزها مائية ونباتية تمر عبر الحلم والذكريات عن الوطن، فيغدو هذا الوطن هو الحلم وهو الذات، فترسم ساروفيم يافا لترسم نفسها، وترسم تفسها لتطلعنا على يافا في داخلها. ويكمل الفنان كمال بلاطة مستقرءا في أعمال ساروفيم مشابهة بين ساروفيم، المرأة الفلسطينية، ويافا، المدينة الفلسطينية [٧]. ومن خلال التداعي الحر بين المستذكرات والذات، تزاوجت تفاصيل المكان المفقود مع ثنايا الجسد الحميم... فمن خلال هذه الكائنات (في لوحات ساروفيم)، كثيرا ما أطلّ علينا من وراء حجاب الزفاف الأبيض وجه عروس وكأنه يذكرنا بصورة يافا التي صورت في الفنون الكلامية كعروس غراء. وفي تمعننا بالملامح البلورية لهذا الوجه المكلل بالنور، يلوح لنا المرة تلو الأخرى وجه ساروفيم.

تطرح أعمال رائدة أخرى من رائدات التشكيل الفلسطيني، وهي الفنانة منى حاطوم، العلاقة بين ما هو ذاتي وما هو سياسي، بين ما هو عام وما هو خاص، من خلال جسدها كموضوع عملها الفني. ولدت منى حاطوم في بيروت عام ١٩٥٢ لأسرة فلسطينية هُجّرت من حيفا. وفي معظم أعمالها يبقى جسد حاطوم موضوعا للمنفى الجماعي والغربة الذاتية. في عملها "تحت الحصار" والذي عرض في لندن قبل ستة أيام من الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، ظهر جسد منى حاطوم العاري مكتسيا بالصلصال داخل مكعب ضيق شفاف، استمر وجود الجسد محاولا الوقوف داخل المكعب لمدة سبع ساعات، في تعبير عن تلطخ وتخبط الجسد العربي داخل الحصار [٨]. أيضا ظهر جسد حاطوم في عملها "طاولة المحادثات" الذي عرض في العام الذي تلا مذبحة صبرا وشاتيلا في أيلول ١٩٨٢ في مدينة أوتاوا في كندا. مُدّد جسد حاطوم لمدة ثلاث ساعات على طاولة يسلط عليها ضوء ومن حولها كراسي فارغة، ظهر الجسد ملفوفا بالشاش الطبي وبالأكياس ومن خلال البطن يظهر كيس مخضب بالدم ومليء بالأمعاء، رافق هذا العرض تصريحات لقادة عرب حول السلام في منطقة الشرق الأوسط [٩].

يصف إدوارد سعيد أعمال منى حاطوم بـ "منطق الأضداد" التي تستند على ما يسميه بـ "ذاكرة التحدي"، ويوضح الفنان والباحث الفلسطيني كمال بلّاطة هذا الوصف من خلال أعمال حاطوم التي تعبر في نفس الوقت عن أضداد تتروح ما بين الهوية والمنفى وما بين القمع والمقاومة وما بين الأسر والحرية [١٠]. يقول إدوارد سعيد في قراءته لأعمال حاطوم: "في عصر المهاجرين، واللاجئين والمنفيين، وهروب المدنيين، عصر المذابح والمخيمات، ومنع التجوّل، وإبراز بطاقات الهوية، تعتبر... (اعمال حاطوم الفنية) بصفتها الأدوات العرَضيّة غير القابلة للمصالحة في علاقتها بذاكرة التحدي، هذه الذاكرة التي تواجه الذات دون هوادة وبالعناد نفسه الذي تواجه فيه الآخر الذي يطاردها ويقمعها، ولئن اتسمت (هذه الأعمال) بالتغيير المستديم إلا أنها ترفض لنفسها التفريط بالماضي الذي تكمن عليه بحيث تبدو في ذلك وكأنها كارثة مغفلة يتواصل حدوثها دون توقف ودون تملّق أو تبجّج أو عصف خطابي" [١١].

وفي المشهد التشكيلي الفلسطيني داخل الخط الأخضر، حيث الأقلية الفلسطينية التي تواجه سياسية صهيونية مزدوجة ما بين الإقصاء من ناحية ومحاولات الأسرلة من ناحية أخرى، برز فنانون فلسطينيون عبروا عن خصوصية الواقع والهوية. كان من بين هؤلاء الفنان عاصم أبو شقرة الذي تعتبر لوحته "صبّار"، والتي أنجزها عام ١٩٨٩ من أكثر لوحاته إثارة للجدل وفضحا لعمق قضية الإنسان الفلسطيني في مواجهته مع "الآخر" سارق أرضه وهويته. تمثل تلك اللوحة الهوية الفلسطينية المرتكزة على قدرة الشعب الفلسطيني على البقاء والحفاظ على الهوية رغم اقتلاعه من أرضه. فالصبّار يمثل القدرة على النمو من وسط الموت، وجسده يحتوي سبل الدفاع عن هذا الجسد "الشوك". وتلك هي الهوية الفلسطينية التي تحتفظ بالقدرة على الاستمرار في عناصرها ذاتها. إن دلالة الصبّار الموجود في مركز اللوحة يشير إلى فكرة الصبر والقدرة على البقاء في ظل الظروف القاسية، وإن وضع الصبار في أصيص في اللوحة يعبر عن منفى الشعب الفلسطيني الذي اقتلع من أرضه وهُجّر إلى أراض أخرى غريبة. ومن الجدير ذكره في هذا السياق أن النقد الصهيوني يحاول إعادة إنتاج صبار عاصم أبو شقرة في سياق ثقافي صهيوني كما عبر عن هذا التوجه الناقد الصهيوني بانيه دونز، يقول الباحث نصر الجوابرة [١٢]: "إن الفنان أبو شقرة بهذا العمل يقوم على أنسنة تلك النبتة الحرة. ومعادلتها بالإنسان الفلسطيني الذي اقتلع من أرضه، مغايرا بها الرمز الصهيوني المعروف في الأدب والرسم بالإنسان الذي عاش أرض (إسرائيل)، فهو يقدم لنا تضمينا دلاليا للرمز يغير من الارتباطات الفكرية للصبار الصهيوني، والذي هو في الأساس ذو مرجعية لغوية من خلال كلمة (Saber)، وتعرب كمعنى معادل للصهيوني الذي نشأ في أرض فلسطين".

مثلت النكبة وما تبعها من تهجير للشعب الفلسطيني وتشتته في أماكن مختلفة واقامته في واقع قاس في مخيمات اللجوء، محور أعمال رواد الفن التشكيلي الفلسطيني، وعكست هوية فلسطينية تمحورت حول القضية التي تستند على الحق المشروع في العودة إلى الوطن. في تلك المراحل من مسيرة الفن التشكيلي الفلسطيني تحولت اللوحة في معظم أعمال الرواد إلى أشبه بـ "بوستر" سياسي ونضالي، من خلال طرحها المباشر للقضية السياسية واحتوائها على رموز التراث الهوية والكفاح والمقاومة الفلسطينية.

ثالثا: النكبة في الفن الفلسطيني منذ عقد التسعينيات

دخل الفن التشكيلي الفلسطيني منذ بداية التسعينات مرحلة جديدة شهد فيها تطورا على مستوى المضمون أولا، من حيث تنوع المضامين والمواضيع التي يطرحها ومن حيث اختفاء المباشَرة في طرح ما هو سياسي في العمل الفني، وثانيا وعلى مستوى الأدوات طور الفن الفلسطيني مختلف الوسائل التعبيرية المرئية، فاستخدم إلى جانب النحت والرسم والتصوير أدوات معاصرة مثل فن الفيديو Video Art وفن الأداء Performance بالإضافة إلى فن الإنشاء Installation.

يحتلّ المكان، بوصفه ذاكرة تنطلق من المكان المؤقت والآني والقاسي، مخيم اللجوء، لتسافر عبر اللوحة والحلم إلى المكان الأمّ والأول، حيزا خاصا في أعمال التشكيليين الفلسطينين، وبشكل خاص في أعمال الفنان أسد عزّي (مواليد شفاعمرو ١٩٥٥) والتي تعالج المكان ببعديه التاريخي والمعاصر. فمن خلال الرموز التي تتضمنها لوحاته، خرائط بناء البيوت القديمة والصور والوثائق، يستحضر عزّي من الذاكرة المكان والشخوص والحياة التي كانت في المدنية الفلسطينية، يافا. تظهر يافا القديمة في لوحته "راحة المقاتل"، ببيوتها القديمة وبمئذنتها العالية، في حين يظهر الفلاح الآتي على ظهر الحمار في أعلى اللوحة، الفلاح هو الشخصية التي مثلت بطل أعمال أسد عزي، في إشارة من الفنان إلى المخلّص المُنتظر. يظهر ختم بالعبرية على التمثيل المعماري والتراثي للمدينة، في دلالة على السيطرة وإخضاع المدينة وهويتها للحكم الإسرائيلي. الفلسطينيون في إسرائيل يعانون ليس فقط التهجير من قراهم الأولى فحسب، بل أيضا من محاولات تهجيرهم من هويتهم الفلسطينية، فهم الشاهدون الحقيقيون على "أسرلة" المكان الفلسطيني وبالتالي محاولة أسرلة الإنسان الفلسطيني. المكان يشكل جزءا من الذات في أعمال أسد عزي، تلك الذات التي تعالج تشكيليا علاقتها مع المكان الجديد الخاضع، لكنها تنطلق من ذاكرتها من مكان قديم ما زال يصرّ على الحضور بهوية مغايرة لما هو مفروض صهيونياً.

تمثّل سلسلة أعمال مصوّرة بعنوان "مشوّشة" للفنان حنّا فرح (مواليد الجش ١٩٦٠) هوية اللجوء الفلسطيني، الفردي والجماعي، من خلال تثبيت الزمن، التاريخ والحاضر الفلسطيني، في صورة التقطها الفنان لنفسه واقفا، مطأطئ الرأس يداه مثبتتان على جانبي جسده، تحت عقدة بين جده في قرية كفر برعم التي هُجّر منها سكانها عام ١٩٤٨، وقّع الفنان على أعماله باسمه ملحقا بـ "قرية برعم"، كتأكيد على عنصريْ المؤقت والاقتلاع في هوية اللاجئ الفلسطيني الذي يعيش مؤقتا في مكان آخر، ويتوق إلى العودة إلى



لوحة "جمل المحامل" للفنان سليمان منصور

الأرض التي هُجّر منها [١٣]. تبدو عقدة البيت كتاج فوق رأس الفنان، لكنه يبدو تاج يُثقل الإنسان الفلسطيني، الذي يبقى "مشوشا" كما يحمل اسم العمل، نتيجة للسيرورة غير الطبيعية للتاريخ، حنّا فرح يحدّق في المهجر الذي يأتي بعد المنفى، وهو لا يتصالح مع التاريخ، لا يتصالح مع هذا المنفى. يؤكد حنا فرح على تلك المعاني والدلالات في الهوية الذاتية والجماعية للتهجير الفلسطيني من خلال صورة أخرى يظهر فيها جسد عاري يحمل في يديه المتواجدتين في الصورة ككفيّ ميزان شعر رأس، في إحدى يديه شعر أسود، وفي الأخرى شعر أبيض. مرة أخرى هناك إيحاء من ضعف الجسد وعريّه لما يحمله هذا الجسد بشكل معادل من تاريخ وحاضر لا ينفصلان بل يصرّان على التداخل والاختلاط، التاريخ الفلسطيني يقف عند عام ١٩٤٨، ويبقى هذا التاريخ محدّقا في حاضر الإنسان الفلسطيني، كما الشعر الذي يشيب لكنه يبقى بعد الموت. ركزت سلسلة الأعمال تلك على تمحور هوية اللاجئ الفلسطيني حول الذاكرة الجمعية، التي لا تنفك أن تحيا، ولا تنفك تُثقل الإنسان الفلسطيني بمأساتها المتكررة وحضورها المستمر.

ويعتبر الفنان إبراهيم النوباني (مواليد عكا عام ١٩٦١) حالة تشكيلية مثيرة للجدل داخل الوسط الفني في الكيان الصهيوني وتشكل تحديا للمنظومة الاستعمارية التي يمثلها هذا الكيان. أقام أبوه في مدينة حيفا وبعد النكبة لجأ إلى عكا واستقر فيها، أما أمّه فقد هُجرت وعائلتها من قرية الكويكات التي يقوم على أنقاضها اليوم "كيبوتس بيت هعيمق". عبّرت أعمال النوباني على مدار مسيرته التشكيلية عن قضايا الهوية الفلسطينية وعنصرية الكيان الصهيوني ومعاناة الشعب الفلسطيني على يد الاحتلال بدءا بالتهجير ومرورا بالنكسة وانتهاءا بالانتفاضتين. دخلت الأحداث المأساوية بدخانها ودمويتها المجال الهندسي الذي يقيمه النوباني على لوحات ذات حجم كبير، تعجّ برموز عربية وفلسطينية كالمزهرية وأوراق النبات والشجر والقش المجدول والعين، في تأكيد على عروبة وفلسطينية المكان والإنسان. يحتلّ البيت، كاستعارة للوطن المفقود، مكانة رئيسة في أعمال النوباني، من خلال رسم نموذجين للبيت في أعماله بأسلوب طفولي، البيت العربي، مربع على رأسه نصف دائرة-قبة، والبيت الغربي، مربع على رأسه مثلث، تمثيلا لعدم التصالح في المشهد المكاني على أرض فلسطين والمتمثل بتدمير القرى الفلسطينية وإقامة المستوطنات الحديثة على النمط الغربي على أنقاضها. أثر اندلاع الانتفاضة الثانية في شخصية النوباني الإنسان والفنان، ليذهب بأسلوب تعبيري فوضوي إلى رسم الأحداث الدموية التي يعانيها الشعب الفلسطيني. يتجلى ذلك بداية في عناوين لوحاته "موت في فلسطين" و"جنين" و"ثور جنين" و"نصبوا لي الخيمة، قلت سأبقى".

عن علاقة الفنان إبراهيم النوباني بالبيت يقول مشبّها الحالة الذاتية بالعامة والوطن بالبيت: "أشعر بأن لا بيت لي، وهو شعور يخلق حالة من عدم الاستقرار، تشبه الحالة الفلسطينية برمتها، أن تكون مهجّرا أو ابنا لعائلة مهجّرة يعني أنك تبقى مهجرا..." [١٤]. "نصبوا لي الخيمة، قلت

التتمة ص٢٢

في الذكرى الأولى لرحيل الفنان إسماعيل شموط

خواطـر فـي السيــرة والمسيــرة

بقلم: الفنــان عبـد عابـدي *

راجعـون.. وإسماعيل شمّـوط

في شهر نيسان من العام ١٩٤٨ كانت عائلتي الكبيرة المكونة من عائلات الحاج والقلعاوي وعابدي من العائلات الحيفاوية العريقة تعبر مسالك التشرد عبر الميناء "ونهر المقطع" شمالا إلى لبنان وسوريا والاردن. كنت أنا ولدا صغيرا عندما التحقنا بمركب تجاري أقلنا بحرا مع جدتي فاطمة القلعاوي وجدي نايف الحاج وأمي خيرية وأخوتي زهرة وسعاد وأخي طيب الذكر ديب الى ميناء بيروت ومن هناك الى الكرنتينا ومن ثم الى مخيم المية ومية (كان معسكرا للجيش الفرنسي في فترة الانتداب الفرنسي في لبنان وسوريا)، وهو مخيم يقع على أطراف مدينة صيدا.. رحلنا جميعا ما عدا والدنا قاسم عابدي الذي أبى أن يترك وسادته وحصيرته في حي وادي الصليب القريب أمتارا معدودة من شاطئ البحر الغادر.

سيرتي الذاتية هذه تشبه إلى حد كبير المسار المأساوي الذي مر به إسماعيل وتمام في مسار التشرد من اللد الى رام الله مشيا على الأقدام وتشرد زميلنا الفنان محمود طه من يبنة إلى شرق الأردن وناجي العلي من الشجرة مرورا بطريق المسيح الى طبريا ومن ثم صاعدا قمم الجبال الى قرية مرج عيون التي ربما تلاقينا فيها هناك أيضا. ويبقى أن ركوب البحر والإبحار مع "الفلوكة" كما فعلت عائلة تمام الأكحل (أم يزيد) هو المسار المميز لتهجرنا ولمهجرنا.

* * *

تشئ الظروف لاحقا ويا للمعجزة أن نستعيد إمكانية الرجوع إلى حيفا بعد قضاء سنتين من التشرد وفي مخيمات اللاجئين في لبنان وقضاء سنة ونصف في جامع مهجور في حي الشاغور في وسط مدينة دمشق القديمة، تلك المدينة التي بقت فيها شقيقتي الكبرى لطيفة وأبناءها في مخيمات اللاجئين هناك.

كان ذلك ضمن ما فعله أبانا قاسم عابدي الذي لم يترك حينا لكن ترك حصيرته القريبة من شاطئ البحر واخذ يستنجد معارفه من "الإشكناز" وخاصة شريكه في تجارة الأبقار والخيل "حاييم شميد" أن يسعفاه وأن يسمح لنا بالرجوع الى حيفا.

رجعت أنا وعائلتي الصغيرة دون شقيقتي الكبرى المتزوجة في الغربة ودون العائلات الحيفاوية العريقة، رجعت أنا وبقي ناجي العلي واسماعيل شموط معلمي الأول ومحمود طه وغسان كنفاني وأحمد دحبور وتمام الاكحل ومحمود الكرمة وأبو سلمى وسميرة عزام وغيرهم من المبدعين الفلسطينيين بعيدين وقريبين من حدود الوطن فلسطين.

* * *

في العام ١٩٥٧ وبعد سنة من مرور حرب السويس قرأت خبرا في "مجلة الجديد" الصادرة في حيفا عن الرسام الراحل اسماعيل شموط وعن معرضه الذي افتتحه القائد جمال عبد الناصر في القاهرة وهو الفنان الفلسطيني الأول الذي يحظى بتلك المكانة والتقدير والابداعات الفنية ولما يحمله المعرض من مواضيع عن القضية الفلسطينية وتشرد أهلها.

كانت اللوحة المعنونة بـ "الى اين؟" ومسار نزوح اللاجئين بمثابة شعلة أضاءت مخيلتي كوني ولسنوات خلت كنت أنا وجدي نايف الحاج وجدتي فاطمة وأمي خيرية وأخي طيب الذكر ديب وشقيقتاي زهرة وسعاد في هذا؟ في خيم المية ومية وجامع الصابون في دمشق.

كنت انذاك أتابع برامج الإذاعات العربية كي أحظى بسعادة ولو للحظات في سماع أغنية فيروز راجعون وسنرجع يوما الى حيينا، كنت كلما سمعتها عبر الإذاعة محاولا تجسيد ذلك الحدث عبر اللوحة القماشية وكانت الأولى التي رسمتها تكريما لفيروز ولصوتها الباقي فينا أبدا .

إبراهيـم هزيمـة المغتـرب فـي برليـن

ذكرت سابقا أنني ومنذ طفولتي وحداثة عهدي كنت تواقا للمعرفة والتعبير الفني بواسطة الرسم والكتابة الإنشائية وكنت شغوفا بتصوير المواضيع الحياتية لمن تبقى في حيفا كأقلية مهزومة ومغلوبة على أمرها وكذلك البقية الباقية في الجليل والمثلث وقضايا الحكم العسكري وحركة التنقل والتصاريح الملزمة في التنقل من حيفا الى الجليل والمثلث ومناطق أمنية أخرى (كزيارة طبريا، ومناطق سياحية أخرى).

كلها جميعا ساهمت في صقل موهبتي الفنية التي تركزت في موضوعات اللاجئين وقضايا المسحوقين والمضطهدين في البلاد وخارجها.

إن انتمائي إلى ما يسمى أبناء الكادحين والشبيبة الشيوعية وفيما بعد الى الحزب الشيوعي في اسرائيل قد سرّع وساهم كثيرا في وضعي الى جانب خانة الملتزمين والمدافعين عن الحق ولأجل حرية الإنسان وحرية الأرض والكرامة والسلام وحق العودة والمساواة للجماهير العربية في وطنها.

أقمت معرضي الأول في مدينة تل أبيب في العام ١٩٦٢ وكان أول معرض لفنان عربي شاب في المدينة العبرية ومن ثم لأول مرة فنان عربي شاب في جمعية الفنانين الاسرائيلية.

كانت أعمال إسماعيل شموط وأعمال كاتيا كلوفيتش الألمانية وأعمال المبدعين الفرنسيين ديلكورا وباول غوغان واغوسط رودان ومانيه ومونيه تدغدغ الخيال والإلهام وكذلك أعمال الفنان الخالد الاسباني فرنسيسكو غوبا وبابلو بيكاسو وفان كوخ ورمبراند والايطالي ريناتا غوتوسو رسام المهجرين وفيما بعد أثناء دراستي في درسوف اللقاء المؤثر مع فنان المكسيك الخالد سيكيروس.

في نهاية العام ١٩٦٤ حصلت على منحة دراسية للدراسة الأكاديمية في المدرسة العليا للفنون في مدينة دريدسن وذلك ضمن المساعدة التي قدمتها جمهورية ألمانيا الديمقراطية عبر الحزب الشيوعي في إسرائيل. أيقنت حين قبولي للدراسة أنني سأتعرف على الفنانة كيتا كولوفيتش رسامة الغلابة والمضطهدين في ألمانيا في فترة ما بين الحربين العالمتين، لكنني لم أدرك أن كيتا قد توفت في العام ١٩٤٤ وأن الرسامة ليئا غرونديغ هي التي سوف ترشدني في السنتين الأوليتين وهي مطلعة على أعمال الفنانين المعاصرين وتعرف عن الفنان إسماعيل شموط الفنان الفلسطيني الذي زار ألمانيا مرات عديدة. إن كون الفنانة المحاضرة ليئا غرونديغ تنتمي إلى أصول يهودية وهربت من معسكرات الاعتقال والموت ساهم في بلورة اتجاهاتي الفنية والشخصية.

وفي بداية العام ١٩٦٥ كان لي اللقاء الأول مع فنان المهجر والرحيل الزميل إبراهيم هزيمة المولود في عكا وهجر منها إلى سوريا ومن هناك قُبل طالباً متميزاً في كلية الفنون الجميلة بمدينة لاينبرغ التي تبعد حوالي ١٥٠ كيلومتر عن مدينة دريسدن، لقد تمحور لقاؤنا الأول عن مسارات الهجرة ودولها ومكانة الفنان الفلسطيني وطموحاته المستقبلية وحديث عن معلمنا الأول الذي رسم النزوح والهجرة الفنان إسماعيل شموط.

قبل سنوات كتب الكاتب الإسرائيلي النقدي عاموس كينان مقالة في ملحقات إحدى الصحف عن الطرد والتهجير الجماعي بأمر من رئيس الحكومة دافيد بن غوريون أبان النكبة لسكان اللد والرملة. وكان على رأس المنفذين قائد المنطقة إسحاق رابين حيث تم إخلاء السكان بالقوة وطردهم إلى الضفة الغربية (المملكة الأردنية فيما بعد). يروي عاموس كينان في مقاله ما رأته عيناه في مدينتي اللد والرملة أثناء تجواله هناك في فترة النكبة.

يصف كينان البيوت والأبنية المفرغة من سكانها وحالة العبث والتدمير الهائل لأحياء اللد والرملة واللحظات التي مرت حين ترك الناس بيوتهم. فمنهم من ترك الطبيخ على نار "البريموس" ومنهم من ترك فناجين القهوة فاترة لم تشرب بعد. وهناك بيت مميز.. يقول كينان.. دخلته... وإذ بي أرى لوحات فنية مرسومة على قماش قيم منها موضوع على الحمالة وألوانها لم تجف بعد.. بدت لي أن هناك شاب كان يرسم اللوحة ولوحات أخرى مبعثرة بغرفة المكان قبل حدوث ما حدث وكأنه تواق إلى عالم يخلو من الحروب والدمار وكأنه.. لم يدرك أن لحظة الوداع الأخيرة والفراق حتماً آتية... إنه لن يسعد أبداً في تحقيق حلمه وسيكون هو هناك (في الغربة) إلى الأبد.

بعد قرائتي لهذه المقالة.. وحين زيارة إسماعيل وتمام إلى حيفا رويت ما جاء في التقرير مقتنعا تماماً أن ذلك الشاب الهاوي الذي كان يرسم ربيع بلاده في ربيع العام ١٩٤٨ لم يكن سواه... وها هي الرملة واللد ... مأذن النبي صالح والجامع الكبير وكنيسة مار جريس ومواسم الخضر والبيارات الخضراء وجدارات الصبر والتين ومواسم الأفراح لا زالت في انتظار عاشق الأرض والسماء ابنها إسماعيل شمّوط رسام الهجرة والرجوع.

عبـد عابـدي



لوحة "جدار" للفنان عبد عابدي

يتبين لاحقاً أننا أربعة فناني الهجرة والتغرب وهم تمام الاكحل وطيب الذكر إسماعيل شموط وإبراهيم هزيمة وأنا دعينا لمعرض مشترك في المتحف الوطني الأردني في عمان تحت عنوان "الحلم والحقيقة" بدعوة من الأميرة وجدان علي وذلك في العام ١٩٩٧، شارك في حفل الافتتاح لفيف من المبدعين الفلسطينيين والأردنيين والصحفيين العرب والأجانب. كان ذلك اللقاء التاريخي مع إسماعيل وتمام بمثابة حلم حقيقي في استرجاع الصورة المرئية لأجزاء الوطن ومركباته في صدر بيارات البرتقال في سهل اللد والرملة وسفن الأبحار من ميناء يافا ونساء عكا وقراها وشبابيك البيوت المهجرة من أحياء حيفا والجليل.

إسماعيـل وتمـام فـي حيفـا

في ربيع العام ١٩٩٢ أعلمني إسماعيل (أبو يزيد) عن رغبته في القدوم إلينا مع زوجته تمام (أم يزيد) لأجل إقامة معرضه الأول في قاعة المركز البلدي في الناصرة. كانت فرحتي لا تصدق عندما استقبلتهما في المدخل الجنوبي لمدينة حيفا وحلا ضيفان في بيتنا الكائن في وادي النسناس، كما قمنا خلال تواجدهما في حيفا بزيارة مرسمي والأماكن التاريخية والمواقع التي انطلقنا منها في عملية النزوح والهجرة (بداية الميناء ووادي الصليب) وكنت أشعر خلال الشرح والحديث عن حيفا وأهلها الباقين فيها كم هما سعيدان لهذا اللقاء وتواجدهما على أرض الوطن وكم هي الحسرة وشعور الألم لهذا الشعور المجبول بين الحلم والحقيقة كما تفوه بها طيب الذكر أبو يزيد.

قمت خلال الزيارة القصيرة بترتيب لقاء مع مبدعين شباب من كفر ياسيف في إطار جمعية "إبداع" التي ترأستها لمدة سنتين. وكذلك في ترتيب لقاء مع مجلس اعبلين المحلي وكادر عامليه وزيارة النصب التذكاري لشهداء يوم الأرض في سخنين وعكا. كانت السيدة تمام وخلال الزيارات المرهقة تحرص على توفير ساعات راحة لزوجها وتتأكد من تناوله الأدوية المختلفة واليومية والنوم المبكر.

لقد دأبنا على التراسل بعد هذه الزيارة وبرمجة نشاطات فنية وتواصل لمبدعين من الداخل في المعرض الذي حرص إسماعيل على تنفيذه لستة فنانين في المتحف الوطني في العام ١٩٩٩ والذي افتتحته الملكة رانيا. وقيامه بترتيب لقاءات وندوات في بيته الواسع باشتراك فنانين وصحفيين أردنيين وفلسطينيين ومتابعة الحدث وعلاقاته المميزة والمتشعبة مع أبناء شعبه. أصدر إسماعيل شموط كتابه الأول والجامع عن الفن الفلسطيني وفيما بعد كتابه السيرة والمسيرة لمجموعة أعماله وأعمال زوجته تمام وتعد رائعة السيرة والمسيرة المرئية لما سجلته عيناهما لرحلة الشقاء التي ابتدأت مشياً على الأقدام من اللد إلى رام الله ومن رام الله إلى الكويت وبرلين وإلى بيروت في سنوات الحصار ومن ثم إلى الكويت وبعدها إلى عمان ليستقر بها إلى الأبد.

* * *

في العام ١٩٦٩ دعيت إلى ألمانيا من قبل جمعية الصداقة الألمانية الفلسطينية بواسطة ممثلة الجمعية السيدة الين رولف لافتتاح معرض مشترك لفنانين فلسطينيين ويهود في شمال ألمانيا بعنوان "حقاً ممكن" هذا المعرض الذي تنقل من نيويورك ومدن أمريكية أخرى إلى ألمانيا ومدن أوروبية أخرى. في أثناء افتتاح المعرض وبحضور شخصيات ألمانية عديدة، وقفت السيدة رولف حاملة ملصق وعليه لوحة إسماعيل شموط بعنوان "إلى أين؟"، تمثل الشيخ الفلسطيني مشقق الوجه والى جانبه حفيده في مسيرة الغربة دون تحديد، دعت السيدة الحضور إلى الالتزام بالصمت لمدة دقيقتين وتذكار ما حدث للشعب الفلسطيني والتضامن معه واعتبار أن الفلسطينيين هم ضحية "الكارثة" وان على الشعوب الأوروبية أن تساند قضيتهم العادلة والإنسانية. في الأيام التالية من وجودي في مدينة "كير" القريبة من همبورغ ضيفاً عند السيدة ولف وكان عمرها ٧٥ عاما وصالة بيتها تحوي الكثير من اعمال إسماعيل وآمراته تمام. لقد كانت معجبة بأعمالهم وترى فيها الوسيلة والرسالة الهامة في نقل مأساة الشعب الفلسطيني في تحريك الضمير الأوروبي لتضامنه معه.

* * *

مرت سنة على وفاة الأخ الأكبر والفنان البكر إسماعيل شموط، وها أنا في حيفا أعيد ذكراه وذكرى اللقاء الذي تم هناك في عمان، أجول في صور كتابه السيرة والمسيرة وأمر على تكوينات وجوه النساء الحالمات والرجال ذوي السواعد القوية والرجل مشقق الوجه والكرسي المتنقل والبقج التي تحوى الخرق وتحوى الكواشين وشهادات النفوس، صور لأطفال في حواكير البرتقال.. أسمع آهات الجموع الحاشدة المستصرخة بصمت اللوحة بسرابية الرجوع اللارجوع.. في دغدغة فرشاه من آمن أن للون حكاية وللخط قوة الاختراق لكل الجدارات التي تحول دون تحقيق الحلم الذي لا بد أن يتحقق.

أخي إسماعيل... سلام لك...

* عبد عابدي هو فنان تشكيلي فلسطيني يقيم في مدينة حيفا وهو مدير جمعية "عرابل" لتطوير الفنون. درس الفنون في مدينة دريسدن الألمانية، وله العديد من المعارض في الوطن والخارج، وحاصل على عدد من الجوائز المحلية والدولية.

لا يكتمـل الحديـث عـن فلسطيـن بـدون التطـرق الـى إسماعيـل شمّـوط

بقلـم: الفنـان يوسـف كتلـو *


لوحة من معرض « صباح الخير يا يافا» للفنان يوسف كتلو

الساعة السابعة ذات صباح وصلتني رسالة عبر الهاتف المحمول تنعي وفاة الفنان الفلسطيني اسماعيل شموط، والبقاء لله. بدأت الدموع تنهمر من عيني، اسماعيل شموط في ذمة الله وجسده خارج الوطن وروحه ترفرف في سماء اللد تراقب شخوصه ورموزه التي صنعها على مدى أكثر من أربعين عاما من العمل الدؤوب بالقلم واللون صانعا مجدا فلسطينيا مجسدا حلمه وطموح شعبه. لم يتنازل عن حقه في العيش الكريم في وطنه. تابعت أخبار شموط عبر الأصدقاء في الخليج العربي فجاءت نهايته جسدا ولن تنتهي اللوحات الخالدة التي بقيت تحاكي اجيالاً وراء أجيال. قبل وفاته بأيام وصلني آخر أعماله الفنية، لوحة لفتاة جالسة، إلى جانبها قطة تجلس بهدوء على كرسي، ولا تحرك ساكنا. الشعر مسترسل بانسيابية، وعلى خلفية اللوحة تلك الحمامات التي طالما رمز من خلالها الفنان لفكرته. اتحدث عن ضمير الحركة التشكيلية الفلسطينية. فهو أبرز رموز الفن التشكيلي الفلسطيني والعربي، شكل المدرسة الواقعية واستحوذ على اهتمامه الهم الفلسطيني ومعاناة شعبه، فرسم عروسين على الحدود فتاة وشابا فلسطينيين يحدقان بنظرات ثاقبة نحو حيفا ويافا ليقولا أن العروس هي فلسطين والعريس هو فلسطين ونحن كلنا فلسطين. لا يكتمل الحديث عن فلسطين بدون التطرق الى اسماعيل شموط، رائد المدرسة المعاصرة التي نهضت بالفن الفلسطيني المعاصر عربيا وعالميا. افتخر على الدوام أنه ابن عائلة بسيطة مكونة من عشرة انفار خمسة ذكور وثلاث اناث، ورث والده عن جده مهنة البيع. وكان يتمتع بصوت جميل. اما مدينة اللد التي غادرها قسرا فبقيت في ذاكرته الصورة الوجدانية المجسدة لآمال آلاف اللاجئين الفلسطينيين المشردين التائهين في عالم الغربة والشتات. تشكيلاته الفنية ترسم في أذهان محبي فنه تلك الجموع المهاجرة المزنرة بالأ مل، وتخلد في الوجدان مدن حيفا ويافا والناصرة والقدس والمعاناة الفلسطينية. في لوحات شموط إصرار على حق العودة وتأكيد له. في عام ١٩٥٣، بعد النكبة أقام الفنان معرضه الاول في غزة، متضمنا ستين لوحة مهدت لانطلاق الفن التشكيلي الفلسطيني. سعى شموط على الدوام لإبراز الجوانب المأساوية والتاريخية لقضية فلسطين، جاعلا من رموز لوحاته دفقات أمل للحلم الفلسطيني. ومضى اسماعيل وبقي الحلم الفلسطيني، كي يخلد.

توفي رئيس اتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين إسماعيل شموط في ألمانيا عن عمر يناهز ٧٦ عاما بعد معاناة مع المرض. والفنان الراحل يعتبر المؤسس الفعلي للحركة الفنية التشكيلية الفلسطينية التي لم تعرف قبله فنانا استطاع أن يربط حياته الفنية بحياة شعبه في مختلف المراحل التي مرت بها القضية الفلسطينية، كما تقول الفنانة الفلسطينية المقيمة في القاهرة لطيفة يوسف.

شمّـوط في سطـور

تخرج إسماعيل شموط من كلية الفنون بالقاهرة ثم توجه عام ١٩٥٦ إلى روما لمتابعة دراسته في أكاديمية الفنون الجميلة في العاصمة الإيطالية. وانتقل بعدها إلى لبنان وهناك شكل مع زملائه أول اتحاد للفنانين التشكيليين الفلسطينيين عام ١٩٦٩ وتولى بعد ذلك بعامين منصب الأمين العام لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب. ثم غادر لبنان إلى الكويت ومنها رحل عام ١٩٩٢ إلى ألمانيا، واستقر به المطاف في العاصمة الأردنية، عمان.

وشموط هو المؤسس الحقيقي للحركة الفنية الفلسطينية وفرضت الحياة التي عاشها أن يلجأ إلى المدرسة الواقعية في الفن التشكيلي ورسم المعاناة التي عاشها اللاجئون والشعب الفلسطيني بعد النكبة. ومن لوحاته في تلك الفترة "إلى أين؟" و"سنعود" و"بداية المأساة" و"جرعة ماء" و"ذكريات ونـار". بين الأعوام ١٩٥٠- ١٩٥٦ درس فن الرسم والتصوير في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ثم في أكاديمية الفنون الجميلة بروما، تخللها في العام ١٩٥٣ إقامة أول معرض للوحاته في مدينة غزّة. وفي العام الذي تلاه أقام معرضه الثاني في القاهرة ، بمشاركة زميلته تمام الأكحل، رعاه وافتتحه الرئيس الراحل جمال عبدالناصر. وكانت العلاقة بينه وبين الفنانة تمام الأكحل قد تكللت في العام ١٩٥٩ بالزواج. وبعد عشر سنوات من هذا التاريخ انتخب شموط كأول أمين عام لاتحاد الفنانين التشكيليين الفلسطينيين. وانتخب في العام ١٩٧١ كأول أمين عام لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب.

لشمّوط العديد من المؤلفات والكتابات الفنية والثقافية والتراثية، والمعارض الشخصية (معظمها بمشاركة زوجته الفنانة تمام الأكحل) في معظم البلاد العربية وفي عدد كبير من بلاد العالم. إسماعيل شموط حاصل على درع الثورة للفنون والآداب وعلى وسام القدس وعلى جائزة فلسطين للفنون وجوائز عربية ودولية عديدة.

---

* يوسف كتلو هو فنان تشكيلي فلسطيني مقيم في دورا/ الخليل، وهو عضو رابطة الفنانين التشكيليين في فلسطين وهو نائب رئيس مؤسسة إبداع للثقافة والفنون في دورا. لكتلو العديد من المعارض الفنية في فلسطين. للمزيد حول يوسف كتلو:
www.geocities.com/yousefartist/index

إسماعيـل شمّـوط شكّـل قسـوة الحيـاة بفنيـة متأججـة المشـاعر

بقلـم: سعيـد مضيـة *

بكثير من الحفاوة استقبل الجمهور الفلسطيني بروز أول فنان تشكيلي يرسم مأساته. كان الاسمان اسماعيل شموط وتمام الأكحل يتوزعان على صفحات الجرائد، قبل أن يكوّنا أسرة واحدة. والفن ظاهرة حضارية، والمعارض، التي لم يتح للأغلبية الساحقة من الفلسطينيين فرص الاطلاع عليها، غدت موضع اعتزاز الكثيرين. فقد أقام شمّوط أول معارضه في غزة، حيث لجأ إثر عملية التهجير القسري التي مارستها قوات المنظمات العسكرية الصهيونية. لم تكن في عقد الخمسينات محطات تلفزة تنقل الصورة. عرفت المنطقة الإرسال التلفزيوني في أواخر عقد الخمسينات، وآنذاك لم يتعد البث بضعة كيلومترات. ومع هذا كان فن إسماعيل شمّوط وتمام الأكحل حديث التجمعات الثقافية، يلهم المثقفين والفنانين الفلسطينيين والعرب فضيلة الالتصاق بالقضايا الوطنية ورفض الظلم.

"الحياة قاسية مع الظلم والجهل والفقر"، تلك مقولة الفنان الصاعد التي ألهمت عمله الإبداعي طوال أكثر من نصف قرن. تناغمت الواقعية والفنية في أعماله بموازين الفنان وتقديراته العفوية، لكنها محكومة برؤيته الاجتماعية وموقفه من القضية الوطنية وخبرته الفنية. أثرت النكبة الفلسطينية في الوجدان الجمعي فجعلت القضية مركز الاهتمام ومحور الجهد الإبداعي للمثقفين الملتزمين. شاهد وعاش النكبة وسجل شهاداته ضد الظلم في رومانسية حارقة ميزت المبدعين الفلسطينيين. "خَلَقَتْ مواضيعُ لوحاتي أسلوبَها، وكان الهمُّ الأساسي في بداية الخمسينيات هو كيف يمكن أن أعبر عن ذلك الزخم المتأجج والمخزون في أعماقي بالريشة واللون".

ابتدع الفنان خطوطه الخاصة التي ميزته. جسّد المعاناة في لوحاته الأولى، وكانت مرحلة الحيرة الممضة للعقل والوجدان. في لوحته "إلى أين" يمضي العجوز والطفلان ولا تجد الشباب. الطفل يغفو على كتف العجوز، ولعله الجد، بينما تمسك يد العجوز بيد الطفلة الحائرة تتفرس وجها لا يوحي بغير الألم والحيرة. تواضُعُ المبدع والتصاقه بالقضية أوصله إلى معايشة الجموع الكادحة فرسم معاناتها: فلاحون يجدّون الزيتون، فلاحة تبيع محصول الفاكهة بالسوق، فلاح يحرث حابولاً ضيقا انتزعه من بين الصخور وخلفه يمتد حقل واسع محروث بالجرار. تعرف شموط على مشكلات الناس وأشاعها في لوحاته فنا واقعيا لم يتبذل لمستوى عمل الإعلانات والدعاية. جسد في لوحاته وجه الطفل ووجه المراة ووجه الأرض ووجه الأيام، كما جسد الغضب والألم والأمل ووجه المقاتل. كانت الانفعالات تضطرم في النفوس ترتسم على الوجوه. هكذا برز فن البورتريه في لوحات شموط. واكب الفنان مسيرة النضال الفلسطيني من تحفز الخروج من الحيرة فالمقاومة، حيث رسم لوحات مثل "عروسان على الحدود" بألوان متألقة. تناغم اللون والخط في وحدة جدلية مميزة لفنان وضع بصمته المتميزة على لوحاته. يقول شمّوط في حديث صحفي: "أبدأ برسم الخطوط؛ فتتحرك يدي وفق المشاعر المتأججة؛ فتولد أشكالا، والأشكال تولد الموضوع، وتستمر عملية التوالد في مرحلة الرسم وفي مرحلة التلوين إلى أن تكتمل اللوحة". ويمضي إلى القول، "لا أعتمد على تقنية واحدة في الرسم بالزيت، والتقنية بالنسبة لي ليست عملية عقلانية، بل هي خاضعة لما يفرضه الموضوع الذي يولد مع الحدث وفي أثناء العملية الفنية".

عاد في أواسط الثمانينات يصوّر عنف الاجتياح الإسرائيلي وحرب المخيمات الفلسطينية بألوان داكنة تعكس الحزن، كما تجلى في لوحته "تل الزعتر". جسد في أعماله ، وهو يصعد مع نهوض شعبه اويهبط الشعاب والوديان، المثال للفنان المثابر المناضل الذي أسكن وطنه في دماغه، وطوف به في العالم الرحب. وحلم بالانتفاضة والحجر عام ١٩٨٤. ويقول في الحديث صحفي، "والإنسان متغلغل فيّ بحكم العذاب الذي حل بالإنسان العربي الفلسطيني، والذي شهدته في حياتي وبأم عيني.. ولا أستطيع تصور عمل فني لي بدون أن يكون الإنسان محوره الأساسي".

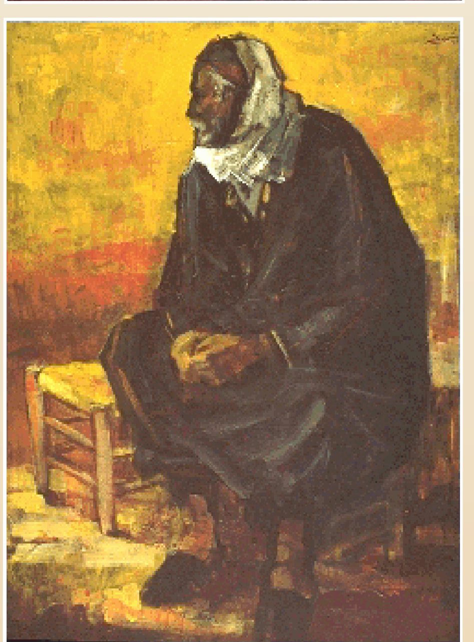
---

* سعيد مضية هو كاتب فلسطيني يقيم في مدينة الخليل



نماذج مختارة من أعمال الفنان إسماعيل شموط





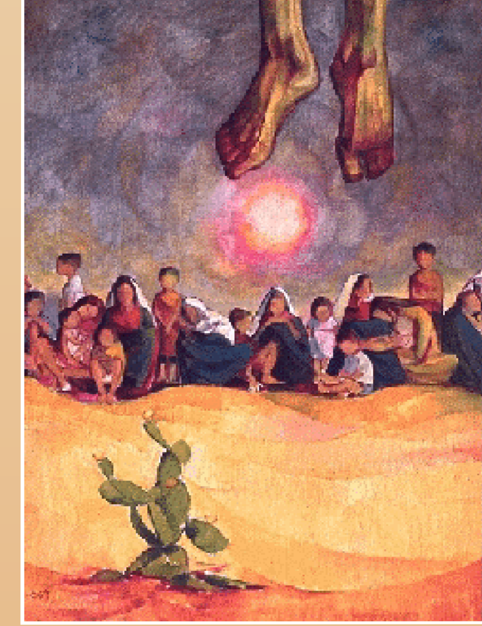








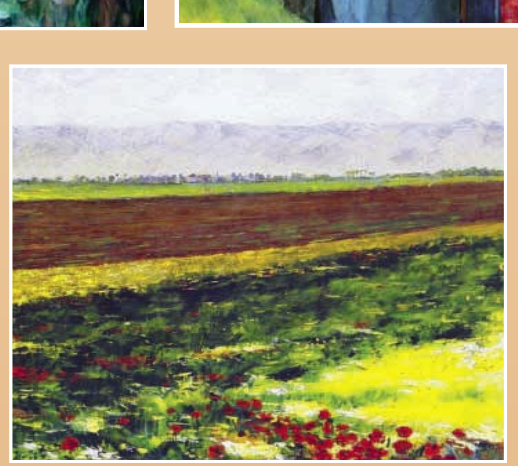






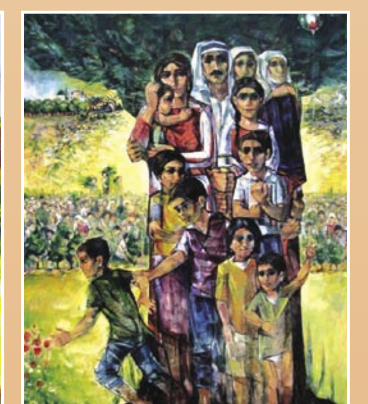












إلى غسان:

سلامٌ من بيتك الواقف أمام البحر

بقلم: سامية قزموز بكري *

بيتك غسان يستوقفني، لا أدري ما الذي ينتابني كلما مررت به. أمثل دون حراك وكأنني أراه لأول مرة. ما الذي يفعله بي بيتك؟ ما الذي تفعله بي حجارته بصوتها الصامت؟ لماذا تظل فاغرة فاها في تساؤل ينز ذكرى؟

أجلس الآن على صخرة أمام بيتك... الحيطان مشققة كشرخ في القلب... تكاد تسقط الحيطان... كم أخشى عليها... أريد أن ألملم كل حجر فيها... أسمع أصواتاً تنبعث أنيناً من جزيئات حجارة عطشى... هي سكنى ماض قريب... الشرفات المطلة على شاطئ مدينتي الساكنة، تحدث عن توق أهله للشمس... عن جلسات سمر.. عن أيام عمر... عنك عن الأب والأم والأخوة... شيء ما في ضلوعها يستنفرني أن أدخله.. أن أحسه.

يترامى إلى سمعي صوت النورس... وقد تجمع أسراباً أمام ناظري على صخور "النيل" (ما يطلقه أهل عكا على المنطقة العميقة من بحرهم)... أبيض كسجاد غيم نقي... أبيض بلون الراية التي حملها أضطراراً وجهاء مدينتي بمسيرة سلمية إلى مركز الشرطة.. للتسليم... منعاً للمجهول المرعب الذي تهامس به الجميع خاصة الآباء والأمهات، بعد أن سقط آخر مناضل على سورها العتيق.

أما أهل مدينتي الطيبون فيحدثون بأن آخر المناضلين ظل يقاوم وحده دفاعاً عن المدينة اليتيمة ومن على برج المراقبة (فوق مركز الشرطة) كاشفاً الجنود القادمين باتجاه تل الفخار لاحتلال البلد.. ووحده مغطياً انسحاب المناضلين (الذين فرغت أسلحتهم من الذخيرة) عن طريق البحر.. وانه – كما يصفون– قاوم مقاومة الأبطال.. وأنهم شاهدوا جثمانه الطاهر بأم أعينهم يتهادى كريشة طائر– وقد رمى به أحد الجنود من عل– حتى عانق الأرض بهدوء وسلام.. أمي تقول بأن الملائكة حملته (يا يما) لأنه شهيد حبيب الله.. والبعض الآخر يدعي أن ضابطهم منع الجندي الذي هم بإلقائه من فعلته، بل وخلع قبعته العسكرية إحتراماً.. فقد الحق بجنوده خسائر فادحه بالأرواح والمعدات حتى ظن أن هناك كتيبة كاملة تقاوم على البرج... ووافق الجميع في البلد أن البحر يومها صلى عليه– على أحمد شكري– صلاة الجنازة ورددت المدينة الثاكل همهمات البحر.

أعود إلى البياض الذي غيبني للحظات... والى بيتك الرابض بصمت.. أتذكر طيور النورس البيضاء منزرعة بالمئات على الصخور... أتذكر هذا المنظر الإلهي يا غسان...!!! لا بد أنه انطبع في ذاكرتك الطفلة... فالنوارس تصطف عادة أمام شرفتكم الغربية... قرب "جورة البطلان" لم يستطيعوا محو اسمها. وان فعلوا هل يمكن محو الذاكرة!! .. نعم غيروا الكثير ويغيرون... ينتزعونها منك وهي بين يديك.. وأنت حي ترزق وعينيك "تطلع".. انتزعوها مرتين.. باعوا الخانين (خان العمدان وخان الشوادرة) والميناء..و.. و.. أما "وقف" الجزار فقد باعته لجنة مؤمنة مسؤولة عنا!!

غربوك في بلدك يا غسان..

ويبقى البحر.. ما زال كما تركته... عميقاً.. بزرقته الداكنة.. وقبة السماء تمس أفقه الدهش... وسوره العتيق ما زال واقفاً لها طعم خاص.. لم أجدها في أي مكان آخر.. كهذا البحر الغامض لم أجد...

بلى... تغير بعض منه... فقد سيطر أحدهم على جزء من البحر هل تصدق.. "شط العرب" وسيجه.. أصبحنا "نحن أهل البحر" غرباء عنه... بعدما ملكناه أطفالا.. برماله وأصدافه.. والباخرة الغارقة نتسلق عليها... وذهب شمسه يلفح بشرتنا السمراء.. ناسين أنفسنا والوقت في ملاحقة السلاطعين والأسماك الصغيرة الملونة، بصفائح المياه المملوءة بفتات الخبز المسروق من الدار، والمغطاة بشاشة بيضاء مثقوبة، والتي رغم ثقلها لم تحد من حركتنا وشيطنتنا..

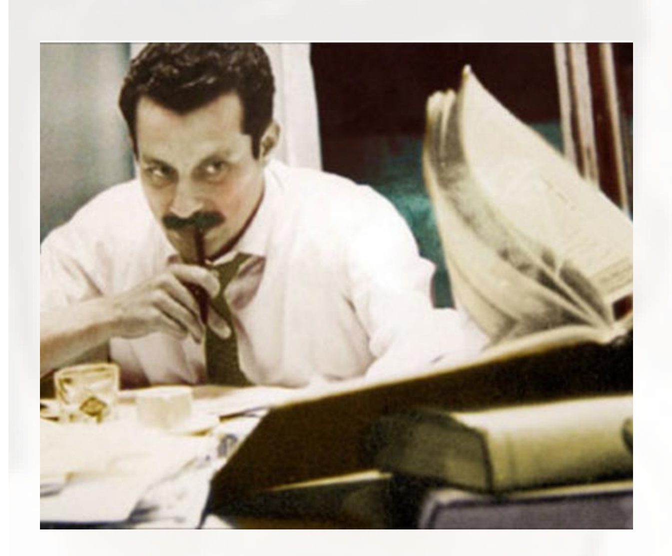
مؤكد انك كنت صياداً صغيراً كأطفال مدينتي..

حدثتني أمي عن هذا الشط، وقصته مع نساء المدينة قائلة: بأربعة أيوب (وهو يوم إربعاء معين من أيام السنة تغسل به النساء وجوههن تيمناً بستنا مريم بنت عمران).. كانت أمي الله يرحمها تقول: "يا الله يا بنات قوموا قبل ما تطلع الشمس.. اليوم أربعة أيوب..قوموا.. يا الله أي..)

وتذكر لي أمي أن الرجال الجالسين في المقاهي لاحتساء قهوة الفجر مع (البحرية) كانوا يتسائلون بصوت جهوري تسمعه الصبايا العائدات من شط العرب بعد تناول (الترويقة) هناك: شو يابا .. شو في اليوم.. طير غريب في الحي؟" وتضيف: خالاتك كانوا ييجوا من حيفا خصوصي عشان اربعة أيوب.. وكانوا حلوات.."

يرد: ليوه... ليوه شباك (جملة بحرية عكا).. قال أربعة أيوب يا عيني... بيغسلوا وجهن أحسن ما الوجه يذوب.. ويضحك الرجال جميعاً، فيزداد تمايل الصبايا "بالملاءة" الشفافة السوداء التي تحجب جمال وجوهن.

واملا رئتي بهواء البحر وأنا أنقل ما بين قبة سيدي عز الدين المنسية وبيتك... وتشدني عتبات ثلاث لأحد المداخل.. فالباب الذي توصل أليه هذه العتبات الرخامية موصد بالأسمنت... كذلك الشبابيك.. أي "لا دخول" "انتهى المكان".. "ماتت حياة أناس هنا" يضج رأسي بعاصفة من المعاني.. توقظني منها قطعة من الزجاج الملون علقت بإحدى النوافذ في الطابق العلوي.. تلهث عن ذوق رفيع وحضارة.. وبلمح البصر ينقلب إطار النافذة الخشبي المحفور الى بيت آخر.. كان في مدينتي.. نفس الخشب المحفور.. نفس الإطار...!!



أذكر ذلك اليوم.. قبل سنوات بضع.. كنت عائدة من مكان عملي في الشارع المحاذي لشاطئ الغربة" واذا بي لا أجد البيت الحجري الكبير.. صعقت.. شعرت باختناق... لقد هدموه .. محوه وقفت أمام الجرافات تائهة مهدودة.. كانت قد أنهت عملها القاسي ولم يبق من بيت الشيخ أسعد الشقيري سوى بعض قطع محطمة من أعمدة الرخام الجميلة.. كان العمال ينظفون المكان... وكأنه ما كان.. حزن مرير عصرني.. أكاد أستشعره الآن.. كأنه حدث البارحة.. لقد أقتلعوا مرتعاً لطفولتي... شرفة هذا البيت.. ذلك البيت.. أمام البحر كانت مجلسنا.. لطالما رمقنا المغيب ونحن نقضم بذر البطيخ والمحمص، والساعات تمر دون أن ندري، نلعب "الغميضة" متخذين من أشجاره اليافعة مخابئ لنا.. نطل عبر ثقوب الأبواب المقفلة أعواماً فتعترينا رعشة الغياب.. الأثاث جميل مغطى بالغبار.. لماذا؟ أين صاحبه؟! نتسائل ببراءة الأطفال.. القبر الكبير داخل غرفة أذهلنا وشجرة زنزلخت قربه شقت السقف وخرجت منه قبر رخامي محفور على شاهد قصيدة ضم رفات أجداد العائلة... أين هاتيك الشجرات!! شجرة الاكدنيا التي طالما سطونا على ثمرها اللذيذ.. شجرات البرتقال... والورود الفواحه بشذا لن أنساه.. البركة الرخامية وسط البستان جرفوها هي أيضاً.. لقد جرفوا كل شيء حتى القبر الكبير.. أذكر أنهم جمعوا عظام الموتى ووضعوها في صندوق سلموه لقاضي البلد ليسلمها بدوره إلى الأهل في نابلس ومنها.. الى .. لا ادري أين.. ووريت ثانية.. تشريد ما بعد الموت.

حدث هذا على سمع وبصر البحر.. بحر هذه المدينة رأى الكثير الكثير... بالأمس شاهد أهلها يمرون على سطح أمواجه مودعين.. وأمامه صرخت المرأة اللهيف "الهاجة" من حيفا مع من هجوا بالزحّافات، معلنة ثكلها بلمسها فجأة وسادة بدل رضيعها في حضنها.. ما زال البحر يردد رجه توسلاتها..

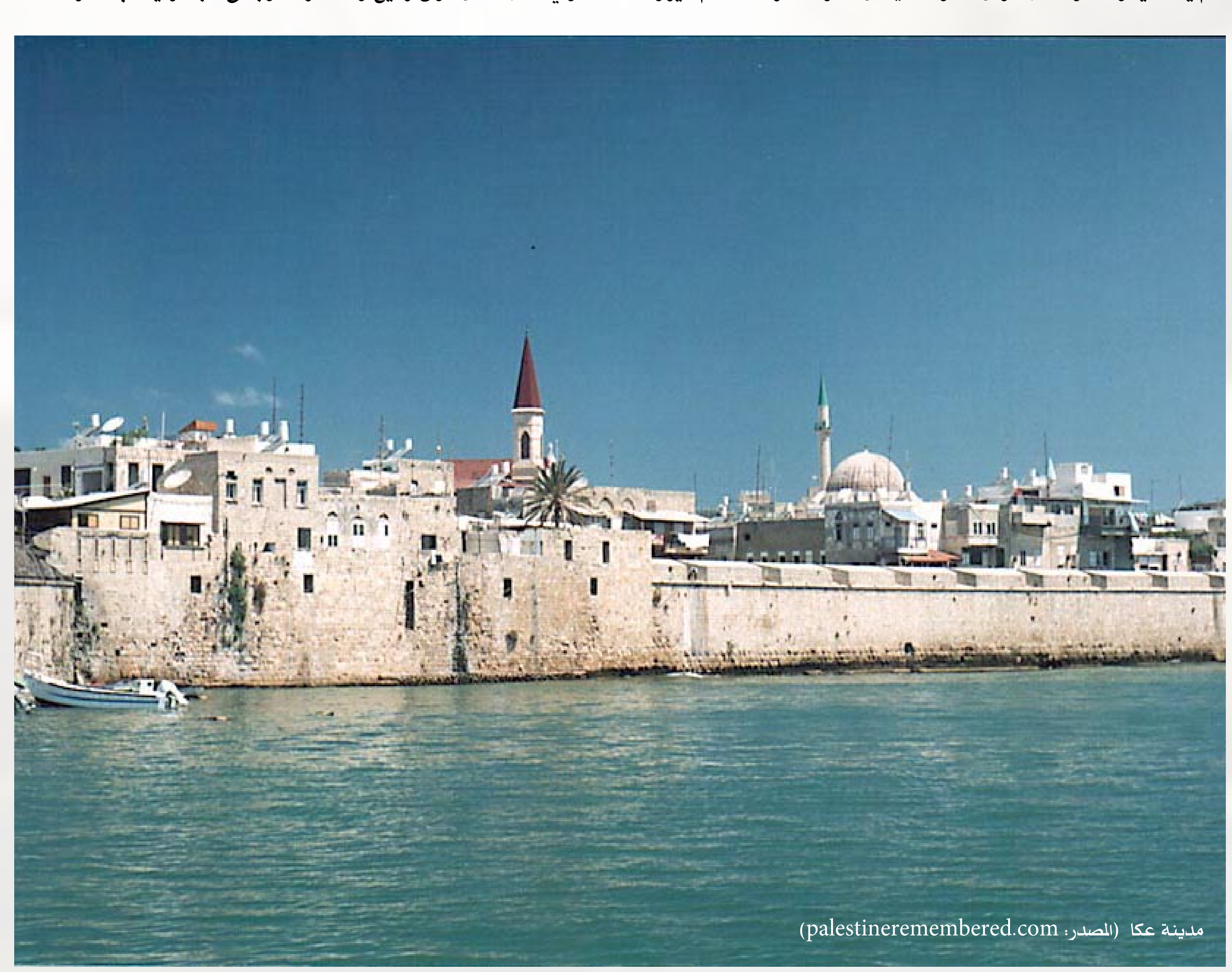
أما البيوت الحجرية فما زالت واقفة مكانها، باقية يا غسان... تضخ بصمت حياة ماضية، أب ما زال يسمي البيوت بأسماء أصحابها:

دار أسمى الطوبي.. ودار خليفة.. ودار توفيق حقي.. ودار قميش.. ودار.. يسمي ولا ينسى أبداً في كل مرة أن يذكر دار "شبل" التي هم صاحبها بالانتقال إليها بعد أن أنهى عمارها ووقعت النكبة.. فلم يدخلها.. ثم ينهي حديثه لي دائماً بهذه الجملة "عكا يابا كانت... كانت ملانة.. ناسها راحوا كلهم.. فضيت البلد.. وأنظر في عينيه.. هاتان العينان رأتا ما كان.. فهو.. فهو يعيش زمنين: زمن الذكريات المعاشة وهذا الزمن.. وأنا كذلك.. ولكن الذكريات لدي هي الصور المحكية وشتان ما بين الاثنين.

بعثت سعيداً وصفية إلى حيفا للبحث عن خلدون.. (ومنهم من يرفض دخول المدينة، كصديقتي التي لا تريد أن ترى بيتها أبداً).

عدت لمدينتك يا غسان، أحس بروحك هنا ترفرف فوق النورس شفافة.. فقد قلت يوما "النخلات في مدخل المدينة، تنفض عن سعفها الكسولة المسترخية نوم ليلة الأمس".. يوم كنت طفلاً ما بعثت النخلات أنيناً مع إطلاله كل فجر..

سلامٌ من بيتك آل ما زال واقفاً أمام البحر...



مدينة عكا (المصدر: palestineremembered.com)

* سامية قزموز بكري هي فنانة وكاتبة فلسطينية تقيم في مدينة عكا. للفنانة العديد من المسرحيات والأعمال الدرامية ومن أشهرها مونودراما "الزاروب"، والتي كانت فاتحة أعمال مسرح تل الفخار الذي أسسته الفنانة سامية قزموز- بكري في مدينة عكا في العام ١٩٩٢. تم تكريمها من قبل وزارة الثقافة التونسية خلال دورة مهرجان قرطاج المسرحي لعام ٢٠٠٣.

في ذكرى استشهاد غسان كنفاني:

الوعـي مـن صـراع الـذات المتولـد من تجربـة الواقـع: نذالـة العالـم لا زالـت تتجلـى فـي صـور بشعـة يا غسـان !

بقلم: سالم أبو هـواش *

مرت قبل أيام ذكرى تطاير أشلاء الأديب المفكر والمثقف المنتمي والسياسي المناضل في سماء بيروت، ومثلما ظلت جرائم كثيرة بلا عقاب، كذلك ظلت جريمة اغتيال العبقري الفذ غسان كنفاني، القائد الفلسطيني والمفكر الذي حمل معه جريمة اغتيال طفولته في نكبة عام ١٩٤٨. ومع صدور هذا العدد من "حق العودة" في ظل تناحر فلسطيني داخلي يستبدل الوطن بالسلطة الذاتية الوهمية التي لا تملك من أمرها رشدا، وفي ظل الجرائم المستمرة والنكبة اليومية المتواصلة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، في داخل الوطن وخارجه، من العراق إلى لبنان إلى معبر رفح، لا زال المخصي "أبو الخيزران" يردد: "لماذا لم تقرعوا جدران الخزان"؟ [من رواية رجال في الشمس]، ولكن الصيحات تبتلعها الصحراء، والأحياء ينتظرون دورهم، لأن الموت ليس قضية الميت، بل "قضية الأحياء الباقين المنتظرين دورهم بمرارة ليكونوا درسا صغيرا للعيون الحية" [من قصة موت سرير رقم ١٢].

لا يزعم كاتب هذه السطور أنه مطلع على لوحات غسان بالزيت ولا على تصاميمه وملصقاته، وخاصة في المرحلة ما بين عامي ١٩٥٦- ١٩٦٠ والتي كان فيها غسان كنفاني فنانا تشكيليا؛ لكن غسان كنفاني مثل معجزة بكل معنى الكلمة، فالصبي الصامت المتأمل، كما كان يصفه والده، يجابه النكبة المستمرة بكل ما أوتي من قوة بصيرة، ومن الكدح للحصول على قوت يومه، ودفع رسوم تعليمه، إلى أعظم المبدعين الفلسطينيين الذين عرفهم عصرنا على الإطلاق، ومن مدرس للرسم إلى صحفي بارز، يكتب القصة والرواية والمسرحية وقائد سياسي وفنان تشكيلي ومصمم ملصقات، هل كان يعرف أن حياته ستكون قصيرة إلى هذا الحد، على الأغلب: نعم. لكن يا غسان "كل الرجال تموت، ولكن ليس كل رجل يحيى". موت غسان الفريد مثل تميزه، أصبح قضية الأحياء المنتظرين على الدور ليكونوا درسا صغيرا للعيون الحية، أو لا يذكرهم أحد.

الرجال في الشمس في كل مكان على سطح الكوكب وليس على الحدود العراقية الكويتية فقط، الفلسطيني الذي ضاع وطنه نتيجة لضرورة إنشاء دولة إسرائيل تتويجا لنذالة العالم، تنتابه النزوات وشهوة "السلطة" فيما نذالة العالم تبلغ حدا لتجعل العمى والصمم مطبقين، بحيث لا تصل الصرخات إلى القلوب الرحيمة، ولا تسمع صرخات الأحرار، لا الموت اليومي على معبر رفح، ولا التدمير في مخيمات غزة أو لبنان، ولا المآسي في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين على الحدود السورية-العراقية والسورية الأردنية، عصر مفعم بالنذالة، حتى خيمة "أم سعد" العزة والكرامة باتت واهنة مع نزوات الفلسطيني الذي لا يشعر بالعار ملتصقا به حتى مخ العظم.

أي غسان، كم رددت: أعرف حقك، اصح يا نايم، قم خذ ما لك في هذه الدنيا، إبن جنتك، لا تمت قبل أن تكون ندا. وأن "الخيانة في حد ذاتها ميتة حقيرة" [من قصة قرار موجز]. ولكن العجز الروحي والنفسي والعقلي يختلط بالخرافة، ولم يعد هناك فرق كبير بين خيمة وأخرى يا "أم سعد"، وناجي العلي الذي وجدته يرسم على جدران مخيم عين الحلوة لم يعد يرسم عن المتكرشين، ولم يعد حنظلة يشعرنا بالمرارة كل يوم حتى نغير طعم مرارة الواقع اليومي في حلوقنا. وعاد محمود درويش الذي كشفت عنه آنذاك في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، ليقول للفلسطيني: من أنت؟ أنت غيرك! وليسأل: إلى ماذا ننتسب؟ وأين اذهب؟ بعد أن كان يغني "وطني ليس حقيبة .. وأنا لست مسافر". والعاشق لا زال على جواده، لكنه عرف المزيد من الأعداء ومن نذالة العالم. و"عبد العاطي" عاد ليطل برأسه ويلعب في الرؤوس والنفوس. والعائد إلى حيفا لم يعد يستطيع الوصول إليها للزيارة، رغم أن الوطن كله تحت سيادة "دوف"، ونذالة العالم لا تزال ترعى العنصرية والعقد النفسية والوسواس الصهيوني، ولا زال الفلسطيني يحمل نكبته المتواصلة في تراجيديا جماعية متقنة الإنتاج، ولكنها لم تعد تثير تعاطفا مع أبطالها. فمنذ رحيلك يتكرر المشهد التراجيدي، وينضاف المزيد من الأبطال المأساويين، وقد أصبحنا حالة إعلامية خاصة، لا يتم ذكرنا إلا عندما نموت جماعيا أو بصورة درامية تحتوي على مشاهدة مثيرة وغير متكررة.

قصة غسان كنفاني، هي قصة المأساة الفلسطينية، وفنه وأدبه وقلمه يجسد الرواية الفلسطينية، يتولد الوعي لديه من الذات المتجاوبة والنشطة في الحياة، ومن الصراع الداخلي في نفس ووجدان أبطال غسان كنفاني يتولد الوعي، وقد سارت الرواية الفلسطينية مع غسان كنفاني في عدة مراحل، من وعي المشكلة وفهم الأزمة إلى العمل على تجاوزها، لم يرى غسان في قيام إسرائيل نزوة عابرة، بل كضرورة تاريخية أملتها كل العوامل الداخلية والخارجية وتتويج لنذالة العالم الاستعماري ضد شعب فلاحي بسيط، من هنا فهم غسان كنفاني الفرق بين الأفعال وردود الأفعال، بين "طق طق الأعراس" وبين السياسة والوعي. ولكن الرواية الفلسطينية الكاملة لم تكتمل بعد، بل ما زالت محاصرة بقوة الرواية الصهيونية المدعومة من "نذالة" العالم، وهي لم تكتمل بعد شأن "العاشق"، الأعمى والأطرش" و"برقوق نيسان". ولا زالت ارض البرتقال الحزين تئن تحت وطأة البساطير وجنازير الدبابات والجرافات، ولا زال الجو مشبعا بالرائحة العطنة، مرة آتية من الغرب وأخرى من الشرق، بل يصعب تحديد مصادرها، خاصة أنصار "عبد العاطي" حملوا الفؤوس والدبابيس للدفاع عن خرافتهم وشماعة أسرارهم وجرائمهم.

كنا نعلم من كتابات غسان أن الحياة مزيج متقلب من الظلمات والنور، من ظلمات النفس إلى نور العقل، ومن غياهب الخرافة والجهل إلى حقائق الواقع والوعي، ومن الوهن والضعف إلى القوة والعمل، لكن في "عصرنا" الراهن؛ لم يعد الوعي وعيا، ولا الجهل جهلا، ولا "حتى الخيانة ميتة حقيرة". ولا زالت سياسة التهجير "والترانسفير" الداخلي والخارجي، وصناعة الموت هي بضاعة أهل النذالة في العالم؛ في المخيمات، لم تعد "أم سعد" تهلل لخيمة الفدائيين، بل باتت توزع الحلوى في كل مناسبة يسقط فيها بطل تراجيدي جديد، وما زال "أبا الخيزران" يهتف في الصحراء، وصوته يرتد إليه من بعيد، وما زالت "صفية" تتوق إلى العودة إلى حيفا.

أي غسان! قلت مرارا وما بين كل السطور أن لكل جريمة عقاب، أضعنا الوطن، والعقاب أن لا نجد شيئا ننتمي إليه، أو أن العقاب يكون بأن نتخيل أننا ننتسب إلى شيء ما، لنكتشف أن الوطن يعاقبنا من جديد بكشف إنتسابنا الزائف، ولندفع الثمن مرة أخرى، في سلسلة غير منتهية من الجريمة والعقاب عليها.

إذا كان هذا شأننا نحن الضعفاء، فهل يلقى الأقوياء من أهل النذالة في العالم عقابهم، أم أننا يجب أن نعاقب أيضا على عدم قدرتنا على إخضاعهم للعدالة؟ وهل فعلا لكل جريمة عقاب، أم أن "الجرذ القوي يتغذى على الجرذ الضعيف"، وأن الحقيقة هي أنه ليس تمثال الحرية بمشعله وميزان عدالته المزيف، بل قوة السيف والرغيف، هما اللذان يمثلان قوة أهل النذالة في العالم.

أي غسان! إن كان والدك قد فقد أرضه وثروته رغما عن انفه، لكنه لم يفقد فضائله ولا قيمه؛ ولكن، مع كل أسف، ليس الكل كذلك! وليس الكل غير ذلك أيضا.

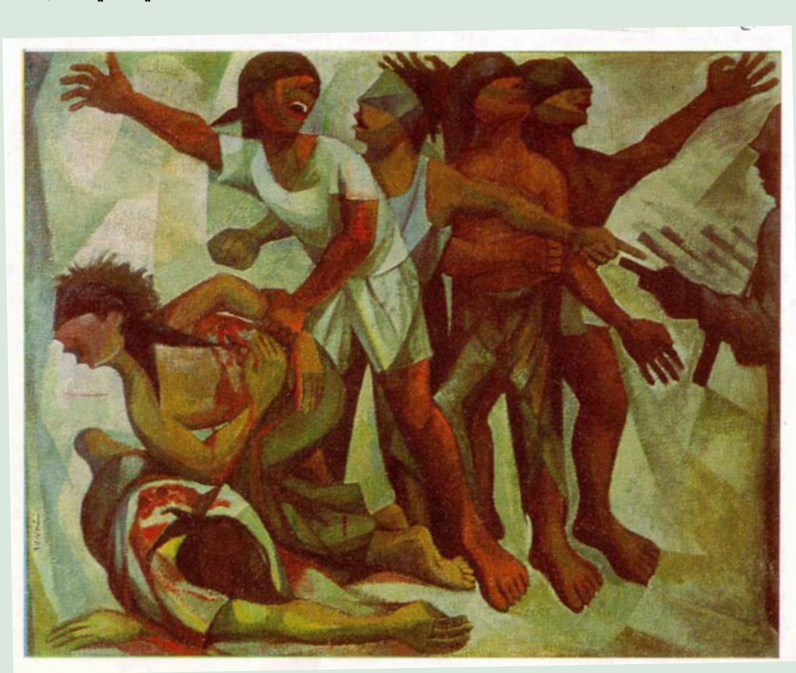
---

* سالم أبو هواش ناشط سياسي وحقوقي في مجال الدفاع عن حقوق اللاجئين الفلسطينيين. شغل أبو هواش سابقا منصب رئيس مجلس إدارة بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين.

فلسطين حاضرة دائما في الفن التشكيلي العربي

نماذج من أعمال الفنان السوري ممدوح قشلان

يعتبر الفنان التشكيلي السوري ممدوح قشلان من روّاد الفن التشكيلي السوري، حيث درس الفنون في اكاديمية الفنون في روما في منتصف الخمسينيات وشارك منذ تلك الفترة بعدد من المعارض الجماعية خلال فترة تعليمه الجامعي. وفي العام ١٩٥٨، أقام قشلان معرضه الفردي الأول في العاصمة السورية دمشق برعاية الحكومة السورية. وكان ذلك فاتحة معارضه في سورية وعدد من الدول العربية والأجنبية. وفي العام ١٩٦٨ اقام قشلان متحف الفنون في دمشق، وساهم في العام ١٩٧١ بتأسيس الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب، والذي وقف على رأسه حينئذ الفنان الفلسطيني إسماعيل شموط، فيما شغل ممدوح قشلان منصب نائب الأمين العام. وإسهاما بإحياء هذه المناسبة الجلل، والتي تصادف فيها الذكرى الأولى لرحيل عميد الفن التشكيلي الفلسطيني الفنان إسماعيل شموط، والذكرى العشرين لاغتيال عميد فن الكاريكاتير الفلسطيني الشهيد ناجي العلي، فقد أرسل إلينا الفنان ممدوح قشلان، بناء على طلب خاص من هيئة تحرير "حق العودة"، عدد من نماذج أعماله والتي تجسد فيها روح الوطن وروح فلسطين، وتعكس وقع فلسطين على خيال المثقف العربي. وفلسطين في أعمال الفنان السوري ممدوح قشلان كما في أعمال العديد من فناني العالم العربي ليست حكرا على شعبها الفلسطيني، وإنما يمتد جرحها يمتد حيث تمتد العروبة والى حيث يمتد كل من يؤمن بعدالة هذه القضية.



طابور الغداء (١٩٧٤)
مقتنيات وزارة الثقافة – دمشق . حرية الوطن...لا تكون بلا ثمن!.

أطفال الأرض المحتلة (١٩٧٣)
متحف الفنون الجميلة - تاركوفيشت بلغاريا.

الكاريكاتيـر.. فـن الفقـراء والمسحوقيـن واللاجئيـن

بقلم: الفنانـة أميـة جحـا *

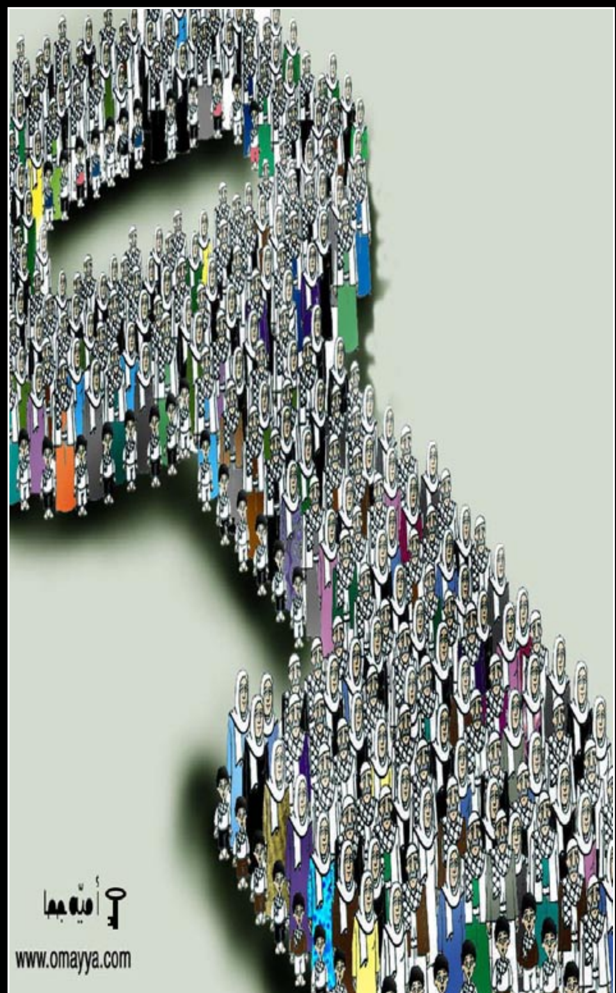
عندما تجولت في شوارع مصر والبحرين، لم يكن يلفت انتباهي الأضواء الساحرة ولا البنايات الشاهقة ولا شواطيء البحر النظيفة ولا السماء الخالية من طائرات العدو. بل كنت انتبه الى ألعاب الأطفال، لا بل هي مدن كاملة فيها العديد من الألعاب الخاصة بالأطفال والكبار أيضا وكانت تثيرني ضحكات الأطفال التي يختلط فيها الرعب أحيانا من تعالي الألعاب وهي تدور لارتفاعات عالية ومن ثم هبوطها واصوات الضحكات و البهجة أحيانا أخرى... كنت أنظر لعيونهم الفرحة وملابسهم الجميلة وشعورهم بالطفولة والاستقلالية في تصرفاتهم.. وكانت تختلط معي هذه الصور بصورتي وانا في مثل عمرهم في وطن محروم من كل شيء.. لا ألعاب.. لا شاطيء نظيف.. بل لا أمن.. تذكرت أطفالنا المحرومين من كل هذا.. بعيونهم الحزينة.. تذكرت إيمان حجو ومحمد الدرة وهدى غالية... وغيرهم من اطفال فلسطين أبناء الشهداء والأسرى والجرحى... كلنا صغارا وكبارا نحمل ذات الهم .. كلنا لاجئين.

في وطن لا نملك منه إلا أشبارا منه ويقاتلوننا عليها من الأرض ومن السماء.. لا شك أن هذه الطفولة التعيسة هي التي جعلت من الفلسطيني مبدعا رغم الحرمان.. جعلته كيف يكون مناضلا بالرصاصة وبالكلمة وبالريشة وبالفكرة.. لا يتهاون في حقه. ويدفع عمره ثمنا بخسا من أجل وطنه..

لقد كان ناجي العلي بالنسبة لي كما كان لغيري من الفنانين العرب مدرسة نستقي منها كيف يكون الصدق والجرأة والقوة والصلابة في رسم الحق ونبذ الباطل. علمني ناجي العلي كيف يتحول الدم الى مداد للريشة اذا انتفى وجود الحبر.. علمني أن فنان الكاريكاتير لا يولد في حاضنة ملكية ولا يتناول طعامه بملعقة من ذهب.. فالكاريكاتير فن الفقراء قبل المترفين.. فن المظلومين والمسحوقين وهو فن اللاجئين وفن الأبطال والمقاومين..

أقول دوما ربما لو لم أكن فلسطينية ما كنت لأصبح رسامة كاريكاتير.. واعتقد ايضا ان تهجيرنا من أرضنا وتحولنا الى لاجئين في بقاع الأرض هو من جعلنا كشعب فلسطيني أكثر الشعوب معرفة وتقديرا لما يعنيه الوطن وثرى الوطن.. لذا سعيت أول ما سعيت الى أن أقوم بعمل موقع لي على شبكة الانترنت لأكون متواصلة مع شعبي المشتت اينما كان لأني أعشق كل ما هو فلسطيني.. ثم جعلت رمز المفتاح في كل توقيع لي على رسومات الكاريكاتير بعدما ازدادت المكائد لقتل هذا المفتاح -مفتاح العودة-الذي توارثناه أبا عن جد.. لأذكر الجميع.. أنه لا توطين ..ولا عودة عن العودة.. ولا خيار الا العودة بل والتعويض عن كل ما لحق بنا من آلام طوال هذه السنين.

في منتصف يونيو-حزيران الماضي قامت شركة جحاتون لرسوم الكرتون والتي أرأس مجلس إدارتها بانتاج أول فيلم كرتون بعنوان "حكاية مفتاح" حول النكبة الفلسطينية والتهجير القسري للفلسطينيين من قبل الصهاينة في قالب قريب للطفل العربي بشكل عام والطفل الفلسطيني بشكل خاص، لما تحظى به رسوم الكرتون من اهمية بالغة وشعبية لدى الكبار والصغار على السواء. ولأننا بحاجة لغرس المفاهيم والقضايا الوطنية وخاصة قضية العودة في ذهن الطفل الذي استطاع الغرب ان يسوق له رسوما كرتونية لا تمت لواقعنا ولا لتقاليدنا بصلة وباتت رسوما للترفيه وتضييع الوقت أكثر منها للإفادة.





إنني، من هنا، وعبر صفحات جريدة "حق العودة" التي أفخر أن أكتب على صفحاتها التي جعلت جل اهتمامها لقضيتنا الأم، أدعو كل الفنانين العرب، تشكيليين كانوا أم فناني كاريكاتير، وليس الفلسطينيين فقط الى الاهتمام من خلال رسوماتهم بهذه القضية.. وألف سلام لروح الفنان اللاجيء الشهيد ناجي العلي والذي سطر أروع لوحاته وهو مشرد عن وطنه وكذلك الفنان القدير اسماعيل شموط الذي أفنه حياته وريشته المبدعة مع ريشة رفيقة دربه فنانة فسطين تمام الأكحل لا تزالان تحيينا.

* الفنانة امية جحا، هي رسامة الكاريكاتير في جريدة "الحياة الجديدة"، ورئيسة مجلس إدارة شركة "جحاتون" لرسوم الكرتون، وعضو في جمعية ناجي العلي للفنون التشكيلية في فلسطين. تعد أمية جحا أول رسامة كاركاتير في فلسطين والعالم العربي تعمل في صحيفة سياسية يومية. فازت جحا بالعديد من الجوائز كما شاركت في العديد من المعارض الفنية. للمزيد حول أعمال الفنانة: www.omayya.com .



سبـع رسمـات برسـم حـق العـودة!

رسـام الكاريكاتيـر، المهنـدس: خليـل أبـو عرفـة *

كيف لريشة نحيلة حالمة ان تقف أمام حق ناءت تحته الجبال؟
الجواب ببساطة: محاولة، خجولة ربما، للتعبير عن الحدث، او لخلق انطباع عفوي يرسم صورة معبرة، او اكثر..

الرسمة الاولى:
بالابيض والاسود، مضارب من الشوادر، خيام ممزقة علق على حبالها غسيل أفراد العائلة المشتتة. أمام الشادر يقف الجد ممسكا بيد الحفيد بعينيه الحائرتين.. اين أنت يا اسماعيل شموط؟

الرسمة الثانية:
مجموعة من الواح الزينكو الصدئ والاسبست المغطى بالثقوب. وزارة الصحة تحذر من استخدام مادة الاسبستوس بسبب تأثيرها المسرطن! في الخلفية خطوط من المجاري العامة المكشوفة واكوام من الذباب. على الجدار يلوح شعار "عائدون"، مع "سمبوسكة" فلسطين.

الرسمة الثالثة:
مساعدات من الشعب الأمريكي!، كفان متصافحان تخترقهما مجموعة من النجوم الزرقاء والخطوط الحمراء. اكياس من الطحين وعلب السردين وزيت القلي و "يويا" ناجي العلي.

الرسمة الرابعة:
رسمة ناجي الاولى عن المخيم الذي تحول الى بركان تتطاير منه حمم الروح، يتلقفها (الحمم، ام الرسمة الاولى؟)، غسان كنفاني. المحصلة شهيدان على عتبة حرف فلسطيني ذبيح.

الرسمة الخامسة:
مجموعة من المفاتيح تطلق صلصلة ثقيلة على القلب. قالت الصبية ان المفاتيح "دقة قديمة!"، وقال الجد انها بالفعل دقت من قبل الحداد على الكور. كان صوت المفاتيح المعلقة بسلسلة من الزرد يسترجع جرس الكنيسة في قرية بعيدة.

الرسمة السادسة:
عادت طيور الى أعشاشها ولم يعد أصحاب البيت الى بيتهم، بل عاد مستوطن "جنجي" الى بيت، لم يكن في يوم من الايام بيته، اعجبته حجارة الكركار القديمة فاستجلب معلم الدقاقة كي ينحت له على مفتاح حجارة البوابة نجمة سداسية.

الرسمة السابعة:
لوحة فارغة خالية من اي خط. الخطوط تعجز عن تصوير رائحة الارض بعد المطر وصوت الرحى ونزق النحل. تعجز عن تصوير عبق وردة الجوري، كما تعجز عن بث رائحة دفقة من الدم المنساب على درج البيت الحجري العتيق.



* خليل أبو عرفة هو مهندس ورسام الكاريكاتير في جريدة "القدس". أبو عرفة حاصل على شهادة الماجستير في الهندسة المعمارية، وعمل محاضرا في قسم الهندسة المعمارية بجامعة بير زيت. بدأ ينشر رسوماته في الصحافة الفلسطينية منذ العام ١٩٨٤، ووقع على رسوماته حتى العام ١٩٩٢ باسم "غسان". للفنان العديد من المعارض المحلية والدولية والمؤلفات. للمزيد حول الفنان: www.abuarafeh.net

فـن الكاريكاتيـر.. قبـل إتقانـك الريشـة، عليـك إتقـان أرضـك

بقلم: الفنـان محمـد سباعنـة*

فكيف لنا أن لا نمارس أرضنا! نقيه طاهرة كما علمنا بأن خمرة الجنه لا تسكر، فإن السقوط من أجل فلسطين لا يميت، هكذا علمنا وهكذا آمنا، فعليك اليوم وبالأمس وغدا أن تمارس غنائك بفلسطينيته وعليك ان تغرس راية الأرض على قمم الروح.

محمد سباعنه.. ولدت في الكويت، وأتذكر ما أتذكره من تعاليم أمي وأبي، وغذائنا الفلسطيني اليومي من أخبار الصحف اليومية عن فلسطين وأخبار انتفاضتها الأولى، ونقلت بمعظمها من خلال لوحات الشهيد الراحل الذي ما زال بيننا: ناجي العلي (أبو خالد) الخالد في واقعنا وتاريخنا ومستقبلنا، علمنا أن فلسطين ليست بالحياد، فلسطين هي اللوحه المرسومة باللونين الأبيض والأسود.. ولا حياد.. أتذكر كيف كنا وأخوتي نسجل أسماءنا على الكتب المدرسية.. محمد عبد الغني سباعنة... ونختمها بفلسطين... كأنه البحث الدائم عن عودة لأرض لا نملك من صورتها غير ما خط ناجي العلي ونقلته صور الأخبار، أو كأنا كنا نخاف أن نتوه أثناء عودتنا من مدرستنا فتكون الأمنيه بأن يعيدنا من يجدنا الى فلسطين.

عدنا وبعد عودتنا من الكويت وخروج معظم الفلسطينين من هناك بعد حرب الخليج الأولى الى الأردن وبعدها الى فلسطين... لاكمال دراستي الجامعية، حيث درست التصميم الداخلي في جامعة النجاح الوطنية. أعتبر أن فترة دراستي الجامعية هي الفتره التي وضعت خطواتي الأولى نحو أن أكون رسام كاريكاتور، الرغبة في ممارسة أرضي وقضيتي، إنتمائي للطبقة الفقيرة مما أوجب علي أن أعمل أثناء دراستي الجامعية في عدة مجالات، فعملت بمقاهي وفنادق، وعملت داخل الخط الأخضر، وعملت بالرسم البورتريه، والتصميم أيضا. وأتذكر أني باحدى المرات وبخت أثناء عملي في فندق في مدينة نابلس لأني كنت أمارس رسم الكاريكاتور على الأوراق الرسمية للفندق، وأتذكر أثناء نشري بصحيفة "الرصيف" الاسبوعية التي ساعدني بالنشر بها صديقي حسين الخليلي، كيف كنت أذهب سيرا لمكتب الصحيفه بنابلس وكيف كنت أحمل أعداد الصحيفه للمساعدة بنشرها.. أتذكر كيف علقنا لوحات معرضي الأول على جدران جامعة النجاح الوطنية، وفي إصراري على أن أمارس فلسطينيتي كما تعلمت منذ طفولتي، وكما يجب على متعلمي فلسطين ومثقفيها وفنانيها أن يثبتو أن لنضالنا شكل إنساني من خلال ممارسة نضالنا من خلال اللوحة والكلمة، وليس ببعيد هذا الأمس القريب عندما نقلت معرض "حالة شغب" الى مدينة نابلس، وواجهنا حواجز الاحتلال على مدخل المدينة فحملنا لوحات المعرض وعبرنا الحواجز سيرا على الاقدام، وأطلق علينا قنابل الغاز. ولكن تابعنا وأصدقائي حتى وصلنا وأقمنا المعرض، أصدقائي يخبئوا نقودهم وأجهزتهم الخليوية، وفي لحظات أثناء اجتياح مدينة نابلس أتذكر عندما كان... كنت أخبئ ما كنت ارسمه عن الاجتياح، خوفا من تمزيقها عند تفتيش المنزل الذي كنا نسكنه أثناء دراستنا الجامعية. وأتذكر أيضا خوف معلمي علي ونصحه الدائم لي اثناء دراستي في قوله: "إبعد عن السياسة يا ابني". أستاذي الاستاذ كامل المغني... وأتذكر كم احتضن رئيس الجامعه استاذي الدكتور رامي الحمد الله معارضي في جامعة النجاح.. لقد مارست شكل النضال الذي استطعت، وتعودت أن أبحث عن حقائق حزننا اليومي وأملنا اليومي بأن نكون جميعا وطن، بحثت عن خط واحد في لوحاتي يحمل همنا جميعا على اختلاف انتماءاتنا السياسية وحاولت أن أحمل بلوحتي انتماء واحد للأرض، قرأت في وجوه الناس أو بالأحرى حاولت أن اقرأ حلم واحد أكرسه انا، أن أجد رابط مشترك بين الجميع نتفق عليه، ولم ولن أجد سوى فلسطين.





الكاريكاتير بما يحمله من صفه نضالية وما أطفاه عليه الشهيد ناجي العلي من قدسيه أيضا، أعرفه بانه فن الرسم بالبارود، فعلى من يمارس هذا الشكل من النضال أن يعلم ان عليه الانخراط بجرح ارضه، وممارسة حزنها بشكل شخصي داخل حدود روحه ونفسه، فالأرض المغتصبة جزء من جسده، النزف الحاصل في أبناء شعبه شئ من نبضه، دموع الأمهات وبكائهن يسمعه في صدى نفسه، على من يمارس هذا الفن ان يتقن اولا قبل اتقانه للقلم او اللون علية ان يتقن جيدا أرضه.

بعد تخرجي من الجامعة، عملت في الجامعة العربية الأمريكيه في دائرة العلاقات العامه كمصمم جرافيكي، وأقمت معرضي الثاني في الجامعه عام ٢٠٠٢ وقام بافتتاحه الاستاذ نبيل عمرو والدكتور وليد ديب. ومنذ ذلك المعرض حيث تبنى رسمي الأستاذ نبيل عمرو بدأت النشر في صحيفة "الحياة الجديدة" اليومية حيث احتضني ايضا أستاذي الأستاذ حافظ البرغوثي، ونشرت في الصحيفه مع ظروفها الاقتصادية الصعبة مما اضطرني للعمل معهم مجانا، وحيث كان هدفي نشر ما أقوم برسمه ومخاطبتي لأهلي وشعبي ما زلت اعمل معهم بشكل شبه مجاني، وكما أسلفت فإن هذا العمل عمل نضالي فعلى من يمارسه ان يعرف بأن طريقه طويلة، كما أن طريق هذه الارض طويلة.

أذكر أيضا في معرضي الأخير "حالة شغب" الذي ابتدئ من المدينة المحاصرة نابلس في عودتي لجامعتي الحبيبة واحتضان رئيسها الاستاذ الدكتور رامي الحمد الله له واقامته أيضا في الجامعة العربية الامريكية، واصطدام المعرض بالرفض من معظم المؤسسات الثقافية في مدينة رام الله واختلاق أعذار لرفض المعرض تحت شعارات عدة، يؤكد أن هذا الفن فن شائك ويؤكد أيضا على حاجة رسام الكاريكاتير للصبر والجلد، فلا يتخيل أن الصحف أو المؤسسات ستلاقيه بأذرع مفتوح للوحاته، أو أن عملية نشر أعماله عملية بسيطة أو سهلة، وليعلم رسام الكاريكاتير ان عليه أن يبدأ بنفسه ليخرج بصبره وقراره بأن يشكل حالة نضال لوطنه وقضاياه.

وها قد حققت أمنية متواضعة، بنقل معرض "حالة شغب" الى مخيم عين الحلوة باستضافة المرصد الفلسطيني لحقوق الانسان. ومخيم عين الحلوة، له دلالته الخاصة في قلبي، ليس لأنه أكبر المخيمات الفلسطينية في لبنان فحسب، بل هو المكان الذي كبر فيه ناجي العلي، وكبر به ومعه.

كانت لي عدة مشاركات في مسابقات في فنون أخرى كالتصميم الجرافيكي، فزت بمسابقة نظمتها اللجنة الاجتماعية الفلسطينيه تحت عنوان "اسمك يا بلدي" حيث فزت بالمركز الاول على المستوى العربي، وفزت بالمرتبة الثانية في تصميم افضل بوستر للنكبة في جائزة العودة للعام ٢٠٠٧، ولي الفخر أن أحقق هذه المراكز في مسابقات تحكي وتبحث في قضايا وطني.

ولكن الكاريكاتير حالة نضالية، أكدها الشهيد ناجي العلي ووضع الحد الأقصى لما ممكن ان تدفعه ثمنا للوحتك، وارائك وعليه فمن اختار ان يسلك اي طريق يؤدي الى وطن فعليه ان يعلم ان طريقه مرصفة بالشوك، وعليه أن يختار...

* الفنان محمد سباعنة هو رسام كاريكاتير، درس التصميم والديكور في كلية الفنون الجميلة بجامعة النجاح الوطنية. ينشر سباعنة رسوماته في عدد من الصحف الفلسطينية والعربية، وله عدد من المعارض الفنية. للمزيد حول الفنان سباعنة: www.jffra.com

---

"حق العودة" تستطلع رأي المثقفين والسياسيين حول:

مـاذا لـو كـان ناجـي العلـي حيـاً؟

رام الله - تقرير خاص بـ "حق العودة":

مع قرب حلول الذكرى العشرين لرحيل رسام الكاريكاتير الفلسطيني الشهير ناجي العلي، صاحب شخصية "حنظلة"، تفرض العديد من التساؤلات نفسها، وخاصة فيما يتعلق بماهية الموقف الذي كان سيتخذه العلي، حيال الظرف الحالي الصعب، الذي يمر به الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية. ورغم مرور سنوات طوال على رحيل العلي، إلا أن الكثيرين لا يزالون يحتفظون له بمكانة خاصة، لا سيما وأنه كان يمثل نصير الفقراء والمهمشين، والمقموعين في العالم العربي.

ملحمـة نضاليـة

يعتبر رسام الكاريكاتير محمد سباعنة، أن فقدان العلي يمثل خسارة بالنسبة للشعب الفلسطيني، مضيفا "إن ناجي العلي، استطاع أن يضع بخطوطه الحادة الواضحة مذهبا للمناضل الفلسطيني، وأن يرسم ألف وعد بعودة كل لاجئ".

ويستدرك: "اختصر ناجي العلي ملامح رغيف الخبز، وكان له الحق باتساع حلمنا واستمراريته، وارتقى من فنان اعتيادي لحالة وطنية نضالية مميزة". ويردف: "ناجي العلي مفترق الطرق الحاد بين الوطن والمنفى، الليل والنهار، ثورة الكلمة وتخاذل البنادق، فهو من أكد قدسية سقف "الزينكو" الذي يحمل أسفله ١٠٠٠ حلم بالعودة".

وردا على سؤال حول حال العلي لو كان حيا اليوم، يقول سباعنة: "لو كان ناجي بيننا لخفت عليه أكثر، ولتتبعت خطوات حنظلة بشكل أكبر، ولبحثت عنه في الصحف اليومية، لأتأكد انه ما يزال بيننا في كل صباح، لأنه لو كان بيننا فإلى أين سيدير وجه حنظلة؟

ويتساءل سباعنة: ناجي أدار وجه حنظلة إلى فلسطين؟ وأهدى العرب ظهره، لو كان اليوم بيننا هل سيبقى وجه حنظلة على فلسطين، ليشاهد هذه المسرحية التي يبتدئها ممثلوها بأخ يقتل أخاه؟ هل سيبقى وجه حنظله شاخصا على شعب وجد فيه من يسقط علمه؟ هل سيبقى حنظلة ينظر إلينا نقتتل على المناصب؟

إنحيـاز للقضيـة

بالنسبة إلى العديدين ممن تابعوا إبداعات ورسومات العلي، ابن قرية "الشجرة" الفلسطينية، والذي تم اغتياله في العاصمة البريطانية لندن في العام ١٩٨٧، فإن ما يجري في الساحة الفلسطينية انعكاس لتصورات العلي حول النظام السياسي العربي، الذي ما انفك يوجه الانتقادات إليه ويهاجمه، إلى أن تم اغتياله. وفي هذا السياق، يشير باسم برهوم، مدير الإعلام في المجلس التشريعي، إلى أن العلي، يشكل رمزا فلسطينيا مهما، مضيفا "لقد كان على الدوام أحد رموز الشعب الفلسطيني، لا سيما وأنه يمثل الثورة ضد فكرة الفقر، والقهر والظلم التي كان يعاني منها الشعب الفلسطيني". ويستدرك: "من يراجع كاريكاتيرات العلي، يلاحظ أنه كان دوما منحازا لشعبه وقضيته الوطنية، عدا انه ذي بعد إنساني في أعماله، باعتباره مساندا للشعوب المقهورة".

وجوابا على سؤال حول الموقف الذي كان سيتخذه الرسام الشهير من الأحداث الأخيرة في الساحة الفلسطينية يقول: "لو كان ناجي العلي حيا اليوم، فإنه بالتأكيد كان سيكون ضد أي اقتتال داخلي، وكان سيكون منارة للقضية والإنسان والوطن، وليس مع هذا الطرف أو ذاك، وهو ما نحتاج إليه الآن في ظل هذه الظروف العصيبة". ويضيف برهوم: "كما أعتقد أنه لو كان بيننا لأشار إلى مسألة أن الدم الفلسطيني محرم ومقدس، وأنه لا يمكن أن يغلب خلاف داخلي على صراعنا ضد الاحتلال، ونضالنا من أجل الحرية والاستقلال مهما كان الثمن".

تجسيـد للواقـع الحالـي

وفي تعليقها على الموضوع نفسه، تقول النائبة خالدة جرار: "إننا نفتقد ناجي العلي، لقدرته على تجريد وتقديم الأحداث بشكل بسيط وجرئ، وهو ما جعل منه صوت جموع الفقراء، وناقل توجهاتهم بوضوح شديد". وتضيف جرار: "في كثير من المعارض التي نزورها نجد رسومات العلي، الذي أبدع الكثير، وهذا لا يبدو غريبا، خاصة وأننا نشعر بأن الكثير من رسوماته تصلح وتعبر عن الفترة التي نعيشها".

وفي تناوله للمسألة ذاتها، يذكر الكاتب غازي الخليلي، أن العلي إحدى الشخصيات التي يحتفظ لها بمكانة خاصة في نفسه، لا سيما وأنه كان يعايش رسوماته يوميا أثناء عمل العلي في جريدة "السفير" اللبنانية. ويضيف الخليلي: "إننا نفتقد العلي الذي كان بلا شك معلما بارزا في مجال الرسم الكاريكاتيري، ومدرسة بحد ذاتها، برزت وسط جيل من الرسامين الفلسطينيين والعرب المميزين". ويردف: "لا زال الكثيرون حتى الآن، يعودون إلى رسوماته ونبوءاته، التي خطها في كاريكاتيراته، وبتقديري فلو كان موجودا اليوم لكان سيعبر دون أدنى شك عن الواقع". ويختتم الخليلي قائلا: "لا أعتقد أن أي إنسان يستطيع أن يعوض عن العلي، الذي سيبقى على الدوام صورة مضيئة في تاريخ الشعب الفلسطيني".

مفكـر سياسـي

سميح شبيب، أستاذ العلوم السياسية في جامعة بير زيت، يرى أن العلي كان مفكرا سياسيا قبل أن يكون رسام كاريكاتير، مضيفا "استطاع العلي بخطوط بسيطة أن يعبر عن أفكار كبيرة جدا". ويمضي قائلا: "استطاع العلي عبر رسوماته، أن يضع يده على الكثير من الجروح والقروح الفلسطينية، التي لم يكن العديدون يريدون التركيز عليها، فآلمته ورغم ذلك عبر عنها بطريقة مبدعة، إلى أن تم قتله، الذي أعتقد أنه بمثابة عملية تصفية حساب بين النظام السياسي العربي والفلسطيني القائم، والفكر النقدي الصريح والحقيقي، ولذا أعتقد أنه ضحية النظام السياسي الذي يريد فرض مشيئته في كافة مناحي الحياة". ويردف بقوله: "ناجي العلي تنبأ بالكثير من المسائل قبل حصولها، وبضمنها مسألة انهيار النظام السياسي العربي والفلسطيني، ولذا فقد كان صاحب رؤية ثاقبة قادرة على استشراف المستقبل".

وبخلاف من سبقه، يجزم شبيب، أن العلي لو كان حيا الآن، لتوقف عن الرسم، لأن ما حصل انعكاس لتوقعاته بخصوص النظام السياسي.

ناجي العلي:

سيظل حنظلة في العاشرة حتى يعود إلى الوطن!

بقلم: نصار إبراهيم*

عندما جلست وتهيأت لأبدأ الكتابة عن ناجي العلي، غمرتني موجة من مشاعر الرهبة والشجن والحنين، فناجي بالنسبة لي يقيم هناك قريبا من القلب والروح، في زاوية صغيرة مخصصة لكل ما هو مقدس، وعادة ما يكون المقدس هو أكثر الأشخاص والأشياء بساطة وقربا...

زيارة ناجي في هذا الوقت ومحاورته، أو الجلوس بصمت في حضرته يأخذ معنى الكشف، وجدتني أقف أمامه حائرا مرتبكا وصامتا، كنت أخشى أن يدير "حنظلة" ظهره لي، لكن الفتى الفلسطيني المشاكس إلى درجة المستحيل كان يضج بالحياة والرهافة والقدرة عل العتاب والمسامحة في آن...

قلت: أريد أن أكتب عنك!

تخيلته يسرح بنظره بعيدا، وساد الصمت إلاّ من حفيف أجنحة الفراشات وكأنها آتية من أشجار الصبار المنسية حول دروب قرية الشجرة.

غسلني بنظرة شاملة وقال: دعني أهوّن عليك، سأقدم نفسي كما أرغب، باللونين الأبيض والأسود، فأنا أعرفكم أيها الكتاب، فأنتم تميلون إلى الألوان المبهرجة، إلى الدرجة التي لا يعود الإنسان قادرا معها على التمييز بين التخوم والحدود... وبعدها سأترك لك المجال لتضيف ما تشاء...

وبدأ ناجي العلي الحديث عن نفسه:

"اسمي ناجي العلي، ولدت حيث ولد المسيح، بين طبرية والناصرة، في قرية الشجرة بالجليل (عام ١٩٣٦)، أخرجوني من هناك بعد عشر سنوات، في ١٩٤٨ إلى مخيم عين الحلوة في لبنان.. أذكر هذه السنوات العشر أكثر مما أذكره من بقية عمري، أعرف العشب والحجر والظل والنور، لا تزال ثابتة في محجر العين كأنها حفرت حفرا، لم يخرجها كل ما رأيته بعد ذلك.

أرسم.. لا أكتب أحجية، لا أحرق البخور، ولكنني أرسم، وإذا قيل أن ريشتي مبضع جراح، أكون حققت ما حلمت طويلا بتحقيقه... كما أنني لست مهرجا، ولست شاعر قبيلة– أي قبيلة– إنني أطرد عن قلبي مهمة لا تلبث دائما أن تعود... ثقيلة... ولكنها تكفي لتمنحني مبررا لأن أحيا.

متهم بالإنحياز، وهي تهمة لا أنفيها... أنا لست محايدا، أنا منحاز لمن هم "تحت"... الذين يرزحون تحت نير الأكاذيب وأطنان التضليلات وصخور القهر والنهب وأحجار السجون والمعتقلات، أنا منحاز لمن ينامون في مصر بين قبور الموتى، ولمن يخرجون من حواري الخرطوم ليمزقوا بأيديهم سلاسلهم، ولمن يقضون لياليهم في لبنان شحذا للسلاح الذي سيستخرجون به شمس الصباح القادم من مخبئها، ولمن يقرأون كتاب الوطن في المخيمات.

كنت صبيا حين وصلنا زائغي الأعين، حفاة الأقدام، إلى عين الحلوة، كنت صبيا وسمعت الكبار يتحدثون.. الدول العربية... الإنجليز... المؤامرة.. كما سمعت في ليالي المخيم المظلمة شهقات بكاء مكتوم، ورأيت من دنت لحظته يموت وهو ينطلق إلى الأفق في اتجاه الوطن المسروق، ألتقط الحزن بعيون أهلي، وشعرت برغبة جارفة في أن أرسمه خطوطا عميقة على جدران المخيم.. حيثما وجدت مساحة شاغرة.. حفرا أو بالطباشير..

وظللت أرسم على جدران المخيم ما بقي عالقا بذاكرتي عن الوطن، وما كنت أراه محبوسا في العيون، ثم انتقلت رسوماتي إلى جدران سجون ثكنات الجيش اللبناني، حيث كنت أقضي في ضيافتها فترات دورية إجبارية.. ثم إلى الأوراق..

إلى أن جاء غسان كنفاني ذات يوم إلى المخيم وشاهد رسوما لي، فأخذها ونشرها في مجلة "الحرية" وجاء أصدقائي بعد ذلك حاملين نسخا من "الحرية" وفيها رسوماتي.. شجعني هذا كثيرا..

... أريد أن أؤذن في آذان الناس وأقول لهم أين قضيتهم، وإلى أين وصلت؟ أريد أن أرسم للناس البسطاء الذين يفكّون الحرف والذين لا يقرأون ولا يكتبون.."

أنهى ناجي حديثه وصمت قليلا.. ثم حدق في عيني مباشرة كما ينظر أي إنسان صادق مستقيم وشجاع وقال مبتسما: الآن سأترك لك الفرصة لتكتب ما تريد بعد أن حددت معالم السير... وسأتدخل عندما أجد ذلك ضروريا...

هذا هو ناجي سليم حسين العلي... تذكروا هذا الإسم جيدا... إنه الفنان الفلسطيني الذي نجح بامتياز في صياغة الوعي والذاكرة الفلسطينية.. لقد أعاد صياغة مضمونها، كما أسّس جمالياتها الهائلة...

ذلك الفتى الفلسطيني ذو الشعر الأجعد والقامة الشامخة، الفتى الذي أدار ظهره للعالم بعد أن أحسّ بأن العالم مغمور بالكذب والنفاق، العالم الذي وقف مكتوف الأيدي يتفرج على عصابات الموت وهي تقتلع طفلا فلسطينيا لم يتجاوز العاشرة من عمره وتلقي به على دروب البؤس والتشرد والضياع... يغوص في أوحال المخيم شتاء، وفي غباره وقيظه صيفا...

كان لسان حاله: هذا عالم ليس لنا!

ومن رماد المأساة والنكبة... نفض الغبار عن رموشه وامتشق طبشورته وراح يخربش عواطفه، عواطف شعب بكامله، بل عواطف الإنسانية كلها...

لم يكن بحاجة لأي لون، فالمأساة كانت هائلة ومروّعة إلى الدرجة التي لم تكن تحتاج معها إلى أي لون... فقط الأسود والابيض...

كان ذلك بمثابة ولادة الوعي الذي لا يساوم على البديهات... فالمعادلة بسيطة وحارقة: أن تكون حرا أو لا تكون، أن تكون إنسانا أو لا تكون، أن تكون مع فلسطين أو لا تكون.. لم يكن يقبل بثلاثة أرباع الحلول، أو أنصافها أو أرباعها...

وكيف يمكن أن يقبل، وهو الفتى الذي فقد طفولته، أشجاره، أعشاش عصافيره، شجره الصنوبر الخاصة به، شجرة اللوز، شجرة التين... وموطئ قدمه الأول، والأفق الذي تفتحت عيناه عليه لأول مرّة... كيف يساوم، وهل بقي ما يساوم عليه سوى ذاته، كرامته، ذاكرته، واسمه...؟ ولهذا كان يصرّ:

"اسمي ناجي العلي من قرية الشجرة" إنه بهذا يعيد بناء الأشياء والعلاقات..

ولأنه انسحق إلى هذا المستوى... فقد حدّد مواقعه منذ اللحظة الأولى:

"أنا لست حياديا، أنا مع الـ "تحت"، مع اؤلئك الفقراء البسطاء الذين يكونون دائما عند خط الواجب الأول، أولئك الذين يسكنون تحت سقف الفقر الواطي ولكنهم يقفون عند خط المعركة العالي..

كان الخيار صارما وواضحا حتى النهاية، فكانت ولادة حنظلة ولادة طبيعية في زمن الحروب القيصرية، يقول: "ولد حنظلة في العاشرة من عمره وسيظل دائما في العاشرة، ففي ذلك السن غادرت الوطن وحين يعود حنظلة سيكون بعد في العاشرة ثم سيأخذ في الكبر بعد ذلك... قوانين الطبيعة المعروفة لا تطبق عليه، إنه استثناء... لأن فقدان الوطن استثناء وستصبح الأمور طبيعية حين يعود إلى الوطن... قدمته للقراء وأسميته حنظلة كرمز للمرارة في البداية.. قدمته كطفل فلسطيني لكنه مع تطور وعيه أصبح له أفق كوني وإنساني. أما عن سبب إدارة ظهره للقراء، فتلك قصة تروى، في المراحل الأولى رسمته ملتقيا وجها لوجه مع الناس وكان يحمل الكلاشينكوف وكان أيضا دائم الحركة وفاعلا وله دور حقيقي.. يناقش باللغة العربية والإنجليزية بل أكثر من ذلك، فقد كان يلعب الكراتيه.. يغنّي الزجل ويصرخ ويؤذن ويهمس ويبشر بالثورة...



إن شخصية حنظلة كانت بمثابة أيقونة روحي من السقوط كلما شعرت بشئ من التكاسل، إنه كالبوصلة بالنسبة لي وهذه البوصلة تشير دائما إلى فلسطين".

يا الله يا ناجي العلي، كم كنت نبيا... وكنت ضميرا.. ولهذا لم يكن أمرا غير عادي، أن يبدأ قراء جريدة السفير بقراءتها كل صباح من الصفحة الأخيرة حيث يكونون مع الموعد الصباحي لكاريكاتورك، ليعرفوا أين يقفون، وأين يجب أن يضعوا أقدامهم هذا النهار...

كانوا يبدأون صباحاتهم برسوماتك.. كانوا.. وكنّا نريد أن نعرف ما هو موقف فاطمة وعلي في هذا اليوم... وما الذي يخبئه حنظلة من مبادرات في مواجهة أصحاب الكروش والأقفية السمينة...

تشامخ ناجي... صعد وصعد الجلجلة حاملا آلامه وأماله وطموحاته...

غادر ثقافة القبيلة والطائفة، كان فلسطينيا عربيا إنسانا... كان حنظلة ينجح دائما في جمع كل الفقراء والمضطهدين والمقهورين حوله: مسلمون، مسيحيون، شيعة، سنة، دروز، عرب، أكراد، موارنة،أرثوذكس...

ألم يسأل يوما أحدهم حنظلة: أنت مسلم أم مسيحي، سني أم شيعي، روم أرثوذوكس أم روم كاثوليك...؟؟

فيجيب: أنا عربي يا جحش!

يا الله يا ناجي، إنني أعتذر منك وأمامك.. فقد غادرتنا وأنت تحلم.. غادرتنا على عجل...

في يوم الأربعاء بتاريخ ٢٢ تموز ١٩٨٧ وفي شارع إيفر في لندن... تقدم قاتل سفيه ومأجور وأطلق الرصاص على ناجي العلي من مسدس كاتم للصوت... قاوم حنظلة الموت حتى ٢٩ آب ١٩٨٧... وأخيرا قرّر الرحيل...

أي قاتل هذا الذي أطلق الرصاص على طفل فلسطيني يصر أن يبقى في العاشرة من عمره... طفل يعتقد ويؤمن بأن حياته قد تجمدت وتوقفت عند تلك اللحظة البائسة التي تخطت فيها قدماه حدود فلسطين نحو بؤس المنافي...

ولكن تلك هي ضريبة الوضوح والشرف العالي أيها الصديق...

لم يحتمل ناجي أشباه الساسة، أشباه الثوار، أشباه الرجال، أشباه الأنظمة، وأشباه القادة وأشباه الزعماء... كانوا يرتجفون أمام الطفل المشاكس حنظلة بملابسه الممزقة والمرقعة... كانوا يخافونه وهو مجرد رسم على الورق...

لأن ذلك الفتى المتمرد كان يذكرهم بعجزمهم، تآمرهم، خياناتهم، جبنهم، والأخطر أنه كان دائما يحرّض على النهوض والثورة.. كانوا أحيانا يقطعون يده، ومع ذلك كانت في اليوم التالي تورق غصنا من ثورة... كانوا يكمّمون فمه، فكان يركل بقدميه، وعندما كانوا يهددونه كان يشير لهم بيده إشارة بذيئة أو يبول على نصائحهم بكل طفولة ماكرة...

لماذا يا حنظلة كل هذا العناد؟!

فيجيب: وماذا سأخسر، ملابسي المرقعة، أقدامي العارية، لقد جعلوني أخسر كل شيء... فلماذا أحترمهم...!

لا أملك سوى لساني، يدي، قدمي، كوفيتي... لم يبق شيء... أضاعوا فلسطين وأضاعوني... وما زالوا يكذبون.. يواصلون خياراتهم ومساوماتهم البائسة وواقعيتهم الهابطة.. ويريدونني أن أصمت! يساومون عليّ ويريدونني أن أبقى مكتوف اليدين... هذا مستحيل!

نعم، هكذا أنت يا ناجي... ولهذا كنت ثقيلا عليهم أيّا كانوا... كنت الناطق الرسمي باسم اللاجئين والفقراء الذين يفترشون تراب الوطن العربي من المحيط إلى الخليج...

لقد دفع ناجي العلي ثمن مبادئه، لقد كان يعرف هذا جيدا منذ اللحظة الأولى، ولهذا يقول: "اللي بدو يكتب عن فلسطين، واللي بدو يرسم لفلسطين بدو يعرف حاله ميت، أنا مش ممكن أتخلى عن مبادئي ولو على قطع رقبتي"!

لقد مضى ناجي على ذات الطريق الصعبة الواضحة التي سار عليها من قبل صديقه والذي التقط رسوماته لأول مرة غسان كنفاني...

لقد ولدا في ذات العام ١٩٣٦، وفي ٨ تموز ١٩٧٢ تم اغتيال غسان كنفاني، وبعد خمسة عشر عاما تم اغتيال ناجي العلي...

يقول غسان: "هناك رجال ينبتون الآن في أرض المسؤولية كما ينبت الشجر في الأرض الطيبة، حريصون على إعادة المجد للكلمة"..

ولأنه كان وفيا لما يكتب كان يجب أن يصمت...

ولذات السبب كان يجب إسكات ناجي، كان يجب اغتيال حنظلة لأنه يرفض الصمت والسكوت...

والآن... يطلّ علينا ناجي من مكان ما... يمسح واقعنا ومأساتنا بنظرته الباهرة... فماذا سيقول...؟!

أي حزن شاسع سينفجر في أعماقه... هل هذا ما تعلمناه... أن يستدير الفلسطينيون، أن يصطفوا وراء المتاريس المتقابلة... أن يطلقوا النار في الإتجاه الخاطئ...

على أي شئ يقتتل شعب اللجوء... آه يا شوارع مخيماتنا المغمورة بالصور... صور لم نعد ندري لماذا ترتسم على جدران المدن والمخيمات...

نحن بحاجة الآن إليك يا ناجي لتعيد تذكيرنا ببديهات الوطن، أن تعلمنا أبجدية الكرامة... بديهة الوضوح... أن تمسك طباشيرك لتعيد التأكيد على حدود فلسطين، أن تضربنا على أيدينا بقلمك... أن ترسل حنظلة المشاكس ليعيد توحيدنا، لقد اشتقنا إلى أقدامه العارية وملابسه الممزقة، ولكننا اشتقنا أكثر لصراحته الجارحة...

لم يكن ناجي يحب اللون الرمادي، كان يرتقي بمأساتنا وألمنا إلى حدّ الإنفجار بالضحك المرّ، حاولوا رشوته، الضحك عليه، تحويله إلى مثقف سلطة أو مثقف في صالات الفنادق الفاخرة، لكنه كان يكره البنايات المرتفعة، لأنه ابن الأرض وأزقة المخيم، كان وبقي وفيا للفتى الفلسطيني، ابن العاشرة، الذي لا زال يركض حافي القدمين في أزقة المخيم ويشاكس العالم!

أما فاطمة تلك الفلسطينية واسعة العينين، المرأة الجميلة التي تعلمنا الحب والحياة بكل بساطة... فهي تجلس الآن على ركام منزلها، يدها تحضن خدها القمحي... وترسل نظرها... نحو أفق بعيد..علّ طائر الوعد أو الرعد يأتي... تواصل انتظارها وعشقها، وخلف رموشها الطويلة تغيم خارطة فلسطين في بحر من الدموع...

والآن اسمحوا لي أن أجمع أوراقي وانهض، يخيل إليّ أن ناجي العلي يجلس الآن فوق ضريحه الرخامي ويراقبني، أتمنى.. أتمنى أن لا يدير ظهره لنا، وأن لا يقوم حنظلة بحركة فاضحة غضبا على فضائحنا!.

---

* نصار إبراهيم هو كاتب وصحافي ومدير مركز جدل الثقافي، ورئيس تحرير مجلة "رؤية أخرى" التي تصدر عن مركز المعلومات البديلة باللغة العربية، ومجلة "News from Within" التي تصدر عن نفس المركز باللغة الانكليزية.

كلمـات حـقٍ فـي ناجـي

أن الحدة التي تتسم بها خطوطه، وإن قساوة اللون الراعبة، وإن الانصباب في موضوع معين، تدل على كل ما يجيش في صدره بشكلٍ أكثر من كافٍ.

غسان كنفاني

كان بسيطاً، طيباً، عميقاً، عنيداً، صابراً، ثرَّ العطاء... وهل تلك إلا انعكاسات شظايا مرآة الأرض؟ كل شيء كان ينغرس في أعماقه، إنما يعود لينفجر على (صفحته) بشكله الأصلي دون موارية أو مجاملة أو تجميل. ذلك هو ناجي العلي... رجل حمل في صقيع غربته الطويلة، دفء تراب فلسطين .. كامل تراب فلسطين، وامتزج به حتى صار شيئاً واحداً.

احمد مطر

لقد جاء ناجي ليعلمنا فن الكاريكاتير بعد أن أصبحنا "أساتذة"

صلاح جاهين

في موته، قدم شهادة الشاهد، وأعلن مجد الثقافة التي لا يستطيع أحد أن يغتالها.

لناجي البعيد كعيوننا، الصامت كمدننا، الغائب كأحلامنا، له نروي، وعنه نروي، نروي حكاية الشاهد الذي لم يسقط إلا ليعلن أن شهادته كانت أكبر من موته.

إلياس خوري

..

عشت لأنك مستمر ودائم وخالد والغد لك... ولمن ناصرتهم ووقفت إلى جانبهم .. أما قاتلوك فرائحة جثثهم أصبحت تزكم الأنوف .. وغدا سيكنسها التاريخ ..

بهجت

ناجي العلي هو اسمنا الحركي الذي نقرأه فنبكي.. خجلا من أنفسنا، ومن غربتنا عما يفترض أن نكون ويبقى أن نصير "نحن" "هي" ليطل فجرنا العظيم وعندها سيستدير "حنظلة" ويبتسم مرحباً بإطلالة الغد الأفضل المرتجي.

طلال سلمان

في كل رسومات ناجي العلي، نرى الغضب المتمرد.. الرافض للواقع المذل، ونرى دعوة يومية للثورة، لذلك أحبها الناس. وناجي لا يجامل ولا ينافق .. ولا يتستر ولا يمنح شهادات براءة لأحد ..

إسماعيل شموط

رحل ناجي العلي شاهداً على ما حدث وما كان يحدث وما سيحدث... في سبيل الكلام الذي ينبغي ان يقال في زمن لا يقال فيه ما ينبغي أن يقال.

إبراهيم رجب

فلسطين بالنسبة لناجي العلي هي المحور، وهي كل شيء، إنها الذاكرة والمقاتل والأمل

فاروق وادي

كان ناجي يقاوم قبل أن تصيبه الرصاصة، ومن أجل أن تصوب الرصاصة إلى أعدائه، أعدائنا، هناك حيث يحلم أن يعود، حيث مكان الذاكرة المبعدة عن عالم طفولتها.

يمنى العيد

ولأنه كذلك، فليس أمامه سوى خيار القتال وليس أمامهم سوى خيار القتل

شوقي رافع

ما الذي يجعله وريشته الموهوبة مخيفاً لأعداء وطنه إلى هذا الحد؟

منح الصلح

يا ناجي .. انك "إنسان بقضية" و "قضية بإنسان" !!

صالح الشايجي

إن ناجي العلي سيظل حياً بين أبناء المخيمات و ستظل رسوماته مادة للتوعية، ولفضح كل من يتلاعب بمصير الشعوب، وسيظل "حنظلة" خنجراً يدافع عن الحق والعدالة والتحرير.. والتاريخ سيكشف أولئك "الظلاميين"، وسنعرف الذي اغتال ناجي العلي.

د. محمد المطوع

أن إنسانية ناجي العلي وحدها، كانت مخزن عبقريته، والسلاح الذي مكنه على الدوام من اصطياد الحقيقة بمهارة قل نظيرها

د. محمد العلي

رجلاً داخله كل البراءة والعفوية والتواضع، لكن في الوقت ذاته يتمتع بصلابة المقاتل الاستشهادي، وقدرة المفكر المقنع، وشخصية القائد العظيم،

أسامة مرة

سأستمر بحنظلة بعد موتي

ولد حنظلة في العاشرة من عمره، و سيظل دائماً في العاشرة، ففي تلك السن غادرتُ الوطن، وحين يعود، حنظلة سيكون بعد في العاشرة، ثم سيأخذ في الكبر بعد ذلك... قوانين الطبيعة المعروفة لا تنطبق عليه، إنه استثناء لأن فقدان الوطن استثناء.. وستصبح الأمور طبيعيةً حين يعود للوطن .. لقد رسمته خلافاً لبعضٍ الرسامين الذين يقومون برسم أنفسهم ويأخذون موقع البطل في رسوماتهم ... فالطفل يُمثل موقفاً رمزياً ليس بالنسبة لي فقط ... بل بالنسبة لحالة جماعية تعيش مثلي وأعيش مثلها. .. قدمته للقراء واسميته حنظلة كرمز للمرارة، في البداية قدمته كطفل فلسطيني لكنه مع تطور وعيه أصبح له أفق قومي ثم أفق كوني إنساني.

أما عن سبب إدارة ظهره للقراء فتلك قصة تُروى: في المراحلِ الأولى رسمتُه ملتقياً وجهاً لوجه مع الناس، وكان يحمل "الكلاشنكوف" وكان أيضاً دائم الحركة وفاعلاً وله دور حقيقي: يناقش باللغة العربية والإنجليزية، بل أكثر من ذلك فقد كان يلعب "الكاراتيه" .. يغني الزجل ويصرخ ويؤذن ويهمس ويبشر بالثورة. وفي بعض الحالات النادرة، وأثناء انتفاضة الضفة الغربية، كان يحمل الحجارة ويرجم بها الأعداء، وأثناء خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت كان يقبّل يد هذه المدينة الجريحة مثلما كان يقدم الزهور لها. .

كنت أحرض الناس .. بعفوية الطفل الذي عقد يديه خلف ظهره ، ولكن بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ "كتفته" باكراً لأن المنطقة ستشهد عملية تطويع وتطبيع مبكرة قبل رحلة "السادات" ... من هنا كانٍ التعبير العفوي لتكتيفٍ الطفل هو رفضه وعدم استعداده للمشاركة في هذه الحلول، وقد يعطى تفسيراً أن لهذا الطفل موقفاً سلبياً ينفي عنه دور الإيجابية، لكنني أقول: إنه عندما يرصد تحركات كل أعداء الأمة، ويكشف كافة المؤامرات التي تحاك ضدها، يبين كم لهذا الطفل من إسهامات إيجابية في الموقف ضد المؤامرة ... وهذا هو المعنى الإيجابي. ..أريده مقاتلاً ، مناضلاً و.. حقيقة الطفل أنه منحازٌ للفقراء، لأنني أحمل موقفاً طبقياً، لذلك تأتي رسومي على هذا النحو، والمهم رسم الحالات والوقائع وليس رسم الرؤساء والزعماء.

إن "حنظلة" شاهد العصر الذي لايموت.. الشاهد الذي دخل الحياة عنوة ولن يغادرها أبداً .. إنه الشاهد الأسطورة ، وهذه هي الشخصية غير القابلة للموت ، ولدت لتحيا ، وتحدت لتستمر ، هذا المخلوق الذي ابتدعته لن ينتهي من بعدي، بالتأكيد، وربما لا أبالغ إذا قلت أني قد أستمر به بعد موتي.

التوقيع: ناجي العلي

لا أحد يقوى بعد اليوم على اغتيال ناجي العلي!

بات بعيداً عن أية رصاصة، لا يُطال، محفوظاً مثل أيقونة.

شربل داغر

أيها الحاضر ناجي : لقد عرفت منك، أن الإنسان لم يصنع للهزيمة، قد يدمَّر، ولكنه لا يهزم، .... أيها الموغل في الثبات، الموغل في حب الأرض والشعب، الموغل في الإصرار، إن المستقبل لنا، ما بقينا مدمنين الحلم.

محمد حسن الحربي

ها أنت الشاهد الحي

ها أنت تاريخ كتبه التاريخ، بقدر ما كتب التاريخ.

يا رسام جرحنا، يا ناجي :

لماذا تركتنا للغيبوبة، ومشيت؟

حبيب الصايغ

..

وربما تلك هي خطيئته المميتة، ففي زمن العتمة، لا بد من إطفاء الأنوار، وناجي كان نورا على طريق المستقبل

محمد بنجك

إن الذين اغتالوا ناجي العلي إنما يحاولون اغتيال فلسطين، وكلما حاولوا إطفاء شمعة فلسطينية فإنها تتوهج أكثر في ضمائرنا

قاسم حول

لا اعرف لماذا كلما وجد لساناً يعبر عن آلامنا وظلمنا يجتثونه

هكذا، ألانه يحاول إغراقهم في خزيهم؟ أم لأنه يحاول تعريتهم وكشف عوراتهم التي ظلوا حريصين على عدم اسقاط ورقة التوت عنها؟.

ربما.. هو الموت يختار الرائعين دائماً.

بدرية الوهيبي

يكفينا أن ناجي العلي يعطينا شرف تصعيد الكاريكاتير إلى الأهمية الكبيرة في الصحافة العربية

جورج بهجوري

لأنك عملاق وهم أقزام، ولأنك شجاع وهم جبناء، اغتالوك ليحطموا ريشتك التي عرتهم وفضحتهم وكشفتهم على حقيقتهم، شلت يد الغدر .. يا ناجي

فرج بالحسن بن وليد

عبثا حاول الضباب أن يلتصق بجلد ناجي العلي، هذا القلب الواضح كالبرق لا يستطيع إلا أن يكون قلبا واضحا كالبرق

نبيه البرجي

ناجي، ابن المخيم، صوت الفقراء ومنشد الحرية، إن كانت الكرامة رجلا كان هو، وإن كان الصدق وجهها كان وجهه

فيصل دراج

لقد اكتشفت من خلال اللونين الأبيض والأسود في رسومه أن حافة الموت التي وصل إليها هي وجه آخر للاستشهاد الفلسطيني .. وللمنفى القسري الذي حاول ناجي باستمرار تجاوزه بعد وعيه بإيقاع البندقية في يد الفقراء

منيرة مصباح

ناجي العلي يختزل الكلام .. يحوله إلى رسوم عما يختلج في ضمير أمة كاملة

ثامر الفلاحي

أنك الضمير الذي لا يغيب، حتى في غيبوبة الرصاص المكتوم، الحاقد، أعرف أنك المكابر، العنيد، الحالم، المتجرئ غير المدجن

بول شاؤول

هذا الضمير العربي الكظيم، الذي يراقب وقائعنا الشرسة بحزن نبي وحرقة ثائر مصفد .. هذا "الناجي العلي"

ابراهيم العجلوني

أمام مرحلة الهزيمة كان لا بد أن يبدو ناجي العلي نغمة نشاز طيرا حاذقا متفردا في حسه ورؤياه يغرد خارج موجة السقوط

عادل سمارة

اغتيل ناجي العلي ربما لأنه لم يكن فلسطينيا بالمعنى الذي يراد للفلسطيني أن يكون

اغتالوه لأنه لا يؤمن إلا بشعار كامل التراب الفلسطيني

صحيفة الوطن

اذا اردت ان تعرف رأي العرب بأمريكا فانظر في رسوم ناجي العلي.

نيويورك تايمز

عبقرية ناجي العلي هو هذا الصدق المطلق والإيمان العميق بقضيته واتحاد شخصيته بفنه وحياته بموته

وليد معماري

أدمن ناجي متاريس الفقراء، غامساً ريشته في ضمائر المحرومين من أرضهم في أرضهم

جمال حيدر

خطيئتك أن لك لغتك، انك أنت، لم تزيف، لم تتحول

ليلي السائح

كان بطله الثابت ابداً هو حنظلة.. لم يكن شاهدا ومحايداً فحسب بل هو تعبير عن الضمير الجمعي للشعب العربي الفلسطيني وابن الارض المتشبث بها والذي لا يمكن اجتثاثه وتجاوزه والشطب عليه، حنظلة هو الوحيد الذي خرج من اطار الثنائيات لانه الشاهد والشهيد، والرمز الذي يكثف المعاني ويتماهى معها ويستجلبها ويكشف عن خباياها.

أمنية طلعت

ان شخصية (حنظلة) التي نحتها عبقري الكاريكاتير العربي الفنان الفلسطيني ناجي العلي، ستبقى أهم شخصية كاريكاتيرية عربية في تاريخنا المعاصر، وستظل حية في وجداننا. ولن تندهش عندما تراجع رسومات ناجي العلي ... وتكتشف كأن يدا رسمتها للتو، فهي تنكأ جراحا متجددة وتتجاوز حدود الزمان والمكان، وتفجر داخلك رغبة محمومة للضحك المر الساخر من الأوضاع المقلوبة، وترسم لك وبك ومعك أفقا للضحكة الصافية الموعودة في رحم المستقبل عندما تتحرر الأوطان وتعود القدس

سيد زهران

كانت رسومات ناجي العلي بمثابة كمية الملح التي يسكبها في فنجان القهوة الصباحي لحكام ٢٢ دولة عربية فيعكر مزاجهم طوال اليوم ... فلم يسلم نظام عربي واحد من نقده... ولن يجيد الحكام تحمل النقد العابر الذي يدخل في باب (فش الخلق) إلا أنهم ما كانوا يطيقونٍ تحمل النقد التحريضي... فكاريكاتير العلي كان مشواراً سياسياً يدخل كل البيوت مثل رغيف الخبز...

جريدة السفير

ناجي العلي، من بين اشهر عشرة رسامين للكاريكاتير في العالم

صحيفة أساهي اليابانية

ناجي العلي... بدمه رسم لفلسطين

مجلة الهدف

واحد من أعظم رسامي الكاريكاتير منذ نهاية القرن الثامن عشر

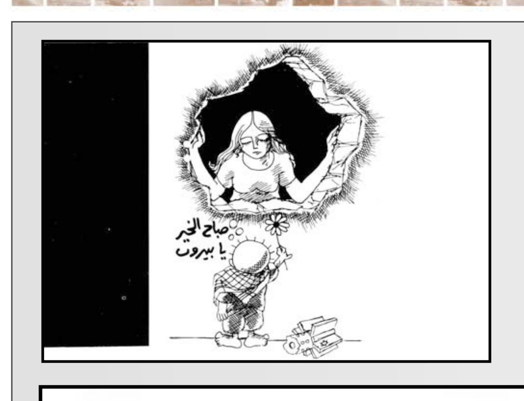
الاتحاد العالمي لناشري الصحف

حنظله يُعرّف نفسه: محسوبك إنسان عربي وبس !

"عزيزي القارئ اسمح لي ان اقدم لك نفسي .. انا وأعوذ بالله من كلمة أنا.. إسمي: حنظلة، إسم أبي مش ضروري، إمي .. إسمها نكبة وأختي الصغيرة فاطمة .. نمرة رجلي: ما بعرف لأني دايماً حافي.. تاريخ الولادة : ولدت في (٥ حزيران ٦٧) جنسيتي: أنا مش فلسطيني مش أردني مش كويتي مش لبناني مش مصري مش حدا .. الخ، باختصار معيش هوية ولا ناوي أتجنس.. محسوبك انسان عربي وبس.. التقيت بالصدفة بالرسام ناجي.... كاره فنه لانه مش عارف يرسم.. وشرحلي السبب.. وكيف كل ما رسم عن بلد.. السفارة بتحتج ..الارشاد والانباء (الرقابة) بتتنذر.. قلي الناس كلها أوادم .. صاروا ملايكة .. وآل ما في أحسن من هيك.. وبهالحالة.. بدي أرسم بدي أعيش.. وناوي يشوف شغلة غير هالشغلة.. قلتله إنت شخص جبان وبتهرب من المعركة.. وقسيت عليه بالكلام ، وبعدما طيبت خاطرو.. وعرفتو على نفسي وإني انسان عربي واعي بعرف كل اللغات وبحكي كل اللهجات معاشر كل الناس المليح والعاطل والآدمي والازعر.. كل الانواع .. اللي بيشتغلوا مزبوط واللي هيك وهيك.. وقلتله اني مستعد ارسم عنه الكاريكاتير. كل يوم وفهمته إني ما بخاف من حدا غير من الله واللي بدوا يزعل يروح يبلط البحر.. وقلتلو عن اللي بيفكروا بالكنديشن والسيارة وشو يطبخوا اكتر من ما بفكروا بفلسطين.. ويا عزيزي القارئ.. أنا آسف لأني طولت عليك.. وما تظن إني قلتلك هالشي عشان أعبي هالمساحة.. واني بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن صديقي الرسام اشكرك على طول.. وبس .. "

التوقيع (حنظلة)

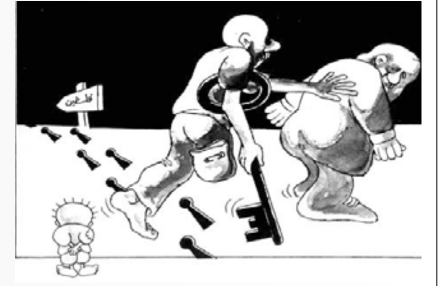
نماذج من أعمال الفنان ناجي العلي



جاجه تقولي
.. الدم ما بيصير ميه
صار زفت
!!
إقتتال الأخوة !!
ودور النفط في المعركه





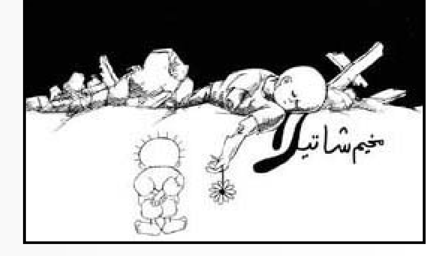












تتمة - الفـن التشكيـلي نموذجـاً

سأبقى"، هو عنوان مقتبس من أغنية مشهورة "إرحل" غناها الفنان أحمد قعبور. أنجز النوباني تلك اللوحة عام ٢٠٠٤ ويظهر فيها رسم رمزي للخيمة في دلالة على استمرار الشتات الفلسطيني بعد ما يقارب الستين عاما. الخيمة تشير إلى سكن مؤقت، وإلى ساكن متنقل ليس له وطن. لذا فإن الخيمة التي ما زالت منصوبة في اللوحة وبعد كل تلك العقود منذ التهجير تشير إلى علاقة تشبث وانتماء تربط الإنسان الفلسطيني بالبيت. الوطن. الذي هُجّر منه. يسيطر الأزرق على اللوحة ليشير إلى حالة فزع وحزن، في حين تتواجد عيون ووجوه كثيرة تعبر عن حالة من الألم والترقّب والانتظار.

مرة أخرى تطل علينا يافا وكأنها ترفض هي الأخرى الزوال في "مدنيّة" قامت على الاقتلاع. يقوم سامي بخاري (مواليد يافا ١٩٦٤) في عمله "بانوراما" (٢٠٠٢) بالتدليل على الخراب والدمار الذي لحق بمدينة يافا بعد النكبة من خلال توثيق يافا ما قبل وما بعد ١٩٤٨. تُظهر تلك الصور العلاقة بين الأبنية والقديمة وتلك الحديثة في المدينة "وكذلك المساحات المفتوحة التي تبدو كجرح داخل البيوت السكنية في الحي"[١٥]. عرض سامي بخاري أيضا ضمن هذا العمل سلسلة من الصور للمقبرة الإسلامية القديمة في يافا "الأكزخانة"، وتطل المقبرة في الصورة كدالة على التراث المعماري الفلسطيني القديم في يافا، بقناطرها وأعمدتها. يقع الجزء الغربي من المقبرة على الشاطىء حيث هدمت الأمواج جزءا منها، في دلالة على الكارثة المنتظرة باستمرار على الأبواب، وبمقاربة للنكبة الفلسطينية في الوعي الذاتي والجمعي الفلسطيني، حيث يحتفظ الوجود الفلسطيني بحضوره ويبقى على أهبة الاستعداد لكارثة أخرى، وهناك أيضا مشابهة للموت الثقافي والاجتماعي في يافا بعد النكبة[١٦]. ثم يعرض بخاري إلى جانب تلك الصور من المدينة سلسلة من صور أخرى التقطت لخنزير بعد الموت: يخلق البخاري علاقة استعارية بين صورة الخنزير كتجسيد للخطيئة (في المجتمع اليهودي والمسلم)، كشيء مقصىً، وبين صورة يافا في الواقع الإسرائيلي. في هذا السياق يرى يافا ما بعد ١٩٤٨ كتذكير بالخطيئة. يافا تظل مقصاة، غير مرغوب فيها، خارج المعسكر. لكنها في الوقت نفسه، يافا العربية، يافا الجميلة، المتبرّجة، التي تتزين كل يوم تقريبا برصاصات بندقية ذهبية اللون. وهي موجودة في مركز المعرض كأنسنة، كشخصية إمرأة، كعروس البحر في الأدب والثقافة الفلسطينيين[١٧].

وإذا ذهبنا إلى عمق المخيّم الفلسطيني سيبرز في المشهد التشكيلي الفنان جواد المالحي (مواليد القدس ١٩٦٩). في أعماله يقوم المالحي بتوثيق الحياة اليومية في مخيمات اللجوء، والتي يرى فيها الفنان تجمعات وتركيبات سكنية مؤقته جاءت نتيجة مهازل تاريخية[١٨]. يعيد المالحي إنتاج لوحته "الدراجة"، والتي فقدت منذ وقت طويل، بصنعه دراجة هوائية علقها على لوحة زيتية أخرى، كبرت الشخوص الذين رسمهم المالحي في لوحته السابقة، يعيد المالحي إنتاج لوحته، الأولى التي فقدت ويوثق فيها حالة الحزن والقسوة التي يعيشها اللاجئ الفلسطيني، ليعيد إنتاج العلاقة بين الإنسان الفلسطيني وبين المكان الذي ما زال مؤقتا. المخيم.

وتعيد الفنانة رائدة أدون (مواليد عكّا ١٩٧٣) في عملها "فساتين" تشكيليا إنتاج مسرحية "فساتين" لمحمد علي طه التي عرضت في مهرجان عكا عام ٢٠٠١. في قاعتين وضعت الفنانة عرضي فيديو، الأول، يعرض فساتين سوداء منتصبة بين جدران البيوت المهجورة في قرية لفتا في القدس يرافقها صوت ريح تتحرك داخل الفساتين فتحولها إلى أشبه بأشباح في المكان المهجور، في القاعة الأخرى عرض فيديو حيث تظهر الفنانة بشخصية "عائشة" من مسرحية "فساتين" لتروي حكاية "عائشة" التي تعيش في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في دمشق منذ عام ١٩٤٨، تشترط "عائشة" منح جسدها لعلاقة الحب مع زوجها "أبي العبد" بعودتها إلى قريتها "السجرة" في فلسطين[١٩]: "قام أبو العبد مكسور الخاطر ومن يومها ما عاد قرّب مني ومرت سنين واحنا في الشام جسمي برد ومات ما عدت أفكر فيه (...) وهيك مرت سنين ومات ابن عمي محروم مني ومن السجرة. تكتمل الرواية، القضية، الفلسطينية في العملين، بحيث يخيم الصمت، إلا صوت الريح، على العمل الأول ليوحي بذاكرة جمعية فلسطينية تلخص تحول الشخوص في أمكنتها الأولى إلى أشباح، الشخوص وإن هُجّرت من المكان إلا أن أرواحها تسكنه. العرض الثاني يروي، يروي الصمت وسببه قي العرض الأول، هذا التشبث بالذاكرة، مرة أخرى تتجلى "ذاكرة التحدي" التي تحدث عنها إدوراد سعيد في قراءته لأعمال منى حاطوم. ومرة أخرى يكون جسد المرأة هو الدلالة على المكان والأرض، وتكون المرأة هي الراوية الأساسية والشاهدة الأولى، بل وهي الموضوع، الأرض. الجسد، اللذين يُشترط ارتيادهما بالعودة، المطلب المتجدد والمستمر للاجئ الفلسطيني. عرضت مسرحية "فساتين"، لجمهور إسرائيلي لا يفهم اللغة العربية، وكذلك النص الذي تحدثت به أدون في علمها بالفيديو حيث معظم الجمهور من الإسرائيليين أيضا، في ذلك سياسة ينتهجها العمل الفني، المسرحي والتشكيلي، لا تشير إلى اللغة كونها لغة فحسب، بل كونها هوية دالة على ثقافة وتاريخ وذاكرة مغايرة لا يفهمها "الآخر"، ولا يحاول، وهو نفسه الذي يحاول طمسها وإحلال ثقافته مكانها"[٢٠].

تنسج عائشة الماضي المتكرر بالحاضر فتقول[٢١]: "الخيال يجمح إلى الوراء. إلى آخر أيام المملكة الصليبية التي انحصرت إلى عكا قبل أن تمّحي تماما. وربما أنه في ذاك الحين أيضا، أقيم مهرجان براق، ودعي الجيران المسلمون كي يمثّلوا ويعزفوا، وقام الصليبيون الذين لم يفهموا العربية برفع كؤوس البيرة وصفقوا للعربية الجميلة التي تنبأت، بلغة حلقية غير مفهومة، بانصرافهم القريب".

من خلال الطفولة التي تشكل موضوع أعمال الفنانة إيمان أبو حميد (مواليد عكا ١٩٧٦)، تنطلق الفنانة لترسم ملامح هوية ذاتية حميمية لكنها تستند مرة أخرى على ذاكرة جمعية. في عملها (بدون عنوان)، تختزل أبو حميد في البيت مسائل الانتماء إلى الهوية والذاكرة الجمعية الفلسطينية. على شريحة السلايدز داخل صندوق وضعت الفنانة خريطة فلسطين ما قبل عام ١٩٤٨ وصورة التقطت لها في فناء بيتها وهي ما زالت طفلة، صورة بيت جدها الذي هُجّر منه بعد النكبة وحبل غسيل. هذا الاختزال للبيت في صندوق صغير يحوي عناصر هوية وقضية جمعية ما هو إلا اختزال للعام وللقضايا الكبرى لتصبح ذاتية وحميمية في إحساس الإنسان الفلسطيني بها، وطفوليّة في حنينها المستمر إلى الزمان والمكان الأوليْن، يعكس هذا التمثيل للعلاقة بين الذاتي والعام عمق القضية الفلسطينية التي تحولت من قضية سياسية عظمى إلى مسألة ذاتية وجزء من الذات الفردية للإنسان الفلسطيني.

مرة أخرى يتجلى المكان المُؤَنْسَن في العمل التشكيلي الفلسطيني المعاصر كما كان في أعمال الرواد، ففي عملها "وادي الصليب في تسعة أبواب"، تقوم أحلام شبلي (مواليد قرية الشبلي ١٩٧٠) بالتقاط صور للروح في المكان. وادي الصليب هو حي في مدنية حيفا هُجّر سكانه عام ١٩٤٨. تقوم أحلام بتوثيق ذاكرة المكان قبل أن تتحرك جرافات بلدية حيفا لمحو تلك البيوت القديمة. تستحضر روحه الفلسطينية، ومن خلال حميمية تبثها الصورة في الأشياء المتروكة وفي الجدران تقوم أحلام بأنسنة المكان، توثق تجربة الفقد والتهجير، وتثبّت هويته الفلسطينية.

خلاصـة

ما زال الخطاب الثقافي الفلسطيني، بمختلف أداوته الفكرية والأدبية والفنية، يستند على القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني بالعودة إلى أرضه وإقامة دولته. وإذا كانت الحركة الثقافية الفلسطينية قد سارت منذ بداية القرن العشرين نحو تطوير نفسها بشكل طبيعي كما مختلف الحركات الثقافية في العالم العربي، فإن عام ١٩٤٨ شكل نقطة تحول رئيسية في وظيفة ومضامين عناصر تلك الحركة، لتستمر بدورها إلى يومنا هذا بمعالجة تلك السيرورة غير الطبيعية للتاريخ.

والفن التشكيلي الفلسطيني، كما مختلف صنوف الإبداع الفلسطيني، وجد نفسه في ميدان تلك المعركة التي تهدد ليس فقط الوجود الإنساني الفلسطيني على أرض فلسطين، بل الوجود الفلسطيني كهوية على تلك الأرض. وبذلك جاءت أعمال رواد هذا الفن توثيقا، بالمعنى الحرفي للكلمة، لمأساة التشتت وضياع الأرض. وتحولت تلك الأعمال، بمباشرتها بطرح قضايا النكبة والاحتلال واللجوء، إلى أشبه بـ "بوستر" سياسي في مضامينه، ونضالي في وظيفته. وسيطرت على تلك الأعمال رموز المقاومة واتخاذ المرأة استعارة للأرض، كما في الأدب الفلسطيني. وتحولت الحركة التشكيلية الفلسطينية إلى حركة نضالية، سواء بالأعمال التي أنتجها الرواد، أو بنشاطاتهم في الحركة الثقافية والتي اعتبروها مكملا لعملهم كفنانين.

يضع الفن التشكيلي الفلسطيني اليوم الشعارات جانبا، ويتخلى عن تلك المباشَرة في الطرح، لكن لم يختف المضمون السياسي، القضية الفلسطينية من هذا الفن، بل على العكس، إذ ساهم اندلاع الانتفاضة الثانية والأحداث المأساوية التي يمر بها الشعب الفلسطيني منذ عام ٢٠٠٠ في تعزيز المضمون السياسي ليس فقط في المشهد التشكيلي الفلسطيني بل في المشهد التشكيلي العالمي أيضا، في ظل أحداث عالمية أخرى ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بالقضية الفلسطينية، كأحداث ١١ سبتمبر واحتلال العراق والحرب الأخيرة على لبنان والتهديدات الموجهة إلى سوريا وإيران.

ما زال الفن التشكيلي الفلسطيني ينطلق من أرضية فرضتها نكبة عام ١٩٤٨، لكننا نشهد تنوعا في المضامين التي يعالجها بشكل أكثر عمقا وأكثر حميمية وذاتية من السابق. الفن الفلسطيني اليوم يحول النكبة إلى قضية ذاتية، في دلالة على عمق الإحساس الفلسطيني بقضيته وتأثره بها على مختلف الأصعدة الاجتماعية والإنسانية والثقافية. وأول ما نستخلصه من هذا الفن عن النكبة، أن تلك النكبة ليس تاريخا مضى، بل هي حاضر مستمر في الوعي الفلسطيني الفردي والجماعي، ما دام حق العودة ما زال مطلبا مرفوعا لم يتحقق، وما دام الاحتلال يستمر بممارساته التي تستهدف الوجود الفردي والجماعي، السياسي والثقافي، على أرض فلسطين.

وفي معالجته قضية النكبة، وظف الفن التشكيلي الفلسطيني سواء في مراحلة التاريخية أو المعاصرة عنصر المكان، باعتباره جزءا من الذات الإنسانية الفلسطينية، التي يتقاذفها مكانين، مخيم اللجوء المفروض قسريا، القاسي والبارد والمؤقت، والمكان الأول، الرحم، الدافئ والحميم والأبدي. كما اتخذ هذا الفن من المرأة استعارة للأرض وللهوية. جسد المرأة في العمل التشكيلي الفلسطيني هو الأرض، وهو المنفى ما دامت الأرض محتلة.

أحدث الوسائل في التعبير التشكيلي لم تجتث مضامين تاريخية من هذا العمل وتضع مكانها أخرى، بل ساعدت الفنان الفلسطيني على الذهاب أكثر عمقا في معالجته قضيته الوجودية كفلسطيني، الفنان الفلسطيني اليوم يؤنسن القضية السياسية، ليصبح تاريخها هو سيرته الذاتية، ومكانها، فلسطين، هو الذات الإنسانية الفلسطينية نفسها. هذا التحول في الذهاب إلى العمق والأنسنة وتحويل القضايا الكبرى إلى حميمة ذاتية نستطيع أن نستقرأه من فنون أخرى، كما في دواوين الشاعر محمود درويش الأخيرة. ربما في تلك الأنسنة وجعل ما هو عام ذاتي، يجد الخطاب الثقافي الفلسطيني حل قضيته التي هي إنسانية بالأساس.

---

* مليحة مسلماني هي باحثة وفنانة فلسطينية ومرشحة لنيل شهادة الدكتوراة في معهد البحوث والدراسات العربية في القاهرة، وموضوع رسالتها: "تمثيلات الهوية في الفن الفلسطيني في المناطق المحتلة في العام ١٩٤٨". لمسلماني العديد من المعارض فنية، والأعمال الكتابية والدراسات. فازت مليحة مسلماني بالمرتبة الاولى في جائزة الورقة البحثية في جائزة العودة للعام ٢٠٠٧ عن الورقة المنشورة اعلاه، كما فازت بالمرتبة الاولى في جائزة ادب الاطفال في جائزة العودة للعام ٢٠٠٧ أيضا عن قصة بعنوان "كرم التين".

الهوامـش

١ محمد أحمد العجاتي، أزمة الهوية في الفكر السياسي العربي: دراسة مقارنة في رؤى حسن حنفي ومحمد عابد الجابري، رسالة ماجستير، القاهرة: جامعة القاهرة، ٢٠٠١، ص ١٤.
٢ المصدر السابق نفسه.
٣ المصدر السابق، ص ص ١٤ – ١٥.
٤ عفيف بهنسي، الفن الحديث في البلاد العربية، اليونسكو: دار الجنوب للنشر، ١٩٨٠، ص ٥٤.
٥ عز الدين المناصرة، موسوعة الفن التشكيلي الفلسطيني في القرن العشرين: قراءات تاريخية توثيقية نقدية. الجزء الأول، الطبعة الأولى، عمان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٣، ص ص ٢٢٦ – ٢٢٨.
٦ كارين رودانتس، إسماعيل شموط، ترجمة: ممتاز كريدي، برلين: دار هنشل للنشر، ١٩٧٥، ص ٩.
٧ كمال بلّاطة وآخرون، صور ذاتية: فن نساء فلسطينيات، تل أبيب: دار أندلس للنشر، ٢٠٠١، ص ٢١.
٨ المصدر السابق، ص ص ٢٣ – ٢٤.
٩ المصدر السابق نفسه.
١٠ المصدر السابق، ص ٢٥.
١١ المصدر السابق نفسه.
١٢ نصر يوسف الجوابرة، البنية الفكرية للفن التشكيلي المعاصر في فلسطين، رسالة ماجستير، جامعة بغداد. فلسطين: دار الرائد، ٢٠٠٠، ص ص ١٤١ – ١٤٣.
١٣ طال بن تسفي، سيرة حياة: ستة معارض شخصية في جاليري هاجر للفنون، يافا: جاليري هاجر، ٢٠٠٦، ص ص ٤٢ – ٤٥.
١٤ من حوار أجرته الباحثة مع الفنان إبراهيم النوباني، نشر في صحيفة الحياة الجديدة، ٢٠٠٥\٩\٧، ص ٢٣.
١٥ طال بن تسفي، فن فلسطيني معاصر، يافا: جاليري هاجر، ٢٠٠٦، ص ص ٣٨ – ٤٠.
١٦ المصدر السابق نفسه.
١٧ المصدر السابق نفسه.
١٨ من مقدمة نقدية لتينا شيرويل، كتالوج معرض: ألوان الحرية والحياة، فلسطين: وزارة الثقافة، ٢٠٠٤، ص ٢٥.
١٩ طال بن تسفي، فن فلسطيني معاصر، ص ص ٣٩ – ٤٣.
٢٠ اقتباس من بحث قدمته الباحثة لمؤتمر التاريخ الذي عقد في القاهرة في شباط ٢٠٠٧، وهو قيد النشر ضمن منشورات سلسلة مؤتمرات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، البحث بعنوان "المرأة في الفن التشكيلي الفلسطيني: جسدُ وطن وذاتُ هويّة".
٢١ طال بن تسفي، فن فلسطيني معاصر، مصدر سابق.

تسريبات من التقرير السري للمبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة "دي سوتو"

إدانة للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط ودعوة لتغيير في دور الأمم المتحدة في عملية السلام

تقرير خاص ب "حق العودة"

ألفارو دي سوتو، المنسق الخاص للأمين العام للأمم المتحدة لعملية السلام في الشرق، والممثل الشخصي للأمين العام لدى منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية، ومبعوث الأمم المتحدة للجنة الرباعية، قدّم استقالته في أيار الماضي بسبب رفض الرباعية رفع العقوبات عن السلطة الفلسطينية بعد تشكيل حكومة الوحدة؛ أو على حد قوله: "لا استطيع التعايش مع الترتيبات حتى الوصول لوضع عندما تريد فيه الرباعية اتخاذ مواقف ليس من المرجح أنها قادرة على الحصول على تأييد أغلبية هيئات المنظمة الدولية، والتي تتقاطع على أية حال مع قرارات مجلس الأمن الدولي أو/ والقانون الدولي..." (فقرة ٦٩).

ومع رحيله، كتب دي سوتو تقريراً سرياً لنهاية البعثة، حلل فيه عدد من العناصر، مثل الأحداث التي تؤثر في الصراع، ودور اللجنة الرباعية والسلطة الفلسطينية، وعن الجهود الدبلوماسية للولايات المتحدة.

وبشأن هدف الصهيونية من أجل خلق أغلبية يهودية في أرض إسرائيل؛ يقدر دي سوتو أن شارون أدرك أن "...مشروع الهجرة الصهيونية – عودة اليهود ليكون وطنهم في إسرائيل – لم ينجح إلى حد ما؛ مثلما أن شارون نفسه دبّر ودعم سياسة الاستيطان منذ عقود". (فقرة ١٥). وحسب دي سوتو، فإن هذا الإدراك هو أحد الأسباب الرئيسية وراء إعادة الانتشار الإسرائيلي من قطاع غزة عام ٢٠٠٥. ومع ذلك نجح شارون في "...تحقيق مكاسب حيوية والحصول على تنازلات من الولايات المتحدة، بما في ذلك رسالة الضمانات من بوش للإبقاء على الكتل الاستيطانية الكبرى، وبعدم عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى داخل إسرائيل، كل ذلك وإسرائيل مستمرة في بناء [الجدار] وفي تعزيز الاستيطان في الضفة الغربية". (فقرة ١٦)

وكنتيجة للانتخابات التشريعية الفلسطينية عام ٢٠٠٦، يؤمن دي سوتو أن "الناس عبّروا عن أنفسهم في انتخابات حرة ونزيهة، تم دعمها وتشجيعها من قبل المجتمع الدولي، وعليه يجب احترام تطلعات الناس وأمانيهم" (فقرة ٤٦). وقد حاول إقناع الأمم المتحدة والرباعية للتعامل مع حكومة تقودها حماس، ولكنه فشل في هذا المسعى؛ فيما تحولت اللجنة الرباعية "...من تشجيع لعبة المفاوضات المباشرة المحكومة بإطار وثيقة عامة (خارطة الطريق) إلى هيئة لفرض عقوبات على حكومة منتخبة، في انتخابات حرة وديمقراطية من قبل شعب تحت الاحتلال، وفي نفس الوقت وضع شروط تعجيزية للحوار". (فقرة ٥٠). وإضافة لذلك تحوّل دور الرباعية ليصبح تخيف أي ضغوط تتعرض لها إسرائيل. (فقرة ٥٤).

ويرى دي سوتو أن "...الرباعية هي مجموعة جميلة من أصدقاء الولايات المتحدة – وهكذا لا ترى الولايات المتحدة أية حاجة للتشاور المباشر مع الرباعية إلا عندما يحلو لها ذلك" (الفقرة ٦٣). أنها "درع" لما تفعله الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي (الفقرة ٧٩). ويتهم دي سوتو كل من الولايات المتحدة، الاتحاد الأوروبي وإسرائيل بالمسؤولية عن فرض العقوبات على السلطة الفلسطينية، وكتب "أن على هذه الحكومات تحمل المسؤولية عن هذه الأفعال" (الفقرة ٧٨).

وبوضوح، وصف دي سوتو سياسة الولايات المتحدة بعد فوز حركة حماس في الانتخابات: "في الوقت الذي تلا الانتخابات، وفي الواقع حتى اتفاق مكة بعد ذلك بعام، دفعت الولايات المتحدة، وبشدّة، نحو مواجهة بين فتح وحماس، وتجلّى هذا العمل بتعليق من المبعوث الأمريكي أمام اجتماع المبعوثين في واشنطن "كم أحب هذا العنف"، مرجعا حديثة إلى بداية الحرب الأهلية الوشيكة التي كانت تندلع في غزة..." (الفقرة ٥٦).

كذلك وصف دي سوتو السياق منذ بداية عام ٢٠٠٧، وأشار بالتحديد إلى "...فمن الواضح أن الجهود التي تقوم بها الولايات المتحدة، وبوضوح مع شركاء عرب، لتدعيم قدرات أجهزة الأمن تحت قيادة أبو مازن، مثل استخدام العقول الفلسطينية المقربة من الرئيس..." (الفقرة ١٢٣)

وانتقد دي سوتو ولاية الأمين العام للأمم المتحدة، الذي قال عنه أنه يبتعد عن معالم القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة، وهي الإطار الذي يجب أن يحكم عمل الأمين العام المزدوج كمنسق للمساعدة وتعزيز عملية السلام في الشرق الأوسط (الفقرة ٨٧). ويعتقد أن على الأمم المتحدة أن تقوم بتخفيض تمثيلها ودورها في اللجنة الرباعية، وأن تعمل مع جميع الأطراف، لأن هذا هو السبيل الوحيد للبحث عن حل سلمي (الفقرة ٩٠ – ٩١). وللنظر في دور الأمم المتحدة، يقول دي سوتو أن المنظمة الدولية لا تستطيع أن تدافع عن نفسها بأمانة لأنها "كانت تسترشد في عملها وفقا لمصالح الشعوب التي وجدت المنظمة من اجل المساعدة على تحقيقها" (الفقرة ٩٥).

وحول عملية السلام، يقول دي سوتو انه بالرغم من المبادرات الحالية "... يجب ألا نقع ضحية الدعاية الخاصة بنا"، ويضيف "علينا أن ندرك أن [هذه المبادرات] من غير المرجح أن تقودنا [إلى أي مكان]؛ لأنها لا تقوم على أسس سليمة وقوية نابعة من تحليل معمق للوضع، وغير متسمة بالإنصاف" (الفقرة ١١٩).

وبالنظر إلى السياق الذي كتب فيه دي سوتو تقريره في أيار ٢٠٠٧؛ واستنتج على وجه التحديد، أنه "...بالأخذ بالحسبان التوترات الواضحة من خارج وداخل حكومة الوحدة الوطنية، فإنها لن تصمد طويلا في الحكم خلال الشهور القادمة". (الفقرة ٩٧).

كما استنتج دي سوتو أن "السلطة الفلسطينية ستدخل في مرحلة تصبح غير ذات علاقة، أو حالة عدم وجود، فيما تستمر المستوطنات في التوسع، وسيخرج حل الدولة الواحدة من الظل، وينطلق ليغدو الاتجاه الرئيس". (الفقرة ١٢٨).

بيان صحفي صادر عن مركز بديل

اليوم العالمي للاجئين، ٢٠ حزيران ٢٠٠٧

٧,٥ مليون لاجئ ومهجر فلسطيني: بحاجة الى حل قائم على الحقوق

مع نهاية العام ٢٠٠٦، قدر تعداد الفلسطينيين بما يزيد عن عشرة ملايين ومائة ألف. منهم ٧,٥ مليون لاجئ ومهجر يشكلون نحو ٧٠٪ من ابناء الشعب الفلسطيني. نحو ستة ملايين منهم من لاجئي عام ١٩٤٨، ونحو مليون من لاجئي عام ١٩٦٧، بالإضافة إلى ما يقارب من ٤٥٠ ألف من المهجرين داخل إسرائيل والأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧، و٤٠٠ ألف مهجر آخر وضعهم القانوني غير واضح غالبيتهم هجروا قسراً من أو في الأراضي الفلسطينية المحتلة بسبب السياسات الإسرائيلية منذ العام ١٩٦٧. يعيش ثلثا الشعب الفلسطيني في المنافي، وخصوصاً في الدول العربية المجاورة لفلسطين (الأردن، سوريا، ولبنان) وما يقارب من ٢٠٪ منهم لا زالوا يعيشون في مخيمات اللاجئين التي تشرف عليها وكالة الغوث الدولية.

ينشر مركز بديل هذه المعطيات بمناسبة اليوم العالمي للاجئين باستعراض وتحليل منتظم للمصادر المتاحة، بما فيها بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، وتعتبر هذه المعطيات الأكثر مصداقية في ظل غياب نظام تسجيل شامل للاجئين منذ العام ١٩٤٨.

تعتبر قضية اللجوء الفلسطيني الأطول عمراً من بين قضايا اللجوء في العالم وأوسعها انتشاراً، ويدعو مركز بديل جميع الأطراف المعنية ومنها أطراف الصراع في اليوم العالمي للاجئين إلى اعتماد نهج قائم على الحقوق في السعي لتطبيق حلول دائمة. وعلى وجه الخصوص فان مركز بديل يدعو إسرائيل، والولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي إلى الاعتراف بحقوق اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين بالعودة إلى ديارهم الأصلية، واستعادة ممتلكاتهم والتعويض عن الخسائر والأضرار التي لحقت بهم.

لقد فشلت المفاوضات منذ العام ١٩٤٨ في وضع القانون الدولي في مركز البحث عن حلول دائمة لقضية اللاجئين الفلسطينيين. وبدلاً من ذلك تم اتخاذ ما سمي بالحلول "العملية والواقعية"، وهي الحلول المبنية على اختلال موازين القوى بين الطرفين ولا تترك مجالاً لاحترام حقوق اللاجئين والمهجرين بموجب القانون الدولي وقرارات الأمم المتحدة ذات العلاقة. إن معالجة وحل قضية اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين وفقا للقانون الدولي يظل الأساس لبناء سلامٍ عادل ودائم.

إن الافتقار إلى نهج قائم على الحقوق قد ترك اللاجئين والمهجرين الفلسطينيين عرضة للتشريد وخلق مناخاً للإفلات من العقاب. ففي الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وإسرائيل يتواصل تهجير الفلسطينيين كنتيجة لسعي إسرائيل للسيطرة على اكبر قدر من الأراضي مع أقل عدد من الفلسطينيين. كما أن عدم وجود حماية فعالة يترك اللاجئين الفلسطينيين عرضة للتمييز والاضطهاد وتكرار التهجير القسري في البلدان المضيفة أيضاً. في العراق على سبيل المثال، فإن غياب الحماية قد دفع بالعديد من اللاجئين الفلسطينيين إلى النزوح تجاه الحدود وهو ما تكرر في لبنان خلال العدوان الإسرائيلي على لبنان في صيف ٢٠٠٦ وخلال الصراع الدائر في مخيم نهر البارد.

رغم ما يجري من تهجير للفلسطينيين، لم يتم تطوير آلية أو رد وطني أو دولي لحمايتهم ومواجهة ما يتعرضون له من تهجير قسري. إن بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين يرى بأن الحاجة ملحة للرد من قبل المنظمات الدولية وخصوصاً الأمم المتحدة على استمرار التهجير القسري الذي يتعرض له الفلسطينيون في إسرائيل والأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧. كما يجب محاسبة الحكومة والمسؤولين الإسرائيليين على تنفيذهم لسياسات التهجير القسري بحق الفلسطينيين.

لمزيد من المعلومات، انظر:

- البيان الصحفي للجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، بمناسبة اليوم العالمي للاجئين (http://www.pcbs.gov.ps/)
- اللاجئون والمهجرون الفلسطينيون: المسح الشامل للعام ٢٠٠٦، بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين (قيد الطباعة).

حكايـة حطيـن

بقلم: رنيـن جريـس*

تبعد قرية حطين حوالي تسعة كيلومترات عن مدينة طبرية من جهة الغرب، وتقع على طرفي واد صغير عند السفح الشمالي لجبل حطين وتشرف على سهل حطين، ولذا امتازت بأهمية استراتيجية وتجارية. وكما هو معلوم فعند سهلها وجبلها وقعت معركة حطين الشهيرة عام ١١٨٧ للميلاد، حيث هزم جيش المسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي جيش الصليبيين واجتاز بذلك الجليل كله وحرر سائر فلسطين. اخر الاحصائيات الرسمية عن القرية تعود الى عام ١٩٤٤/١٩٤٥ وتشير الى ان عدد سكانها كان حينئذ ١١٩٠ نسمة يعيشون في ١٩٠ بيتاً ويملكون اكثر من ٢٢ الف دونم.

"إعطينـي أرضـك"

التقيت توفيق (١٩٣٣) واخته سمية حوارني (١٩٣٧) في قرية عرابة البطوف وقد حدّثاني بشغف عن قريتهم: "حطين كانت على شكل مثلث، شوارعها مستوية، كان يمر فيها أربع شوارع، من الغرب للشرق ولمركز البلد، الشوارع ما كانت معبّدة حتى الشارع الرئيسي ما كان معبد، قسم من حطين كان مرصوف حجاره سوداء من البازلت. سمّوا بلدنا حطين لأنه تاريخياً بقولوا كانت بلد مشهورة بزراعة الحنطة، وسمعت انه على زمن الكنعانيين كان في بلد على اسم بشبه حطين، حتى انه اليهود اللي جنبنا اشتروا اراضي من حطين عام ١٩٣٦ وسموا بلدهم "كفار حطيم". اليهود بنو جنبنا كمان كوبانية "عين الكتب" عام ١٩٠٨، اليوم اسمها "ميتسبا"، هاي انبنت على أراضي حطين اللي باعها لليهود إقطاعي لبناني اسمه مصباح رمضان سنة ١٩٠٨. هذا مصباح باع آلاف الدونومات لليهود، لدرجة انه بقي ٣٠٠٠ دونم عنده حاول يبيعهم والفلاحين بحطين عملوا محكمة بدائرة التسوية وصلت لندن، مصباح كان إقطاعي على ايام الدولة العثمانية مثل كثير إقطاعيين منهم سرسك وبيضون وغيرهم، كان يجي الإقطاعي ويقول للناس إذا بتعطيني أرضك ما بخليهم يوخدوك للجيش وهيك اشتروا اراضينا. كانت ارض حطين جيدة للتربة وتتمتع بوفرة الأمطار والمياة الجوفية. وكان معظم سكان القرية يعمل في الزراعة. في عام ١٩٤٤ كان اكثر من ١٠ الاف دونم مخصص للحبوب واكثر من الفي دونم مروياً ومستخدما للبساتين".

طبريـا

وعن الزراعة والتجارة حدثني امين السعدي (١٩٣٤) يسكن حالياً في قرية دير حنا: "كانت الناس تشتغل بالزراعة، كان في موسم صيفي وموسم شتوي، بالشتوي نزرع قمح وشعير وبالصيفي بطيخ وسمسم وذره، كانوا يفلحوا على الدواب والخيل. قسم من منتوجنا كنّا نبيعه بطبريا لأنها كانت قريبة وكانت الناس تروح مشي أو على الدواب، هناك كان في حسبه للجملة وحسبه للمفرق، نبيع ونشتري".

وتؤكد سهام شبايطة (١٩٣٩) وهي تسكن حاليا في قرية عرابة: "عمي احمد كان ساكن بطبريا يبيع خضرا ولبن بالدكانة. النسوان كانت تنزل على الأرض تعشّب وتحصد وتعمل كل شي، انا كنت الحق أهلي على السهل، النسوان كانت تتعب كتير، تقوم الصبح تخبز وتحضّر زوادة للحرّاثين وتفلح. كنا نزرع قمح وكرستة وحمص وعدس وذرة، غير البساتين اللي كان فيها كل اشي. حطين كان فيها زيتون كثير وكل بيت فيه دواب. بحطين كان في نسوان لبّانات، النسوان تحمل على روسها وتبيع بطبريا، لليوم الشارع اللي كنا نمشي فيه من طبريا لحطين موجود. أبوي كان يقلنا انه بحطين فيه غوليه بالشارع، بس بالاخر طلعت امراة بدوية من دار فواز مجنونة وقاعدة بنص الشارع".

عيـون حطيـن

عن عيونها حدثتيي سمية حوراني (١٩٣٧): "كان في نبع ميّ قريب من النبي شعيب، هذا كان النبع الرئيسي وفي كمان نبع بوادي الليمون. حطين كان فيها بساتين وبيارات على الميّ، مزروعة ليمون ورمان ومشمش وخوخ. سقي البساتين كان مقسم حسب ساعات وحسب مساحة الأرض، اللي يسقي بالليل واللي بالنهار، كان في لجنة بالبلد اللي مسؤولة عن الريّ، كل واحد حسب مساحة أرضه. قسطل حطين كان صغير، الناس ما كانت تروح عليه كثير، هو عبارة عن نبعة صغيرة مسحوبة بمواسير من العين الفوقى حتى يقربوها على الحارة التحتى. هاي العيون كانت تسقي معظم أرض الريّ، تتفرع بقناة من باطون وتحوم البلد من الشرق والغرب والشمال، كان اللي بدّه يستعمل الميّ للعمار يوخذ من القناة اللي جنب الباب، حتى الأولاد كانوا يسبحوا فيها لأنه القناة كانت ماشية كل الوقت".

مدرسـة ذكـور حطيـن الابتدائيـة

كان مركز القرية يشتمل على سوق صغيرة ومدرسة ابتدائية انشئت نحو سنه ١٨٩٧، عن ذكرياته المدرسية حدثني محمود رباح (١٩٣٦): "تعلمت بحطين للصف الرابع بمدرسة ذكور حطين الابتدائية، معظم المعلمين كانوا من خارج حطين من طبريا، نابلس، جنين وصفد ولوبيا. المدرسة كانت للصف السابع مديرها صلاح حديد من صفد وقبله كان بدوي عبد المجيد من نابلس وكان يعلم فيها سامي عزوقه من جنين واحمد عبد القادر ومعلمين من البلد. كانوا المعلمين مستاجرين بحطين والمعلم يقبض من الحكومة، يوم القبض كانت المدرسة تسكر لأنه المعلمين كانت تروح على طبريا تقبض معاشها. الصف الأول كان بالجامع، واللي يخلص تعليمه ينزل على طبريا يتعلم أول ثانوي، كنا نتعلم انجليزي بالصف الرابع بكتاب اسمه موريس ١ وكنا ندرس تاريخ وجغرافيا ودين وحساب وعلوم ونتعلم أناشيد وطنيه وسياسيه ويشرحوا لنا كيف اليهود بدهم يوخدوا البلاد".

"أحسن ما حدا يكتبلها"

"المدرسة كانت فوق دار اهلي"، تحدثني ضاحكة سهام شبايطة (١٩٣٩)، "كانت بس للأولاد، أبوي كان بدّه يبعتنا على طبريا نتعلم... بس بنت واحدة من حطين تعلمّت، غزالة الرباح بنت مختار البلد، تعلمت بطبريا واليوم ساكنة بأبو ظبي، أهل حطين ما عجبهم صاروا يقولو لأبوها، بعتتها تتعلم عشان بكرة تصير تكتب مكاتيب لصاحبها.. قالهم "تكتب هي، أحسن ما حدا يكتبلها"".

"حماة الدار عليكم السلام... "

"أنا درست لصف سابع ابتدائي"، حدثني محمود حوراني (١٩٣٧)، "قبل ما طلعنا بمدة قرروا انه بدهم يزفتوا الشارع بين حطين وطبريا، كان طوله ٥ كم، ومضوا على اتفاق مع مقاول بحيفا اسمه حسن شبلاق، كان عنده شركة اسمها شبلاق وعبد الفتاح، بتذكر انه صاروا يعطونا بالمدرسة عمليات حسابية عن هذا الشارع، مثلا قديش طول الشارع وكام كوب بدّه وقديش التكلفة. وكنا نغني:

"حماة الديار عليكم السلام
أبت أن تذل النفوس الكرام
عرين العروبة بيت حرام
وعرش الشموس حمى لا يضام
نحن جند الله شبان البلاد
نكره الذل ونأبى الاضطهاد"

مقـام النبـي شعيـب

عن المقام حدثني امين السعدي (١٩٣٤): "بحطين موجود مقام النبي شعيب للدروز، كان عنا عائلة بالبلد اسمها عائلة القيّم واللي كانت تقوم بالخدمات والحفاظ على النبي شعيب، ما بعرف من وين اصلهم يمكن من صفد، كانوا ينظفوا المقام ويغسلوا الفراش، من زمان بشهر نيسان كان بيجوا عليه مئات الدروز من جبل الدروز ومن كل محل، أهل البلد كانوا يستضيفوا الدروز عندهم. ايام الاعراس كانوا يزفّوا العريس بالنبي شعيب، وبالمراح يعملوا دبكة. كان واحد يعزف على المجوز اسمه محمود قدورة وزجال اسمه مصطفى يوسف الحطيني".

ثـوار حطيـن

ويضيف امين السعدي (١٩٣٤): "كان الأنجليز يطوقوا البلد ويوخذوا الناس على المعتقلات بطبريا، اتهموهم بالتعاون مع الثوار. أهل حطين شاركوا بكل الثورات واستضافوا ثوار، بالثورة الأولى هاجموا طبريا، الجيش البريطاني قتل حوالي ستة ثوار من حطين، دخلوا على القرية وقتلوهم عند البساتين، واثنين قتلوا داخل بيتهم. الإنجليز هدموا بيتين بالبلد لأنه ادعوا انه الثوار سكنوا فيهم، دار الحاج قاسم ودار خليل جفالة، كانوا يحرقوا البيادر ويكسروا خوابي الزيت ويحرقوا الفراش".

تمـوز ١٩٤٨

في ليل ١٦/١٧ تموز ١٩٤٨، مباشرة بعد وصول الأنباء عن سقوط الناصرة ومغادرة جيش الأنقاذ لها، غادر معظم اهالي حطين قريتهم. وكان ذلك بعد اكثر من شهر من المواجهات مع القوات الاسرائيلية. عن نكبة حطين حدثني توفيق حوراني: "أجا على حطين حوالي ٣٠ جندي من جيش الإنقاذ وعملوا إستحكامات بقرني حطين لأنه هناك كان مركز إستراتيجي وموقع محصّن. المقاومه بحطين كانت قوية مع انه سلاحهم كان خربان ومبرّد، كانت الشباب تطلع حراسة حوالي البلد من الشرق وعلى الطريق الرئيسي من اتجاه طبريا. بال ٤٨ هاجم اليهود لوبيا من إتجاهين، من الشجرة وطبريا، من طبريا كان الهجوم بالمصفحات ومن الشجرة مشاة، وقتلوا ١٦ شاب من المدافعين، لما وصلت المصفحات لأول لوبيا اجت نجدة من كل البلاد، اهل حطين نزلوا على الشارع الرئيسي بين طبريا والناصرة وسكروا الشارع وانسحبت مصفحات اليهود، وقدروا انه يعطلوا مصفحة واحدة ويحرقوها، هاي كانت معركة قرني حطين، خلال المعركة استشهد محمد الحطيني. بعدها رجع اليهود وجمّعوا قواتهم وتوغلوا على بعد كيلو من قرن حطين وتحصنوا هناك حتى يهجموا على حطين، اهل البلد قاوموهم وانقتل يهودي والباقي انسحب.

لما سقطت الناصرة وصفورية والمنطقة الجنوبية، حسينا بالخوف، الثوار والجيش العربي انسحبوا، وأهل البلد حست بالخوف وطلعت. أهل حطين ولوبيا طلعوا سوا، طلعنا بدون مقاومة، الناس كلها طلعت مع بعض، حملت فراشها وأغراضها على الحصن والحمير ورحلت. بقي حوالي ثمانية ختيارية عاجزين، قسم منهم أولادهم رجعولهم وحملوهم على الدابة، واثنين منهم ماتوا وقبروهم هناك".

وتضيف سمية حوراني (١٩٣٧) قائلة: "لما رحلنا نمنا ليلة بالزيتون شمالي البلد، ثاني يوم رجعت على حطين أنا واختي على الحمير حتى نخبز بالطابون، لما وصلنا عند الجامع صاروا يطخوا علينا من فوق من قرن حطين،



قرية حطين المهجرة (تصوير: مقبولة نصار)

بذكر كانوا اربع خيالة لابسين أبيض، الناس نادت علينا نرجع، بالبداية ما ردينا، بس بعد ما طخوا علينا واجت الرصاصة بالمسمدة وفاتت بالعجينات، خفنا ورجعنا. بعدها رحنا على وادي سلامة، سكنا أسبوع تحت الزيتون، تروح الناس على حطين بالليل تجيب اكل واغراض من بيوتها وترجع، بعدها أبوي إستأجر بيت بعيلبون وسكنا فيها لليوم.

"موت بأرضك ولا تسمع كلمه لاجيء"

ومن ذكرى الرحيل حدثني مصطفى دحابرة (١٩٤١): "إحنا طلعنا من حطين، لما صارت المعارك بقرني حطين وصرنا نسمع عن دير ياسين وعن قرى حوالينا سقطت، كنا نسمع يقولوا الطيارات بتضرب بصفوريه قزان، هاي عبارة عن قنابل كبيره. أهل البلد عملوا اجتماع بالمراح والأكثرية اخذوا قرار انه لازم نرحل، المختار احمد قاسم رباح وجماعته رفضوا يطلعوا بس بالآخر الأكثرية قررت، المختار عمل بابور زيت جديد قبل ما نرحل وجاب كل العدة وحطها فيه بس للأسف ما فرح فيه. طلعت مع عائلتي ماشين، اكبر ولد كان محمد ١٤ سنه، أنا حملت صينيه نحاس، أبوي حمل اخوي الصغير واخوي الكبير حمل لحاف وأمي فرشه. وصلنا على المغار حوالي الساعة ٣ الصبح لأنه أبوي كان عنده أصحاب دروز هناك، بس جيش الإنقاذ ما سمح لنا ندخل على البلد، يومها نمنا تحت سدره مع وسخ البقر، سكنا شوي بالمغار وبعدها رحنا على لبنان ولما وصل أبوي على راس الناقوره لاقينا ناس من حطين راجعه ولما شافوا أبوي قالوله ارجع وموت بأرضك ولا تسمع كلمه لاجيء أو غريب من الجنوب. رجعنا واستقرينا بالمغار وصرنا حاضرين غايبين".

"يميناً دُر"

ويضيف مصطفى دحابرة ساخراً: "بذكر مره كنت أنا واخوي نتفرج على جيش الإنقاذ بالمغار، سمعنا القائد بقلهم "يمينا در" قاموا كلهم راحوا على الشمال، اخوي كان جنبي بقللي شوف هذا الجيش اللي جاي يحرر فلسطين. الشاويش إبراهيم من جيش الإنقاذ كان ييجي عنا يشرب قهوة، مره اجا وقال لأبوي "إحنا الليلة بدنا نمشي، اجت أوامر انه ننسحب لأنه اليهود بدها تفوت وما بدنا نقاوم، أنا ما بخلف أولاد وبدي ابنك مصطفى"، قاله أبوي انت بتطلب المستحيل أنا ما صدقت إني خلفت أربع أولاد من المرا الجديدة ما بقدر أعطيك ابني.

أحمد أبو راضي

عن مجزرة عائلة احمد أبو راضي، حدثني امين السعدي (١٩٣٤): "عائلة احمد محمد أبو راضي وأولاده من حطين رحلوا على الجش وسكنوا بالدرسة، كان معهم زوجة ابن عمه وأولادها، حوالي ١١ نفر، اجا اليهود على المدرسة، مسكوا ثلاث شباب، طخوا اثنين والثالث صابوه باجره وهرب على لبنان، أبوهم لما شاف اللي صار راح جاب بارودة وصار يطخّ على اليهود، بعدها قتل اليهود كل العيلة أطفال ونساء، ١١ واحد انقتلوا، بقي هذا الولد اللي هرب، بس انقتل بعد بفترة وهو راجع بالطريق.

محمد رميش

ويضيف محمود رباح (١٩٣٦): "إحنا لما طلعنا كان معنا فرس وحمار، حطّينا عليهم الفراش وأدوات الأكل، رحلنا على جبل اسمه الحامي وثاني يوم رحنا على وادي سلامه ونمنا هناك كام ليله وسكنا عند ناس من قرية فرّاده لحتى سقط القسم الثاني من الجليل بآخر تشرين، ومن فرّاده رحلنا على عين الأسد، استأجرنا بغلين ورحنا على بيت جن ومنها على رميش بلبنان، عمتي كانت حامل وخلفت برميش على البيادر، النسوان يومها عملوا حواليها شادر لانه البيادر كانت مليانه ناس، كل فلسطين طالعه من بيوتها، خلفت ولد اسمه محمد وبقولوله رميش، ثاني يوم استأجرنا دواب لبنت جبيل ومن هناك رحنا على عين الحلوه، ببنت جبيل نمنا بين الزيتون وما لقينا محل للسكن وبعين الحلوه كمان ما لقينا سكن، بذكر بالليل كان يجي قطار يوخد اللاجئين، الناس اللي ركبوا قبلنا بليله راحوا على حلب وإحنا ركبنا ثاني ليليه ووصلنا طرابلس وهناك أعلنت سوريا انها بطلت تستوعب لاجئين ونمنا بالقطار حوالي ١٥ يوم وبعدها رجعنا على عرابة، بطرابلس كانوا يعطوا اللاجئين كل نفر ٣ ارغفه ونص كيلوا عجوه، أنا كنت أروح أجيب الأكل لأني كنت اكبر واحد. فش عائله ما مات منها حدا، أنا إلي أخ مرض ومات كان عمره أشهر، وعند دار عمي مرضوا أطفال وماتوا لأنه ما كان في علاجات وأدوية.

أبوي ما قدر يعيش بعين الحلوة، كان يقعد بفلسطين أشهر يشتغل بستانجي عند يهودي من طبريا اسمه النحماني* بطبريا [يوسف النحماني شغل منصب مدير مكتب الكيرن كييمت في الجليل] ويجي يزورنا بعين الحلوة، أعمامي واخوالي كلهم بعين الحلوة، بس أبوي قرر بعد ثلاث سنوات انه نرجع على فلسطين. جوز خالتي إنقتل بعيلبون. لما صارت مجزرة عيلبون وماتوا ١٢ شاب كان هو واحد منهم. خالتي ما عرفت انه مات إلا لبعد فترة. وهيك رجعنا بال- ١٩٥٢ رجعنا من عين الحلوة على بنت جبيل، ومنها على الجش مشي على إجرينا، لأنه خوال امي بالجش. وصلنا على الجش أول النهار وبقينا بكرم التين للمغرب لأنه كنا خايفين من الجيش، بالصدفة إجا الحاكم العسكري يوكل تين، قالتله مرة خالي وين جاي لهون، التين الشلبي موجود لفوق، اطلع فوق، وهيك نجينا من الحاكم العسكري. تاني يوم جابني أبوي أنا واختي فاطمة وعدلة وركبنا بالباص من الجش لعكا ومن عكا رحنا مع واحد بسيارة شحن عند عمتي على عرابة، تاني يوم رجع أبوي من عكا على الجش وجاب أمي وأخوتي طارق وسعاد الصغار. لما طلع أخوي طارق على الباص طلب من أبوي فرنك، أخوي كان عمره ٣ سنين وبعرف لغة الفرنك من عين الحلوة، أبوي لكشه وسكت طارق. لما وصلنا على عرابة اشتغل أبوي بطبريا عند النحماني. كان يرجع مشي من طبريا على عرابة. بالآخر قرر انه ننتقل على عيلبون. بعدها أجا النحماني وقال لأبوي: "فالح بدي أرضك، أو بتعطيني أرضك او ما في الك عندي شغل"، أبوي قاله ما بدي اشتغل وهيك ترك الشغل وصارت المخابرات تيجي عند أبوي ويقولوله وين بدك بنعطيك أرض بس تنازل عن أرضك بحطين. بس أبوي ما رضي يتنازل".



قرية حطين المهجرة (تصوير: مقبولة نصار)

ما تخافي يا سهام هذا القمر!

باول الخمسينات اجا الجيش الإسرائيلي وشاف البلد مليانة بأهل حطين بشتغلوا بأرضهم، خاف انه أهل البلد يرجعوا، جابوا سيارات شحن وحمّلوا الناس ورموهم بين المغار وعيلبون ودير حنا وبعدها جابوا الجرّافات وهدموا البلد. مره رحنا انا وأبوي على حطين حتى نطلع القمح من ارضنا، واحنا طالعين من البلد رحنا على مغارة، ابوي صار يخيّط الشوالات حتى نخبي فيهم المحصول، وانا قاعدة شفت اشي عم بضوي وبتحرك، خفت وصرت أقول لأبوي لحقنا الجيش، صار أبوي يضحك وقاللي ما تخافي يا سهام هذا القمر.

حطين اليوم

اليوم، موقع القرية مهجور، بيوت حطين مهدمة وتتبعثر اكوام حجارتها في ارجاء الموقع بين الحشائش البرية والنباتات المائلة واشجار التوت والتين والكينا ونبات الصبار. اما اراضي السهل المجاورة فمزروعة لمصلحة المستعمرات اليهودية، بينما تستعمل الاراضي الجبلية مرعى لمواشيها. مسجد حطين مهجور ومئذنته سليمة لكن قناطره آخذه في التصدع ولا يزال مقام النبي شعيب القائم على سفح تل قريب من القرية، مزاراً يقصده الدروز، ويتم التخطيط في هذه الأيام لتوسيعه مجدداً على حساب أراضي القرية وسط احتجاج ومعارضة لاجئي حطين.

---

* رنين جريس هي ناشطة نسوية ومركزة مشروع التاريخ الشفوي في جمعية زوخروت-ذاكرات.

اختتام المؤتمر الثالث لحق العودة والسلام العادل في مدينة عكا

الإعلان عن ائتلاف العودة والدعوة للم شمل حركة العودة الفلسطينية

أنهى المؤتمر الثالث لحق العودة والسلام العادل أعماله بعد أن افتتح بتاريخ ٢٩ حزيران ٢٠٠٧ حيث تم اثراء قاعة الأندلس بالصور للقرى والمدن قبل تهجيرها وكذلك تم تقديم فقرات تراثية زجلية وأغاني تعبر عن التمسك بحق العودة. ونظم المؤتمر الثالث لحق العودة كل من الجمعية القطرية للدفاع عن حقوق المهجرين، ومعهد اميل توما للدراسات الإسرائيلية والفلسطينية، وجمعية زوخروت / ذاكرات بالتعاون مع اتحاد الجمعيات العربية (اتجاه).

بعدها ألقيت كلمات من قبل مندوبي الهيئات المنظمة للمؤتمر: جمعية الدفاع عن حقوق المهجرين في اسرائيل، معهد اميل توما للدراسات الفلسطينية والاسرائيلية، جمعية ذاكرات وبالتعاون مع اتجاه- اتحاد الجمعيات الأهلية العربية، كما تحدث السيد جمال جمعة من القدس المحتلة رئيس حملة مناهضة جدار الفصل العنصري. كما ووصلت المؤتمر تحيات من رئيس لجنة المتابعة العليا السيد شوقي خطيب والعديد من الهيئات والمؤسسات أكدت على أهمية التمسك بحق العودة في كل ظرف. كما وصلت تحيات من الدكتور سلمان أبو ستة ومجموعة عائدون.

وفي اليوم الثاني، السبت ٣٠ حزيران ٢٠٠٧ غصت قاعة مسرح اللاز في عكا القديمة بالحضور، حيث تم تنظيم ثلاث جلسات، الأولى بعنوان "حق العودة في الخطابين الفلسطيني والاسرائيلي" والثانية بعنوان "التحديات التي تواجه حق العودة محليا وعالميا" والثالثة تحت عنوان "الاعلان عن اقامة ائتلاف حق العودة وبيان الاستعداد لاحياء ذكرى ستين عاما على النكبة". هذا وقد صدر البيان الختامي التالي تتويجا لأعمال المؤتمر الثالث لحق العودة والسلام العادل:

أولا: يتوجه المؤتمر الى أبناء شعبنا الفلسطيني وللفصائل المتنازعة (حماس وفتح) لوقف حالة الاقتتال الدموي والعودة فورا الى الحوار الوطني على قاعدة التمسك بالثوابت الوطنية الفلسطينية وعلى رأسها حق العودة لكل اللاجئين والمهجرين الى ديارهم.

ثانيا: يؤكد المؤتمر على التمسك بحق العودة ورفض التفريط أوالالتفاف عليه مهما كان مصدره باعتباره حق فرديا وجماعيا وغير قابل للتقادم.

ثالثا: يؤكد المؤتمر على ضرورة تطبيق حق العودة اعتمادا على قرارات الشرعية الدولية ولكن أيضا إستنادا على الحق الطبيعي للاجئين والمهجرين للعودة الى ديارهم.

رابعا: يعلن هذا المؤتمر عن اقامة ائتلاف العودة على أن يتم اتمام تفاصيل المبنى المؤسساتي لهذا المؤتمر وبرنامجه وذلك بالاتفاق بين الأطراف المنظمة لهذا المؤتمر وبشكل يضمن أن يكون ائتلافا مفتوحا لانضمام كل اطار او هيئة أو مؤسسة أو جمعية او فرد تجد نفسها أمام تحدي المساهمة لدعم مسيرة العودة للاجئين والمهجرين الى وطنهم وبيوتهم وممتلكاتهم، والهدف هو تجنيد كل القوى غير المنظمة، تحت لواء واحد.

كما وأطلق المؤتمر دعوة لوضع حد للشرذمة داخل حركة وائتلافات العودة في الشتات والوطن، والعمل على توحيد كل الجهود.

خامسا: يعود المؤتمر ويؤكد أن احقاق حق العودة للاجئين والمهجرين الى ديارهم هو الشرط الأساس لأي سلام عادل ودائم في المنطقة.

سادسا: يؤكد المؤتمر مساندته لأهلنا في النقب في مواجهة آلة الاقتلاع والتطهير العرقي الاسرائيلية التي تؤكد أن النكبة متواصلة كما ويؤكد أن المعركة على صمود الوجود العربي في النقب هي معركتنا جميعا.

بمشاركة نحو ٣٠٠ من فتيان اللاجئين والمهجرين من الضفة الغربية والداخل

إختتــام مخيــم "أجيــال العــودة" الصيـفي الثــاني بنجــاح كبيــر

إختتم مركز بديل/ المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين مخيم "أجيـال العـودة" الصيفي للسنة الثانية على التوالي بنجاح كبير وبمشاركة نحو ٣٠٠ من فتيان وفتيات اللاجئين والمهجرين من الضفة الغربية ومن داخل الخط الأخضر تتراوح أعمارهم ما بين ١٤-١٧ عاماً، وذلك في منتجع قرية الزيتونة السياحية في مدينة بيت جالا. وكان المخيم قد واصل فعالياته من ٢٥ الى ٢٩ حزيران الماضي.

وقد أشتمل المخيم الذي أقامه مركز بديل بالتعاون مع عدد من المؤسسات الوطنية العاملة في ميدان الدفاع عن حقوق اللاجئين وتنمية الناشئة على العديد من الفعاليات الثقافية والاجتماعية والفنية والرياضية التي تصب في إطار إعداد كادر متقدم من الجيل الناشئ لمواجهة التطورات المتسارعة فيما يتعلق بحقوق اللاجئين من خلال تمكينهم من امتلاك المعلومة والقدرة الذاتية في الدفاع عن حقوقهم كلاجئين وكفلسطينيين على أساس مواثيق القانون الدولي والثوابت الدولية وحقوقهم كأفراد وكمجموع.

حفل الافتتـاح

في اليوم الأول للمخيم تم تنظيم حفل افتتاح أحيته فرقة مركز لاجئ للدبكة الشعبية حيث قدمت ثلاث عروض فنية مستقاة من التراث والفولكلور الفلسطيني. وخلال حفل افتتاح المخيم ألقى السيد احمد محيسن رئيس مجلس إدارة مركز بديل كلمة أكد من خلالها على أن حق العودة حق ثابت للاجئين الفلسطينيين ولا يسقط بالتقادم. مشيراً إلى أن تنظيم هذا المخيم يأتي في سياق برنامج تنمية وتدريب الناشئة الذي ينفذه مركز بديل بهدف تعزيز الوعي بحق العودة لدى الأجيال الناشئة وهم قادة المستقبل، مؤكدا على استمرار مركز بديل بالدفاع عن حق العودة وتعزيز ثقافة العودة في المجتمع الفلسطيني خاصة لدى الناشئة. علماً أن برنامج تنمية وتدريب الناشئة من البرامج الرئيسية في مركز بديل وينفذ في احد عشر مخيماً وتجمعاً للاجئين الفلسطينيين في الضفة الغربية المحتلة، ويأتي هذا البرنامج في إطار الجهود التي يبذلها مركز بديل وشركائه من اجل إعداد كادر متقدم من الجيل الناشئ لمواجهة التطورات المتسارعة فيما يتعلق بقضية اللاجئين.

وفي كلمة لعضو المجلس التشريعي محمد خليل اللحام أشار اللحام إلى ظروف التهجير القسري المستمر للفلسطينيين جراء السياسات الإسرائيلية منذ العام ١٩٤٨ منوهاً إلى أن قضية اللاجئين الفلسطينيين هي جوهر القضية الفلسطينية. وأكد اللحام أيضاً أن حق العودة جزء ثابت وأساسي في معادلة النضال الوطني الفلسطيني وان هذا النضال سيستمر إلى أن تتحقق تطلعات شعبنا وأهدافه وعلى رأسها عودة اللاجئين وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس، مشدداً على أن الوحدة الوطنية هي الضمانة وأساس لنضال شعبنا وقضيته. وأشاد اللحام بالدور الذي يقوم به مركز بديل في سياق الدفاع عن حقوق اللاجئين وتعزيز ثقافة العودة خاصة الاهتمام بالجيل الناشئ كونه الجيل الذي يحمل عبء النضال عن حق العودة.

ويأتي تنظيم هذا مخيم اجيال العودة الصيفي الثاني برغم الجدار والحواجز التي تقيمها سلطات الاحتلال بهدف تقطيع أوصال الشعب الفلسطيني فقد استطاع هذا المخيم أن يجمع الأطفال الفلسطينيين في الضفة الغربية ومن داخل فلسطين المحتلة عام ٤٨ بالرغم من كل الصعوبات. حيث استمر المخيم لخمسة أيام متتالية وفعالياته تواصلت في ساعات النهار والليل، وقد تم تقسيم المشاركين في المخيم إلى عشر مجموعات تحمل كل مجموعة اسم قرية أو مدينة فلسطينية في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨. ويتضمن جملة من الأنشطة والفعاليات حيث تبادل المشاركون الخبرات كما اشتمل المخيم الصيفي على العديد من المحاضرات حول قضايا النكبة واللجوء، ومقاطعة إسرائيل وتم تقديم برنامجاً تثقيفياً للمشاركين في المخيم لرفع مستوى الوعي الوطني لديهم وتعزيز انتمائهم للأرض والقضية الفلسطينية.

مسيـرة الى الدهيشـة

فعاليات المخيم الصيفي تواصلت في اليوم الثاني حيث نظم المشاركون في المخيم مسيرة انطلقت من منتجع قرية الزيتونة السياحي الذي تتركز فيه فعاليات المخيم الصيفي باتجاه مخيم الدهيشة حيث زاروا مركز الفينيق، ومن ثم واصل المشاركون مسيرتهم في شوارع وأزقة مخيم الدهيشة وصولاً إلى صرح الشهيد في المخيم وهم يرفعون الأعلام الفلسطينية وشعارات حق العودة مرددين الهتافات الوطنية المؤكدة على حق العودة والمنددة بالاحتلال.

ويأتي تنظيم تلك المسيرة في إطار التركز على تنمية الناشئة وتعزيز العلاقة بين الفتية من مخيمات محافظة بيت لحم وباقي الفتية من المخيمات الأخرى في الضفة الغربية والفتية من داخل فلسطين المحتلة عام ٤٨ بهدف خلق آليات تعاون بين كافة المخيمات للأجيال المستقبلية التي تحمل لواء حق العودة.

وبالإضافة للمسيرة فان فعاليات اليوم الثاني الصباحية قد اشتملت، على عدد من المحاضرات التي تركز على ترسيخ حق العودة لدى الفتية المشاركين إضافة للانشطة الترفيهية والرياضية والثقافية، وفي المساء تم تنظيم احتفالاً ترفيهياً للمشاركين اشتمل على عروض فنية فولكلورية مستقاة من التراث الشعبي الفلسطيني، بمشاركة أطفال مركز يافا الثقافي من مخيم بلاطة، والمؤسسة العربية لحقوق الإنسان من الناصرة ، وفرقة مركز شباب عقبة جبر الاجتماعي.

زيـارة كنيسـة المهد ومخيم عايـدة والجدار

وفي إطار الجهود التي تبذل من اجل تعزيز المعرفة لدى جيل الناشئة بالمعالم التاريخية والحضارية والدينية في فلسطين اشتملت فعاليات المخيم في يومه الثالث على زيارة إلى كنيسة المهد في مدينة بيت لحم حيث اطلع المشاركون في المخيم على مرافق الكنيسة وأقسامها ، كذلك تعرفوا على الظروف التي مرت بها الكنيسة منذ إقامتها وحتى اليوم وخاصة الحصار العسكري الذي تعرضت له الكنيسة وقصفها بالقذائف والرصاص من قبل جنود الاحتلال الإسرائيلي في العام ٢٠٠٢.

أيضاً ضمن فعاليات اليوم الثالث توجه الفتية في مسيرة إلى مخيم عايدة حيث استقبلهم أهالي المخيم وعدد من أعضاء اللجنة الشعبية فيه حيث جابوا شوارع المخيم وهم يرفعون الشعارات المطالبة بتطبيق القرارات الدولية ذات الصلة بقضية اللجوء الفلسطيني وعلى رأسها القرار ١٩٤ كما ردد الهتافات الوطنية وطالبوا بالحفاظ على الوحدة الوطنية باعتبارها الضمانة للقضية الفلسطينية ولحق العودة. ومن ثم انطلق المشاركون باتجاه جدار الفصل العنصري برفقة عدد من أهالي وأطفال مخيم عايدة حيث استمعوا إلى بعض المعطيات عن الجدار وما يلعبه من دور رئيسي في توسيع دائرة التهجير الداخلي وخلق جيل جديد من اللاجئين والمهجرين داخلياً في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧.

كما أن فعاليات الفترة الصباحية للمخيم الصيفي اشتملت على مجموعة محاضرات ونقاشات مفتوحة ما بين الفتية والمشرفين على المخيم تتعلق بحملة مقاطعة إسرائيل، حيث تمكن المشاركون في المجموعات المختلفة إلى بلورة خطط عمل مقترحة لمقاطعة إسرائيل تحت شعار حملة مقاطعة إسرائيل تساوي حرية فلسطين أيضاً تم تنظيم مسابقة ثقافية فاز فيها أطفال مركز حيفا الثقافي من مخيم طولكرم، بالاضافة الى مجموعة من الأنشطة الترفيهية كالسباحة والألعاب الرياضية الأخرى ومشاهدة الأفلام الهادفة.

دوري كـرة قـدم

في اليـوم الرابـع لمخيم أجيـال العـودة وخـلال الفترة الصباحية تم تنظيم جملة من الأنشطة الرياضية والتربوية والتثقيفية. حيث تم تنظيم خماسيات في كرة القدم للفتيان فاز فيها المشاركون من مركز أطفال الدوحة الثقافي كما فازت المشاركات من المركز ببطولة في شد الحبل للفتيات. وفي لفتة تعبر عن الروح الرياضية العالية قدم المركز هذا الفوز لأطفال حيفا والناصرة ومخيم عايدة كتذكار، حيث تحدث السيد أيمن الأحمر رئيس المركز مخاطباً المشاركون في المخيم الصيفي بالقول: "لقد كان هذا اليوم يوماً وطنياً ورياضياً تشابكت به المشاعر والقلوب، لذا نهدي فوزنا هذا لإخواننا في الناصرة وحيفا، ومن ثم تقدم فتيان وفتيات حيفا والناصرة ومخيم عايدة إلى المسرح وسط هتافات وتصفيق حار وتسلموا الكؤوس من الأحمر.

أيضاً وضمن فعاليات اليوم الرابع للمخيم، كان الفتيان والفتيات قد شاركوا في مجموعات نقاش حول السلوك السوي كسمة من سمات القيادة، بحيث تمحور النقاش حول سمات ومؤشرات السلوك السوي في محاولة للخروج بخطة عمل لتعزيزه في صفوف الناشئة. بالإضافة لجملة من الأنشطة الصباحية المعتادة.

حفل الاختتـام

في مساء اليوم الرابع للمخيم نظم المشاركون حفل اختتام قدمت خلاله عريفة الحفل ريم الأحمر الشكر للأطفال والمؤسسات المشاركة وكل من ساهم في إقامة هذا المخيم وإنجاحه مؤكدة على أن الاحتلال ومهما مارس من صنوف الفصل والتهجير فلن ينسينا أننا شعباً واحداً وفلسطينيون، ومن ثم وقف الجميع وقفة حداد على أرواح الشهداء واستمعوا للنشيد الوطني الفلسطيني.

وقد اشتمل حفل الاختتام على العديد من الفقرات الفنية والغنائية والدبكة الشعبية قدمها الأطفال المشاركون في المخيم الصيفي، حيث ألقت الفتاة ابتسام سراحنة ١٤ عاماً من مخيم الفوار قصيدة شعر باللهجة البدوية، وقدمت الطفلة يم تكروري ١٤ عاماً من مخيم طولكرم أغنية وطنية، كما استمع الحضور لفقرة غنائية قدمها أعضاء فرقة حيفا من مخيم طولكرم. وقدم مركز أطفال الدوحة فقرة تهريج ومرح وهم يرتدون ألبسة بهلوانية. كما شاهد الحضور عرضاً للدبكة الشعبية على أنغام اليرغول قدمها عدد من أطفال الناصرة من المؤسسة العربية لحقوق الإنسان.

من جانبه، وجه الزميل محمد جرادات منسق وحدة حملة الدفاع عن حقوق اللاجئين في مركز بديل كلمة للحضور شدد فيها على وحدة الشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده، مشيراً إلى أن الاحتلال وسياسة الحصار العسكري والإغلاق حالت دون مشاركة أطفال فلسطينيون في هذا المخيم من قطاع غزة ومن مخيمات الشتات الفلسطيني. وأكد جرادات على حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم داعياً الفتية والفتيات المشاركون في المخيم الصيفي للحفاظ والتمسك بهذا الحق الذي تتوارثه أجيال اللاجئين والمهجرين جيلاً بعد جيل.

وفي نهاية الحفل الذي استمر حتى ساعات متأخرة من المساء قدم الفتية المشاركون لوحة فسيفسائية لمركز بديل تقديراً للجهود التي يبذلها المركز على







صعيد الاهتمام بالأجيال الناشئة، وقد جسدت اللوحة خارطة فلسطين التاريخية.

قسم العودة

في صباح اليوم الخامس للمخيم أقسم المشاركون قسم العودة بعد أن قيموا فعاليات المخيم وانطلقوا عائدين الى منازلهم، وذكر المشرفون على المخيم الصيفي انه تم اكتشاف مجموعة من الفتية والفتيات الذين يمتلكون مواهب أدبية إبداعية لذا تم تخصيص زاوية في المخيم للأنشطة الأدبية وإنتاج المشاركين الأدبي يتم متابعتها من قبل مختصة في الأدب العربي تعمل على صقل مواهبهم وتنميتها وتوجيهها، حيث سيعمل يرنامج تنمية وتدريب الناشئة على مواصلة تشجيع تلك الإبداعات.

انطباعات المشاركين

صلاح عجارمة احد المتطوعين في الإشراف على المخيم قال أن إقامة مخيم أجيال العودة للسنة الثانية على التوالي في ظل وجود جدار الفصل العنصري وفي ظل سياسة الاحتلال التي تفصل بين أبناء الشعب الواحد يعتبر انجازاً وطنياً ويضيف عجارمة إن جمع الفتية والفتيات اللاجئين والمهجرين في بقعة جغرافية واحدة على ارض مهد المسيح في بيت لحم تحت هدف وعنوان واحد هو أجيال العودة إلى فلسطين التاريخية يعد نجاحاً كبيراً.

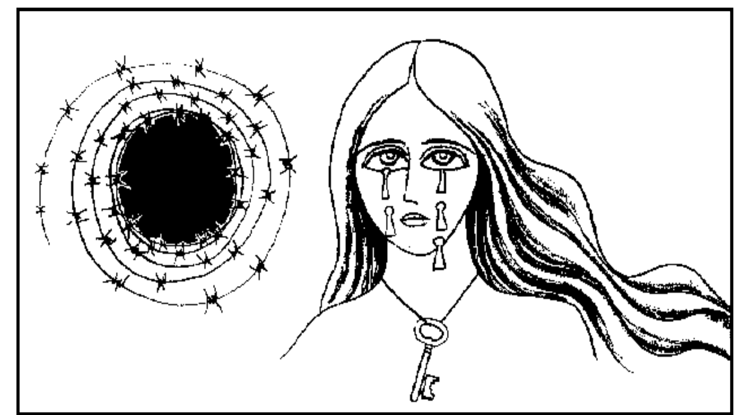
من جانبهم عبر الفتية والفتيات المشاركون في هذا المخيم عن سعادتهم لهذه المشاركة في هذا المخيم الذي اعتبروه فرصة للتعزيز معرفتهم بالقضية الوطنية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حق عودة اللاجئين، كما شكل المخيم فرصة للتواصل والتعارف بينهم خاصة انه يضم مشاركين على مستوى الضفة الغربية ومن الداخل الفلسطيني.

الفتاة ياسمين علي من حيفا ١٦ عاما تقول: تعرفت على الفتيات والفتية من مخيمات الضفة الغربية الذين حدثونا تجاربهم وعن مآسيهم وعذاباتهم التي يصنعها الاحتلال وجنوده، فعرفنا حقائق لم نكن نعرفها، كما نقلنا لأصدقائنا في المخيم ما يعانيه الفلسطينيين في الداخل بسبب السياسة العنصرية الإسرائيلية، كذلك تنبهنا إلى المعلومات التاريخية المضللة التي تقدم لنا من خلال المناهج الدراسية التي تشرف عليها وزارة المعارف الإسرائيلية. وتضيف كم شعرت بالسعادة أنني استطعت أن احمل العلم الفلسطيني بحرية كاملة دون خوف، وأسعدني كثيراً الاستماع إلى الفتيات والفتية من مخيمات الضفة وهم فخورون بفلسطينيتهم وانتمائهم إلى فلسطين.

من جانبها، تحدثت أسيل زكوت ١٥ عاماً من الدوحة عن تجربتها بالقول: "هذه أول مرة أشارك في مخيم صيفي من هذا النوع، كنت اعتقد انه سيكون مخيم عادي، إلا انه كان مختلف عن غيره من المخيمات الصيفية التي شاركت فيها، خاصة انه ضم أطفال من داخل فلسطين ٤٨، تعرفنا عليهم عن قرب وعرفناهم على أنفسنا وتحدثنا في كثير من الأمور. وعلى الصعيد الشخصي فقد مارست هواياتي بإلقاء الشعر والمسرح وتعرفت على أصدقاء جدد أحببتهم وأحبوني، تبادلت معهم المشاعر، لقد تبادلنا أرقام الهواتف والبريد الالكتروني مع بعضنا البعض وسنتواصل، كما تبادلنا الرسائل والتواقيع والهدايا للذكرى".

مراد بصيلة، ١٤ عاماً من مخيم شعفاط قال: "تعلمت في هذا المخيم الانضباط والصبر والالتزام، وتثقفت حول حق العودة، واكتسبت كثيراً من المعلومات التي وفرت لنا خلال المخيم، وتعرفت على أطفال من الداخل، إجمالاً المخيم أعجبني من حيث مكان إقامته ومن حيث نوعية الأكل الذي قدم لنا، والأهم الزيارات الخارجية التي قمنا بها مثل زيارة مخيم الدهيشة وزيارة كنيسة المهد ومخيم عايدة. لقد مكنتني مشاركتي في المخيم من التعبير عن مشاعري الوطنية من خلال المسيرات التي نظمها لنا القائمون على المخيم، وأدعو مركز بديل لتكرار المخيم سنوياً".



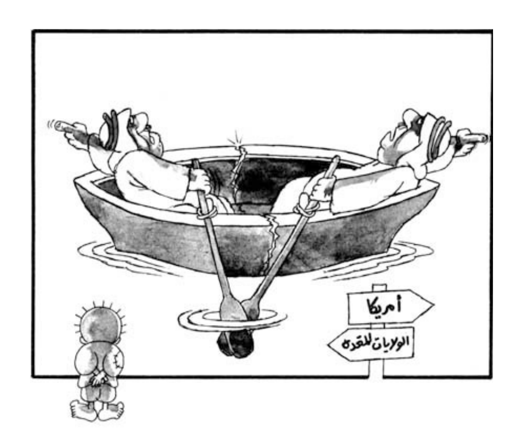






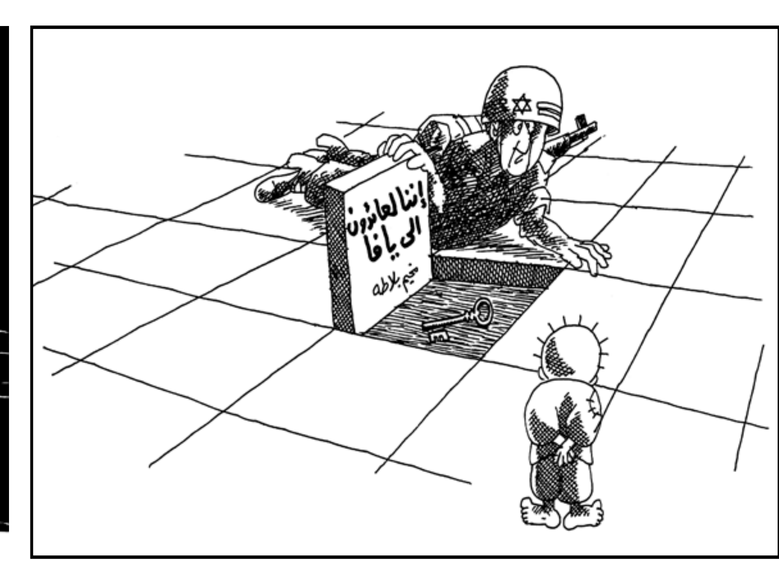
















(حق العودة)
دورية تصدر كل شهرين عن بديل/المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين
رئيس مجلس الإدارة: أحمد محيسن
الرقم الدولي المعياري (ISSN): 18149774

تحرير
محمد جرادات
نهـــاد بقـــاعي

الهيئة الاستشارية
أنطوان شلحت (عكا)
عيسى قراقع (بيت لحم)
رجا ديب (دمشق)
سلمان ناطور (حيفا)
سالم أبو هواش (الخليل)
أمير مخول (حيفا)
جابر سليمان (صيدا)
تيسير نصر الله (نابلس)
هشام نفاع (حيفا)
وليد عطا الله (باريس)
أنور حمام (رام الله)

المقالات المنشورة بأسماء أصحابها تعبّر عن وجهة نظرهم/ن.

بيت لحم، فلسطين
ص. ب. ٧٢٨
تلفاكس: ٠٢-٢٧٤٧٣٤٦ ، هاتف ٠٢-٢٧٧٧٠٨٦
بريد الكتروني: camp@badil.org
صفحة الانترنت: www.badil.org

يهدف مركز بديل الى توفير مصدر للمعلومة والمعرفة والتحاليل العلمية، حول قضايا اللاجئين الفلسطينيين، ساعيا الى التوصل للحل الدائم والشامل لجميع اللاجئين الفلسطينيين يعتمد على أساس حقهم في العودة الى ديارهم وممتلكاتهم التي هجروا منها.